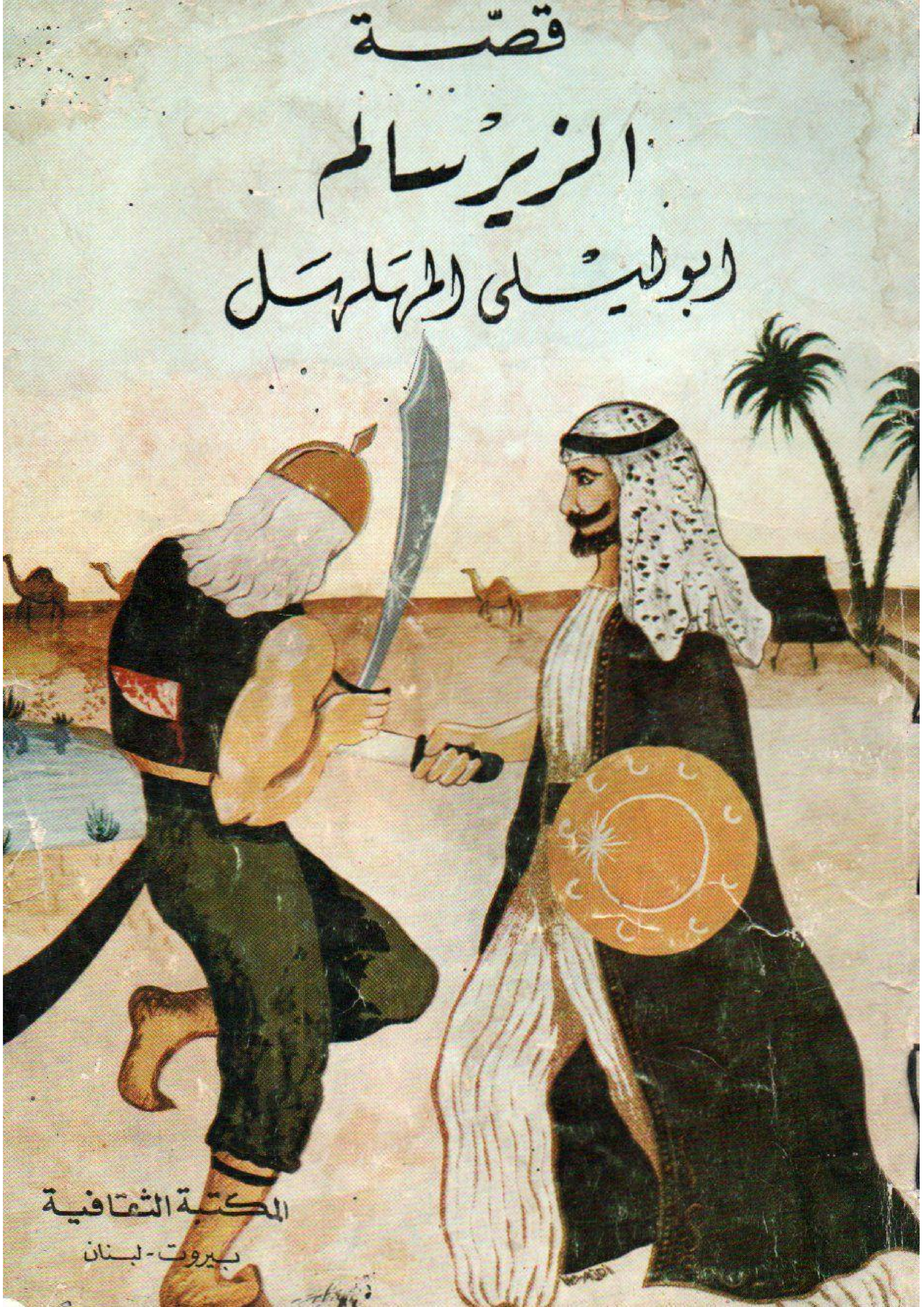

قصّة
الزير سالم
ابو ليلى المهلهل
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

قصّـــة
الزير سالم
ابو ليلى المهلهل

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص. ب. ٨٧٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أقول بعد حمد الله . والصلاة والسلام على رسله وانبياه هذه سيرة الاسد الكرار والبطل المغوار ، الذي شاع ذكره في الاقطار واذل بسيفه كل صنديد وجبار . المهلهل بن ربيعة صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة . وما جرى له في تلك الايام مع ملوك التبابعة وفرسان الصدام من الحوادث والوقائع التي تطرب القاريء وتسر السامع ولكن قبل الشروع في هذه السيرة العجيبة واخبارها المطربة الغريبة . رأينا ان نذكر طرفا من اخبار العرب اهل الفضل والادب . افادة للمطالعين ونزهة للسامعين فنقول وبالله المستعان ان اصل العرب من قديم الزمان وسالف العصر والاوان من ولد نزار بن معد بن عدنان وكان قد ولد لنزار المذكور اربعة اولاد من الذكور كل منهم بالفضل والبأس مشهور هم مضر وانمار واياد وربيعة فارس الطراد ومنهم تشعبت قبائل الاعراب وملأت البراري والهضاب فمن نسل اياد التبابعة الذين اخبارهم بين الناس شائعة ومن نسل ربيعة ومضر وانمار عرب الحجاز ونجد والعراق وسكان القفار وكانت العرب في ذلك الزمن منقسمة الى قسمين وهما قيس ويمن فسكان اليمن هم اليمنيون وباقي العرب هم القيسيون وما زالت العرب تنمو وتكثر وتمتد في البر الاقفر حتى اشتهرت العشائر والقبائل وظهر الامير ربيعة واخوه

مرة ابناء وائل • وربيعة المذكور هو ابو الزير الفارس المشهور وصاحب هذه السيرة ووقائعها الشهيرة •

قال الراوي وكان ربيعة في ذلك الزمن من جملة ملوك العربان واخوه مرة من الامراء والاعيان وكانت منازلهم في اطراف بلاد الشام وكانا يحكمان على قبيلتين من العرب وهما بكر وتغلب • وولد لربيعة خمسة اولاد وهم كليب الاسد الكرار وسالم البطل الشهير الملقب بالزير وعدي ودريعان وغيرهم من الشجعان ، وكان له بنت جميلة الطباع شديدة الباع تعارك الاسود والسباع اسمها اسما وتلقب بضباع واما الامير مرة فله عدة اولاد ابطال امجاد قد اشتهروا بالشجاعة وقوة البأس منهم همام وسلطان وجساس وله بنت جميلة يقال لها الجليلة فاتفق في بعض الايام ان الامير مرة دخل على اخيه ربيعة في الخيام وخطب ابنته ضباع لابنه همام وخاطبه بهذا الشعر والنظام :

يقول امير مرة في قصيد ... معانيه حكت درر الجواهر
ربيعة يا اخي اسمع كلامي ... ايا قهار فرسان الجبابر
اريد ضباع بنتك يا ربيعة ... الى همام ايا فخر الاكابر
ولما ينتشي ابنك كليبا ... ويركب يا اخي الخيل الضواهر
وتكبر يا ملك بنتي الجليلة ... فخذها له وزوج لا تشاور
وهذا يا اخي اقصى مرادي ... ايا صدام آساد الكواسر
تبدى له ربيعة ثم قال له ... كلامك يا اخي مثل العنابر
تريد ضباع خذها يا مسمى ... وزوجها لابنك لا تشاور
ومعها مية خادم يخدموها ... ومية قعود مع ميتين قواطر
ومعها مية ناقة كالعرائس ... زياد ومسك فايح دوم عاطر
ومعها مخمل الفاخر واطلس ... لغيرك من ازواج او اصاهر
وهمام ابن مرة مثل ابي ... ومية جارية غير السرائر
هلم انهض وزوجها بسرعة ... وافرح فيه واعمل عرس فاخر

فلما فرغ ربيعة من كلامه اعتنقه اخوه هرة وشكره على حسن اهتمامه ثم باشر القوم بأمر للعرس وعقدوا عقد الامير همام على ضباع بنت الكرام كما جرت عادة الملوك العظام فأولموا الولائم وذبحوا الذبائح واطعموا كل آت ورائح وما زالوا في سرور وبسط وانشراح ودق طبول ولعب خيــول وشرب مدام مدة عشرة ايام ثم زفوا ضباع على الامير همام فكانت ليلــة عظيمة لم يسمع بمثلها في الايام القديمة حضر فيها كثير من سادات العرب واهل المناصب والرتب ودخل همام على ضباع وحظي بحسنها وجمالهــا ونالت منه غاية آمالها لانها كانت تحبه محبة شديدة وتوده مودة اكيــدة وسوف يظهر لهما ولدان وهما شيبوم وشيبان سيأتي حديثهما بعد الآن هذا ما كان من خبر بني قيس المدعوين بالقيسية ولنتكلم الان عــن حديــث اليمنية وما جرى لهــم في تلك الايام من الامــور والاحكام والحــروب والاهوال في ميادين القتال فنقول وعلى الله الاتكال :

كان في قديم الزمان في بلاد اليمن ملك عظيــم الشأن صاحب جنــد واعوان وابطال وفرسان يقال له الملك حسان ويكني بالتبع اليماني ولــم يكن له بين الملوك ثاني وهو اول اليمنية كما كان ربيعة اول القيسية وكان شديد البأس قوي المراس طويل القامة عريض الهامة لا يعرف الحلال مــن الحرام ولا يحفظ العهد والزمام وكان يحب النساء الملاح والمزح معهن في المساء والصباح ومن اعماله الغريبة واصطلاحاته العجيبة انه كان في كــل ليلة يتزوج بصبية من بنات الملوك التي تخافه وتخشاه وتحسب حسابــه وتترضاه وتحمل له الخراج وتعلل له الخاطر والمزاج وكان عنده من الابطال والفرسان الف الف عنان وهم عشر كرات مستعــدين للحرب والغــارات وكان يشرب المدام في الليل والنهار ولا يبالي من الاهوال والاخطار وكان له وزير عاقل خبير اسمه نبهان قد امتاز على الاقران بفعل الخير والاحسان وكان ينهي الملك حسان عن ارتكاب الظلم والعدوان فاتفق في بعض الايام

ان التقى الملك تبع في نبهان وقال له بحضور الامراء والاعيان هل سمعت ايها الوزير العاقل الخبير عن ملك كبير عنده رجال كرجالي واموال كأموالي فقبل الوزير الارض ووقف في مقام العرض وقال اعطني الامان يا ملك الزمان فاحدثك باخبار ملوك الامم اصحاب البطش والهمم وما عندهم من الجيوش والعساكر والعدد والذخائر فقال عليك الامان من نوائب الزمان فقال اعلم ايها الملك المعظم انه لا يوجد مثلك في هذه الاقطار من الملوك الكبار اصحاب المدن والامصار ولكن يوجد خارج البحار عرب من اهل الشجاعة والاقتدار عددهم كثير وجيشهم غفير يقال لهم بنو قيس وسيدهم اسمه ربيعة ، ولهم في الحروب والغارات وقائع مهولة مريعة وهم من اولاد مصر الاسد الغضنفر وقد امتلكوا اكثر جهات الارض في الطول والعرض وهم اعظم منا واكثر واشد بأسا . فلما انتهى الوزير من هذا الكلام وسمعه من حضر في ذلك المقام اغتاظ الملك وتأثر وكان عليه اشد من ضرب السيف الابتر فصاح على الوزير وزعق وقال له بكلام الحنق يا تيس تفضل على بني قيس وما دام الامر كذلك لا بد ان اقصدهم بفرسان المعارك واقتل مليكهم ربيعة واوردهم موارد المهالك واخرب بلادهم وامحو بالسيف آثارهم واملك تلك الديار بالقوة والاقتدار ثم انشد هذه الابيات على مسامع الامراء .

يقول التبع اليمني المسمى ... بحسان فما للقول زورا
ملكت الارض غصبا واقتدارا ... وصرت على ملوك الارض سورا
لقد اخبرت عن بطل عنيد ... شديد البأس جبار جسورا
وقالوا انه يدعى ربيعة ... امير قد حوى مدنا ودورا
فقصدي اليوم اغزوه بجيشي ... واترك ارضه قفرا وبورا
ابا نبهان اجمع لي العساكر ... فيأتوا فوق خيل كالنورا
وجهز الف مركب يا وزيري ... وهيئهن في وسط البحورا

اسير بهم الـى تلك الاراضي	وامتلـك القلاع كذا القصورا
ويغنم عسكـري منهم مكاسب	ازوجهـم بنـات كالبدورا
ويبقى الحكـم لـي برا وبحرا	ويصفـي خاطري بعد الكدورا

فلما انتهى التبع من شعره ونظامه وفهم الوزير فحوى حديثه وكلامه ندم الذي اعلمه بهذا الخبر ولم يعد يمكنه الا الامتثـال وتجهيز الفرسان والابطال الى الحرب والقتال فنزل من الديوان وهو مقهور غضبان وامر بدق الطبل لاجتماع العساكر وكان هذا الطبل يقال له الرجوح وهو من اعظم الطبول وكانت تدقه عشرة من العبيد الفحول وهو من صنع ملوك التبابعة العظام وكانت الناس تسمع صوته من مسافة ثلاثة ايام وكان الملك حسان اذا غزا قبيلة من العربان يأخذ ذلك الطبل معه واين ما ذهب يتبعه ولم يزل هذا الطبل في ذلك الزمان يتصل من ملك الى ملك حتى اتصل الى الامير حسن سيد بني هلال المشهور بالاحسان والافضال فلما دقت العبيد الطبل وسمعت صوته قواد الفرسان اقبلت على الوزير من كل جهة ومكان فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وسألوه عن دق الطبل الرجوح فحدثهم بذلك الايراد والمسير الى تلك البلاد للغزو والجهاد ثم بعد ذلك فرق عليهم السلاح وآلات الحرب والكفاح ولم تكن الا مدة قصيرة حتى تجهزت المواكب وتجمعت العساكر من كل جانب وكان من جملتهم عشرة ملوك كبار كل ملك يحكم على الف بطل مغوار فحضروا امام الملك تبع حسان فسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فشكرهم وخلع عليهم الخلع الفاخرة والتحف الباهرة ووعدهم بالمال الجزيل وبكل خير جميل ثم امر الوزير للاستعداد والرحيل على غزو بني قيس وتلك البلاد وطلب منه ان يأتي بالعساكر لتمر من تحت القصر وهي في السلاح الكامل ليشاهد احوالها ويرى سلاحها واثقالها فامتثل الوزير

امره وفعل كما ذكر فانشرح صدر الملك عند رؤية العساكر والجحافل وهي في السلاح الكامل والاستعداد للحرب والقتال فأنشد وقال :

يقول التبع الملك اليماني — صفا عيشي وقد طابت فؤادي
عساكر كالاسود اتتني تسري — ألوف راكبين على جياد
عليهم كل درع من حديد — له زرد كما عين الجواد
وفيهم كل جبار عنيد — يقاتل الف ليث في الطراد
اسير بهم لذاك السير حالا — واقتل كل من يطلب عنادي
وارجع تماما في طيب عيش — ولا يبقى لتبع من يعادي
الا يا عسكري قروا وطيبوا — على نيل المقاصد والمرادي
ومني ابشروا فيما تريدوا — ومهما تطلبوه فبازدياد

فلما فرغ الملك من شعره ونظامه هتف الامراء واكابر القواد والجيوش والعساكر والاجناد بالدعاء للملك بالنصر وطول العمر وقد استبشروا في غزو تلك البلاد وايقنوا بالنجاح وبلوغ المراد ثم نزلت العساكر والاجياد في المراكب مع الامراء والقواد وكان الملك حسان قبل خروجه من الاوطان قد سلم زمام ملك اليمن الى الصحصاح بن حسان وهو ملك كبير وفارس شهير وكان الملك حسن يميل اليه ويعتمد عليه واوصاه ان يجمع له المال في كل عام ويرسله الى بلاد الشام ثم نزل مع الوزير في موكب كبير واقلعوا من الاوطان وقصدوا بلاد الحبش والسودان وعند وصولهم الى ذلك الجانب القوا المراسي ونزلوا الى البر بالقوارب ونصبوا الخيام والمضارب وفي الحال ارسل الملك تبع وزيرا اسمه زيد بن عقبة بالف فارس منتخبة ليعلم ابن اخته الرعيني بقدومه الى تلك الاقطار لانه كان ملك تلك الديار ويأمره بسرعة الحضور وتقديم الذخائر الى الجيش والعساكر فلما علم الرعيني بذلك الخبر بادر في الحال بالفرسان والابطال والمهمات الثقال

وسار الى ان التقى بالملك حسان جالس في صيوانه ومن حوله الوزراء والاعيان فسلم عليه وقبل يديه فقبله الملك حسان بين عينيه ثم قدم الرعيني الذخائر للعسكر وسأله لماذا اتى الى تلك الجهات فاعلمه خاله حسان بانه قاصد غزو بني قيس وتلك الاطلال ثم باتوا تلك الليلة في الخيام وفي الصباح امر الملك العشرة الملوك العظام ان يتأهبوا للرحيل الى بلاد الشام وينقسموا الى قسمين ويتفرقوا الى فرقتين فخمسة تسير من اليمين وخمسة من الشمال واوصاهم كلما اقبلوا على مدينة يملكوها في الحال ويقيموا فيها نائبا من سادات الرجال فاجابوا امره في الخضوع والامتثال فعند ذلك دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول وارتفع الصياح ولمع السلاح وترتبت الكتائب وسارت المواكب في تلك البراري والسباسب وكانوا كلما وصلوا الى مدينة امتلكوها بالسيف المهند حتى ملكوا اكثر البلاد وطاعتهم العباد وما زال تبع يتقدم حتى اقبل الى مدينة الشام واحاط بها من جميع الجوانب وكان نائب الملك ربيعة في الشام يدعى زيد بن علام وكان ربيعة واخوه مرة في وادي الانعمين وهو مكان يبعد عن دمشق مسافة يومين فأرسل الملك تبع الى نائب الامير ربيعة احد الوزراء العمد يطلب منه الخضوع لامره وتسليمه دمشق فلما وصل اليه ودخل عليه واعلمه بالخبر وما قال له تبع فاجاب بالسمع والطاعة ونهض مسرعا من تلك الساعة واخذ معه الاموال والذخائر وخرج في جماعة من الاكابر حتى التقى تبع في الخيام فحياه بالسلام فترحب به غاية الترحيب وامر له بالجلوس فجلس قريبا منه فقال له تبع هل انت حاكم الشام قال نعم ايها الملك الهمام فسأله عن حكم ربيعة فقال له انه ظالم على قومه وكل الرعاة تشكو من ظلمه وتتمنى له الاذى والضرر والموت الاحمر ، والحمد لله رب البرية الذي اعاننا بك حتى تتخلص من نير العبودية وسنخدمك خدمة مرضية ونصير لك من جملة الرعية .

وما كان قوله ذلك لتبع الا من الخوف والفزع فتبسم تبع من هـذا الكلام وقال له ابشر ببلوغ المرام فانك ستكون نائبي في بلاد الشام وتحمل لي الخراج كل عام فقال سمعا وطاعة يا ملك الزمان وجوهرة هذا الاوان ثم عرض عليه الذخائر وما جاء به من نفيس الجواهر فانشرح صدر تبع وخلع عليه الخلع وقال له اذهب الان مع وجوه اهل المدينة وباشر في الضيـافات والزينة فاننا سنحضر الى عندك بعد ثلاثة ايام وتتفرج على الشام ثم نرجع الى المضارب والخيام فقال اهلا وسهلا الارض ارضك والبلاد بلادك ثـم ودع الملك وسار بمن معه من الاكابر والتجار واخذ يسعى في امر الوليمة وقد خامر اهل الشام الخوف والفزع من السبي والهزيمة هذا مـا جرى لهؤلاء من الاخبار واما ما كان من ربيعـة وبني قيس الاخيار فانهم لمـا سمعوا بقدوم الملك تبع الى تلك الديار وافتتاحه المدن والامصار اخذهـم القلق والافتكار وكان قد بلغ ربيعة قول زيد الى تبع حسان وكيف انـه نسبه الى الظلم والعدوان مع انه كان من اعدل ملوك الزمان فاخذه الغضب والقلق وزاد به الحنق فجمع اكابر قومه واخوه مرة ومن يعتمد عليهم مـن اهل الشجاعة والقدرة وانشد يقول :

غنى ربيعة شعرا مـن ضمايره ... ودمع العيون على الوجنات طوفان
يا قومنا اسمعوا وامتثلوا قولي ... اتتـم بنو قيس ابطال وشجعان
كنا بخير وكان السعد يخدمنـا ... نقري الضيوف ونكسي كل عريان
جانا من البحر ذا التبـع يحاربنا ... صعب المراس شديد البطش سلطان
معه رجال عوابس الف الف بطل ... مـن كل درغام قلبه مثل صوان
جاز البلاد ومعـه امـير حالفه ... الكـل طاعوه القاصي مع الداني
اتى الينـا وما حسب حساب لنا ... منا ومـن غيرنا هو ليس فزعان
انا بقيت كبير السن يـا عزوتي ... مالي جلد القاه في وسط ميدان

مرة اخوي بهـذا الرأي ساعدني همام يا ابن اخي ما كنت كسلان
كيف العمل تنهزم او نقابلـه شوروا الصواب اخوتي والخلان

فلما فرغ ربيعة من شعره قالت السادات والفرسان ان هـذا الامر لا يطاق وعلقم مر المزاق وليس لنا غير الهزيمة فهي اوفر غنيمة والا حكم سيفه فينا ولا شانا عن بكرة ابينا وبعد مداولة وجلسة مستطيلـة استقر رأي الجمهور ان يذهبوا الى عند تبع المذكور فيسلمـوا عليه ويقبلوا يديـه ويطلبون الامان ويقدمون له التحف الحسان لعلهم يتخلصون بهذه الوسيلة من تلك الورطة الوبيلة • هذا ما كان من امر بني قيس واما الملك تبع فانـه في اليوم الثالث ركب في وجوه قومه وتوجه الى مدينة الشام لاجل الزيارة كما تقدم الكلام فلما بلغ الغاية ووصل السراية التقاه زيد بالتعظيم والاكرام واجلسه في اعز مقام وصنع له وليمة عظيمة ذات قدر وقيمة فأحسن اليـه وخلع عليه وفرق التحف الثمينة على اكابر اهل المدينة ثم رتب عليهم الخراج في كل عام وبعد ذلك رجع الى المضارب والخيام وهو مسرور الفؤاد على المرام • واما بنو قيس فمنهم جمعوا التحف الحسان والاموال التي يكـل عن وصفها اللسان من نقود وجواهر وذخائر ومهمات قماش فاخر حملوها على ماية جمل وركب ربيعة واخوه مرة في ماية بطل وساروا معهما جماعـة من الامراء والقواد الذين عليهم الاعتماد وجدوا في قطع البراري والقفـار حتى وصلوا الى تلك الديار وعند وصولهم الى المضارب نزلوا عن ظهـور النجائب واجتمعوا بخزندار الملك تبع واسمه ثعلبة بن الابشع فقدموا له تلك التحف الحسان ليقدمها الى الملك تبع حسان ويعلمهم بقدومهم الى الديار فقدمها الخزندار واعلم الملـك بمجيء القوم في ذلك اليـوم وان مرادهم الدخول عليه ليتشرفوا بتقبيل يديه ويحصلوا على امانـه ويكونوا من جملة خدامه واعوانه فتبسم تبع والتفت الى وزيره نبهان وقال له ايـن

ملوك قيس العظام الذين قلت عنهم ما هو كذا وكذا من الكلام واني لا اصلح ان اكون لهم من جملة الخدام وهم قد حضروا الان لتقبيل اقدامي ويكونوا من جملة اعواني وخدامي فقال الوزير وقاك الله من كل شر وضير وجعل عاقبة هذا الكلام الى خير فبينما بالحديث والكلام اذ دخل على الملك امراء بني قيس الكرام فقبلو االارض بين يديه ووقعوا على رجليه فأخذ تبع ينظر اليهم ويتأمل فيهم فحانت منه التفاتة فنظر الامام ربيعة واقفا في باب الصيوان وهو مثل الاسد الغضبان وكان الامام ربيعة لم يدخل مع قومه على الملك تبع حسان لان نفسه ما كانت تطاوعه على الذل والهوان فقال الملك تبع من هذا الانسان المعجب بنفسه غاية الاعجاب ولا حاسب لي ادنى حساب فقالوا هذا الاسد الغشمشم سيد بني قيس الامير ربيعة المعظم فلما سمع تبع هذا الكلام شخر ونحر وتبدل عيشه بكدر واحمرت عيناه حتى صارت مثل الجمر ثم ناداه فحضر وقد تعجب من عظم هيبته وبياض لحيته فسلم ربيعة عليه ووقف بين يديه فقال تبع أأنت سيد بني قيس الكرام فقال نعم ايها البطل الهمام فقال ولماذا أسأت الادب واحتقرتني دون باقي امراء العرب الذين تمثلوا امامي وقبلوا يدي واقدامي فتقدم الان وقبل رجلي يا مهان والا قتلتك بحد الحسام وجعلتك عبرة من الانام فاستعظم ربيعة ذلك الامر واحمرت عيناه من الغيظ حتى صارت مثل الجمر لانه كان اشرفهم حسبا واعلاهم نسبا ثم قال اعلم يا ملك الزمان اني مثلك من ملوك العربان صاحب قدر وشان وما ذللت نفسي لانسان وهذه بلادي ملك آبائي واجدادي وانا ما تعديت عليك ولا اوصلت اذيتي اليك بل انت شنيت علينا الغارة وامتلكت بلادنا والحقت بنا الخسارة وذلك بدون سبب فكفى الذي فعلته ايها الملك المهاب وقد بلغت منا مقصدك . فلا انت تقبل يدي ولا انا اقبل يدك . فلما سمع تبع منه هذا المقال خرج عن دائرة

الاعتدال وقال يا نذل بني قيس واذل من التيس اني ما اتيت من بـلادي بهذا الجمع المتزايد الا لاجعل زمام الدنيا في قبضة رجل واحد ثم انه صاح على الاعوان والخدام بصوت كالرعد في الغمام يا ويلكم اقبضوا على هذا الشيخ الكبير ومـن معه من بني قيس الطناجـير وقيدوهـم في الجنازير وامتثلوا امره في الحال وقيدوا ربيعة وباقي الرجال وبعد ان قيدوه امـر بشنقه فشنقوه وهكذا انتهت حياته وانقضت ايامه وساعاته وبقي معلقـا ثلاثة ايام حتى جاء نائبه الامير زيد الى الشام فغسله وكفنه ثم واراه التراب وجاءوا بباقي الرجال وارادوا ان يفعلوا بهم مثل تلك الفعال فانهزم الامـير مرة من بين ايدي الفرسان وتقدم الى عند الملك تبع حسان وقال الامان يا ملك الزمان نحن الان عبيدك وطوع ايديك وجميع امورنا راجعة اليك : فاغفو عنا فقد صرت لنا ملك ثم اشار يخاطبه بهذا الشعر والنظام :

مقـالات لمـرة فـي بيـوت ... صروف الدهر قـد جازت علينا
الا يـا امـير تبـع يـا مسمى ... ايـا ملك الورى فـي العالمينـا
قتلت اخي ربيعـة يـا مكنى ... واشمت العـدا والحـاسدينا
وتقتلنـي انـا يـا امـير بعده ... تهـد وصولنـا طول السنينـا
ونحنا يـا ملك حكـام مثلك ... على كـل القبـائل حاكمينـا
وقد حاربتنـا وحكمت فينـا ... ونحن اليـوم في حكمك رضينا
وبعد اليـوم صرنـا لك رعايا ... على طول الليـالي والسنينـا
وندفع دائمـا عشر المـال حالا ... فاحكم مـا تريد اليـوم فينـا

قال الراوي فلما سمع تبع شعره ونظامه عفا عنه واعطاه الامان وكذلك صفح عن باقي الامراء وجعلهم من جملة الرعايا يدفعون له الخراج في كل عام وقال لمرة يا سيد القوم قد صممت ان اتخذ مدينة الشام كرسي مملكتي بعد هذا اليوم فسر انت واهلك من هذه الديار وتفرقوا في الاقطار وكونوا

لاوامري سامعين ولحكمي خاضعين طائعين ثم انه قسمهم الى عدة فرق واقام على كل فرقة ملكا من سادات بني قيس فجعل الامير مرة على الفرقة الاولى وامره ان يسكن مع قومه في نواحي بيروت وبعلبك والبقاع وجعل الامير عبس على الفرقة الثانية وامره ان يقيم في بلاد العراق وتلك المنازل والآفاق وكان الملك تبع قد شتت بنو قيس بهذه الوسيلة خوفا من ان يقع منهم في حقه مكيدة او حيلة . ثم انه التفت الى الامير مرة وباقي السادات واشار اليهم بهذه الابيات :

يقول تبع المدعو اليماني	ابا مرة لكم مني الاماني
الا يا قيس روحوا لا تخافوا	فقد سدتم على اهل الزمان
ربيعة انت يا مرة بداله	كبير القوم من قاص ودان
واولاده فانت موضع ابوهم	وانت اكبرهم فيهم تعاني
ولكن جلق لا تسكنوها	وكونوا في امان مدى الزمان

فلما فرغ تبع من كلامه وشعره ونظامه اجابت بنو قيس امره بالامتثال وتفرقت جموعهم في البراري والتلال وهم يبكون على ما جرى عليهم وما وصل من الاذى اليهم لانهم كانوا في ارغد عيش واهناه وفي عز وجاه كلمتهم بين الناس مسموعة ورايتهم فوق هام المجد مرفوعة لا يعرفون الهم والكدر ولا يأخذهم قلق ولا ضجر الى ان اصابتهم البلية وحلت بهم الرزية فبكوا على تفريق بعضهم البعض وتشتتهم في اقطار الارض ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق هو ما جرى للاربعة اخوة الذين اشتهروا من قيس بالحمية والنخوة وذلك انه كان لزوجة الامير ربيع المذكور والد كليب والزير الفارس المشهور اربعة اخوة من الذكور وهم (جوشن وناجد وجودر والامير منجد الاسد الغضنفر) وكانوا من اجود الناس قد اتصفوا بالشجاعة وقوة البأس فلما رأوا افعال تبع الشنيعةوكيف

انه قتل صهرهم ربيعة ساءهم ذلك الامر وتوقد قلبهم بلهيب الجمر لكنهم اخفوا الكمد واظهروا الصبر والجلد فحملوا بيوتهم وعيالهم وساقوا غنمهم وجمالهم وجدوا في قطع البراري والاحكام حتى وصلوا الى بلاد الشام ونزلوا بقرب صيوان تبع حسان فقال لهم من تكونون من العربان فقال له ناجد اعلم ايها السيد الماجد اننا من خيار العرب اصحاب الحسب والنسب وكان الامير ربيعة متزوجا باختنا جميلة وكنا في زمانه في نعم جزيلة والآن قد امسينا في ذل وهوان ليس لنا قدر ولا شأن وقد اتينا اليك وجعلنا اعتمادنا بعد الله عليك لعلك ترحمنا وترثي لحالنا وتبلغنا منك غاية آمالنا وتجعلنا لك من جملة الاعوان والعبيد والغلمان فتستقيم امورنا بعد الذل والكدر ونحظى بالشرف الرفيع وبلوغ الوطر فاعجبه كلامهم وبلغهم مرادهم وجعلهم من جملة وزرائه واكابر امرائه وكان يستشيرهم في اكثر الاوقات يفضلهم على الرؤساء والسادات وكانوا يترقبون الفرص ليأخذا بالثأر ويزيلوا العار ولما بلغ تبع الغاية دخل الى دمشق ونزل بالسراية وطاعته العباد وخضعت له سائر البلاد وشاع ذكره في الاقطار وتحدثت به الملوك الكبار واستمر على هذا الحال ثلاثين سنة تهاديه الاكاسرة وتهابه الملوك القياصرة وقد بنى قصرا مرتفع البنيان مشيد الاركان وجعل ابوابه من الفضة والذهب ورصع حيطانه بالجواهر والدرر فكان من عجائب الزمان لما فيه من التحف الحسان التي تدهش النواظر وتحير العقول والخواطر فاتفق ذات يوم وهو جالس في الديوان وحوله الاكابر والاعيان وهم يتحدثون بذكر نساء العرب اللواتي اشتهرن بالفضل والادب والحسن والجمال واللطف والكمال فقال احد الوزراء انه لا يوجد في هذا الزمان بنت بين بنات العربان كاملة من المحاسن والاوصاف البديعة اجمل من ابنة مرة اخي ربيعة واخذ الوزير يطنب في اوصافها وقال وهي مخطوبة لابن عمها الامير كليب ومراده ان يتزوج بها في هذه الايام فهنيئا لمن كانت زوجته

وقرينته وحبيبته فلما سمع تبع بذكرها وانها من اجمل بنات عصرها اشتد غرامه بها وتعلق قلبه بحبها وكتب الى ابيها مره كتابا بالحال يأمره ان يرسل له الجليلة بدون اهمال لان مراده ان يتزوج بها ويكون صهره وبهذه الوسيلة يعلو بين الناس قدره ثم ختم الكتاب بهذا الشعر والنظام وبه يتهدده بالانتقام ان لم يمتثل الى هذا الكلام واشار يقول :

يقول التبع الملك اليماني ... ملكت الارض والسبع البحار
الا يا غاديا مني لمرة ... على فرس تشابه ريح ساري
ايا مرة فارسل لي الجليلة ... بلا اهمال من بين السراري
سمعت بانها زينة مليحة ... ويخجل حسنها ضوء النهار
اريد تكون باكر وسط قصري ... وتتسلط على كل الجواري
وارسل جزية السبع المواضي ... خزاين في صناديق كبار
واحضر يا ملك مرة لعندي ... واخضع لي بذل وانكساري
وادخل عالجليلة وسط قصري ... واتمتع بها واطفي لناري
واعطيك البقاع الى بعلبك ... وارفع لك مقاما في جواري
وان لم تمتثل قولي وامري ... تراني جئتكم مثل الضواري
وامحي جمعكم في حد سيفي ... وانهب مالكم وانال ثاري

ثم امر وزيره نبهان ان يركب في جماعة من الفرسان ويقصد تلك القبيلة ويسلم الكتاب الى مره ويأتيه بالجليلة فامتثل امره وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى تلك الديار فرأى القوم في سرور وافراح وشرب مدام وانشراح لانهم كانوا مهتمين في زواج كليب بالجليلة بدر التمام فلما سمع مره بقدوم وزير تبع خفق قلبه من شدة الخوف والفزع فنهض في الحال واستقبله احسن استقبال ثم اتى به الى الخيام واحترمه غاية الاحترام وامر الخدام ان يأتوه بصفرة الطعام وآنية المدام فامتثلوا امره كما ذكر وبعد ان

اكلوا ولذوا وطربوا قال الامير مره الى الوزير اعلم ايها الوزير الخطير لقد زاد سرورنا الان وتزينت بقدومك الاوطان ثم سأله عن سبب زيارته وما هي غاية حضرته فقال اتيتك بكتاب من تبع ملك الاعارب وبه يطلب ابنتك امرأة له وانت تعلم بطش هذا الجبار وفعله فقد قال المثل لا تعاند من اذا قال فعل وانا والله في غاية الخجل وليس لي ارادة بهذا العمل لكنني أتيتكم في زي رسول وما على الرسول الا البلاغ المبين ثم اخرج الكتاب وسلمه اياه ففتحه الامير مرة وقرأه ولما وقف على حقيقة فحواه انقطعت امعاؤه وصل عقله وتاه لانه ان ابى وامتنع بقتله الملك تبع وان اجابه الى ما طلب يصير معيرة بين قبائل العرب وتشتمه الناس وتزدريه لانه كان انعم بزواج ابنته الى كليب ابن اخيه فانذهل وحار واخذه القلق والافتكار واشتغل قلبه بلهيب النار فاطرق رأسه الى الارض واخذ يتأمل في عاقبة هذا العمل فلم يجد سوى الخضوع والامتثال لاوامر تبع في الحال خوفا من العواقب وحلول النوائب فالتفت الى الوزير نبهان وقال له امام الامراء والاعيان ومن حضر في ذلك المكان لقد اجبت الملك الى ما طلب وبلغته من ابنتي غاية الارب لانه ليس بعد الله سوى امره ورضاه لانه الملك الاكبر وبمصاهرته نحظى على الشرف والحظ الاوفر وبعد ثلاثة ايام نكمل جهازها بالتمام فنضعه بالصناديق ونحمله على ظهور الجمال مع باقي الامتعة والاحمال وتركب الجليلة في هودجها وتسير امامها الفرسان وتذهب انت معنا الى عند الملك تبع حسان فانشرح صدر الوزير بهذا الكلام وايقن ببلوغ المراد والحصول على الخلع والانعام فبات تلك الليلة في امان وهو مسرورفرحان.

واما الامير مره فانه استدعى بكليب سرا اليه وقص الخبر عليه وقال اعلم يا ثمرة حياتي ومن هو اعز اولادي ان الضرورة احوجتني الى ذلك خوفا من الوقوع في المهالك وقد اعلمتك بما جرى وتجدد فما رأيك ايها البطل الامجد فلما سمع كليب هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام

وقال ارجوك ان تمهل الوزير ثلاثة ايام عن المسير حتى انظر في هذا الامر العسير .

قال الراوي وكان لكليب صديق يتمنى له النجاح والتوفيق يدعى العبد نعمان وكان كثيرا ما يعده بالخير والاحسان فقصده في تلك الليلة واخبره بما جرى وكان من امر الملك تبع فقال له ابشر بالخير يا نور العين وعندي ان تجهز مائة صندوق يكون كل واحد منهم بطبقتين ففي الطبقة الواحـدة نضع فارسا من ابطال المكافحة والمجالدة وفي الثانية جهاز الجليلـة وانت تكون مهرجا لها امام سادات القبيلة وبهذه الوسيلة تتم الحيلة وتنال المراد من رب العباد واعلم لا خفاك انه عند وصولك الى هناك تجد سلسلة مـن النحاس الاصفر معلقة فوق الباب الاكبر وهي مرصدة من سحر هذا الزمان لهلاك من اراد الضرر للتبع حسان فتقع عليه بالحال وتذيقه الوبال فخـذ لنفسك الحذر واتكل على اله البشر فهو يحفظك ويحميـك وينصرك على جميع اعاديك فاذا بلغت الارادة وفزت بالسعادة بنيت مسجدي برسم العبادة وخذ لك هذا السيف الخشب وبه تنال القصد والارب واشار يقول :

قال عمران يـا ابـن ربيعـة ... اتـاك الخـير وسعدك تـم

روح لقـومـك بشـرهـم ... وقـول لعمـك وابن العـم

وبشر المسمـى همـام ... بـان الشمـل اليـوم يلتـم

وقـول السعـد اتـى لقيس ... واستوفى ثـارك والـدم

تـأخذك ثـارك مـن التبـع ... وتسقيـه الخمـر بكأس السم

هذا السيف تقلـد فيـه ... وفـي كفـك يـا امير يتـم

والبس قموعـة شمـوطـه ... تبقى تضـرب فيـه بعـزم

وحـط بعينـك عرق الشعب ... تبقـى احمـر مثـل الدم

وحط عروسـك فـي هـودج ... وقـود بهـا زمـام وزم

وسوى عرضك قشرها ... احذر منه في حقك دم
وان واحد قلك ما تكون ... فاعجل واعمل حالك صم
والعب وارقص واتهرج ... واحفظ ما يخرج من الفم
عمك مرة والفرسان ... باكر لعندي تلتم
وانا دبرت اهل الرأي ... من خالف قولي يندم
وسير لعنده بالابطال ... قبل ما يغضب وينسم
سلسلة معمولة هناك ... بعلم السحر مع الطلسم
تبين كل اعداء ساعة ... احذر منها لا تعدم
طيب قلبك لا تغتاظ ... من ذا العايق لا تهتم
سألت المولى ينصركم ... ويزيل عنكم كل الهم

فلما فرغ العابد من كلامه وعد كليب ببناء المقام على احسن نظام ثم رجع على الاثر واعلم عمه الخبر وقال له يقتضي الان ان نبادر باتمام هذا الشأن وننتخب ماية من الفرسان ونضعهم في الصناديق على ظهور الجمال مع باقي الجهاز والاموال في صفة امتعة واحمال على عيون الرجال ويكونوا جميعا بالاسلحة الكاملة والعدد الشاملة وتركب الجليلة في هودجها وهي مزينة بالجواهر ويكون في صحبتها جماعة من السراري يدقون امامها بالدفوف والمزاهر وانا اجعل نفسي مهرجا لها وقائد لزمام ناقتها وندخل على تبع بهذه الوسيلة فان تمت عليه الحيلة نلت المرام واخذت بثأر ابي ومن قتل الملك تبع يقع في قلب قومه الخوف والفزع فاستصوب الامير مره كلام كليب وعلم انه سينال المراد فقال لقد قلت الصواب فافعل ما تريد وكان قد امهل الوزير ثلاثة ايام حتى تمت هذه الامور والاحكام وقد اطلع مرة ابنته الجليلة على ما تقدم ذكره وعلى ما قصد كليب فعله . فلما كان يوم الارتحال انتخب كليب ماية من الابطال وقص على مسامعهم واقعة الحال ثم وضعهم في صناديق الاحمال وحملوهم على ظهور الجمال وكان من

جملتهم الامير جساس وجماعة من عظماء الناس وركبت الجليلة في هودجها وركب ايضا الوزير والامير مرة وجماعة من فرسان القبيلة وتقلد كليب بالسيف من تحت الثياب ولبس فروا من جلود الثعالب والذئاب وارخى لنفسه سوالف طوال من اذناب الكدش والبغال وركب على قطعة من قصب وحمل دبوسا من خشب وكان يقود بزمام ناقة الجليلة امام القبيلة فلما رآه الوزير نبهان قال لبعض الفرسان من يكون هذا الانسان فان زيه عجيب وحاله غريب فقالوا هذا مهرج الجليلة بنت مرة واسمه قشمر بن غمرة فزاد عجبه وتبسم وهو لم يعلم بانه كليب الاسد الغشمشم وكانت السراري تدق امام الجليلة بالمزاهر والدفوف والفرسان تلعب بالرماح والسيوف وما زالوا يقطعون البراري والآكام مدة ثلاثة ايام حتى اقتربوا من مدينة الشام فنزلوا هناك ونصبوا الخيام ورفعوا الرايات والاعلام وارسلوا رجلا من اكابر العمد لكي يعلم تبع بوصولهم الى البلد فسار على الاثر واعلم تبع بذلك الخبر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وكان عنده رمال شاطر فحضر بين يديه فقال له التبع اضرب لي تخت الرمل فجلس وضرب الرمل فرأى جميع ما فعلته بنو قيس وقال الصناديق فيها رجال واشار يقول :

قال الفتى الرمال صادق	سقاني الدهر كاسات المرارا
تبعت الرمل مذ كنت طفلا	وقبلته يمين مع يسارا
ولا احد مثلي بالرمال عارف	ولا غيري يعرف كيف سارا
اخط الرمل باربع امهات	واولد الصغار مع الكبارا
الا يا امير تبع يا ملكنا	يا اعز الرجال يوم غارا
اقلك عن التقادير والجنايب	وتحسب انهم جابوا لك تجارا
جوا يا ملك هم يقتلوك	ويسبوا القصر بعدك دشار
صناديق اللي لك حملوها	بها ابطال بالعدد امارا
يريدون قتلك يا ملك عاجل	لهم ثار عليك واي ثارا

قال الراوي فلما فرغ من كلامه والتبع يسمع نظامه نادى على العبيد فحضروا ماية عبد وقال لهم روحوا الى العمارة وكل صندوق تلاقوا فيه رجال كسروه فانطلق العبيد الى العمارة وهم سعد وسعيد وبقية الماية عبد هذا في يده عصا والاخر في يده بلطة والثاني في يده دبوس حديد ولما وصلوا الى العمارة ابتدأوا بكسر الصناديق فكسروا الاول والثاني الى العشرة فصاحت بهم يا عبيد السوء لماذا تكسروا صناديقي فقالوا لها العبيد ان الرمال قال ان هذه الصناديق رجال فقالت لهم اسمعوا حتى افتح لكم اياها لتروا الرجال الذين في الصناديق وتقدمت وفتحت لهم عشرة صناديق فما وجدوا فيها غير جهازها والقماش فقالت ان الرمال كذاب وعادوا يردون الجواب لتبع لهم كلام • ثم يرجع الكلام الى عجوز يقال لها حجلان وكانت رماله وهي التي علمت الرمال فبان لها جميع ما فعلوه بني قيس وتبين لها ان الصناديق طبقتين في السفلى رجال وفي العليا قماش فافتكرت ساعة من الزمان وضربت ثاني رمل فرأت بني قيس يقتلون التبع لا محالة فقالت خير لي اخذ الوجه الابيض عند بني قيس فقامت واخذت عصاتها بيدها وسارت الى ان وصلت لعند بني قيس وهم في ارتباك عظيم فقالت اتيت من عند تبع فقالوا لها وما قصدك قالت قصدي كشف الصناديق لان الرمال قال ان فيها رجال ففتحوا لها اول صندوق والثاني فقالت اني ارى الصناديق من الظاهر ذات عمق ومن الدخل بخلاف ذلك وضربت على الطبقة السفلى فلما رأوها عارفة قالوا لها استري على ما ستره الله وفتحوا صندوق عطوها ثلاث بدلات حرير فقالت لهم من الان وصاعدا اساعدكم على قتل تبع ثم ان العجوز طلعت الى عند تبع والرمال بين يديه وهو يضرب الرمل لان العبيد اخبروا تبع بما شاهدوه وكذلك العجوز اخبرته كما خبروا العبيد فقال تبع يا عجوز الرمال كذاب قالت ان الرمال عمي من اكل البصل والتوم فامر الملك بضرب عنقه وراحت روحه الى سقر ووادي الاحمر وتقدمت

العجوز الى الملك واشارت تصف حسن الجليلة وما اعطاها الله من الحسن والجمال :

تقول العجوز التـي شاهـدت — مليحـة تزيـح العنا وصدود
يا امير تبع يهنيك فيهـا السعد — واقبـل الخـير لك والسعـود
اتوك بنو قيس اهـل السماح — وجابوا لك الخيـل ثم النقـود
وجابوا الجليلة لشخص جليلـة — بخـدين حمـر وعينين سود
وقامـة طويلـة كعود القنـا — فـوق الكتـاف ترخي الجعود
بشعر طويـل ورمش كحيـل — بـلا جر ميـل تصيد الاسود
حواجب كالقوس ترمي الهموم — وذات خزام الذهب على النهود
وذات شفـاف رقـاق نظـاف — الفاظها حلـوة تزيل النكـود
ولها وجه اكيـد بليلـة القدر — ووجنـات حمـر كما الـورود
وجسم رقيق ورقيق وحيـق — وسنـان لولو سبـت الـورود
لهـا عنـق كعنق الغـزال — وطوق الـذهب يوقد وقـود
كتـاف كالعاج مثـل الزجـاج — والنقش مـواج فوق الزنـود
وكف اطـرى مـن اليـاسمين — مـن حواها ينـال السعـود
وصدر كاللـوح خلقـة الاله — وقد زين الصدر جوز النهـود
واعطاف وارداف مثل العجـين — خلـق الالـه مهيمـن ودود
امـا الحجـول تزيل العقـول — حـب الطـرف يطفي الصدود
امـا القلائـل سناسل ذهوب — من الرأس مكعوب مثل البنود
وملبوسها مليـح حرير مقصب — مطيب بمسك وزهـر وعـود
وان شافهـا رجل عابـد فقيه — غـدا العقل منـه شارد شرود
قد زينوا بني قيس لـك عرسـا — تجلي لاجلـك كل هم وكـود
للملـك حقـا قـد احضروا — مليحة حلالها يغني عن النقـود
فارسل وراهـا وخلي المحـال — واسمع كلامي واجلي الصدود
وادخل على بنـت مـرة وكن — لطيفـا يقطف ثمـار النهـود

قال الراوي فلما فرغت العجوز من كلامها والملك تبع يسمع نظـامها فراح عقله من وصف العجوز ونادى على الوزير يأمره ان يحضر الجليلـة بالتبجيل والتكريم ومن خلفها السراري بموكب عظيم فذهب الوزير واحضر الجليلة لتبع وكان جالسا على كرسي المملكة وعلى رأسه تاج مـن الذهب الفاخر مرصعا بانواع الجواهر فسلمت عليه فرد السلام وآنسها بالحديث والكلام وقال لها اهلا وسهلا بالسيدة الكريمة والدرة التي لا يقدر لهـا قيمة ثم اجلسها بجانبه وترحب بها غاية الترحيب وقد ابهر من فرط جمالها وعذوبة الفاظها وفصاحة مقالاتها لانها كانت متصفة بالادب ومن اجمـل نساء العرب فاخذ يسألها عن اهلها وعشيرتها فقالت له بكلام الدلال اعلـم ايها الملك المفضل ان اتصالي بجانبك وتشريفي ببابك جعل لقبيلتنا اسمـا كبيرا وذكرا بين الناس شهيرا كيف لا وانت ملك هذا الزمان الله يحفظـك لنا ويبقيك وينصرك على جميع حسادك واعاديك فان كنت تعظم شأنـي وترفع مرتبتي على اقراني لا تترك ابي واعمامي وسادات اهلي واقـوامي بعيدين عن فضلك واحسانك لانهم قد صاروا من جملة اتباعك واعوانك فاحب ان تأمر لهم بمكان ينزلون فيه الان وتأمر بصناديق جهازي فـاحب الاحمـال ان تحضر الى هنا في الحال لانها مملـوءة بالتحف والجـواهر والقماش النفيس الفاخر فامر تبع وزيره نبهان ان يذهب في جماعـة مـن الاعيان ويعد قصرا من القصور الجميلة الى الامير مرة ابو الجليلـة ومن معه من بني عمه وان تنزل بقية الفرسان بمكان اخر ويقدمون لهم الطعـام والشراب وما يلزم من الثياب فاجاب الوزير بالسمع والطاعة وفعل كمـا امره مولاه من تلك الساعة وبعد ان نفذ الوزير الامر وضع الصناديـق داخل القصر التفت الملك تبع الى مرة وقال له يا عمي ما بقي من بعـدي الا انت في مقامي فان غبت تكون انت حاكم مكاني ثم انه قر به اليـه واخذ يترحب بالجليلة ويقول .

يقول تبـع اليمنــي الكبار	ابـا قيس زال الهـم عني
الا يـا مرحبـا يـا امير مـرة	انـا منكم واتنوا اليـوم مني
ترى لـولا الجليلة لـي تعاقب	وجابت لي الحسب والنسب مني
فمـا علمتـم اننا يمينا وقيسا	مـن جـدين اخويـن بظنـي
بقينـا اولاد عـم يـا مسمى	والذي راح راح بـلا توانـي
فـلا تعتب علي بقتـل اخيك	مـا قـد صار بالعلم منـي

قال الراوي فلما فرغ تبع من كلامه والحاضرين يسمعون نظامه اخذوا الكاس والطاس وقال للجماعة حلت البركة فيكم فقعدت بنو مرة تشرب معه المدام وشرب الملك تبع حتى سكر وغنت البنات ورقصت وقال تبع للجليلة يا سيدة الملاح وكوكب الصباح قد اجرينا المطلوب طبق المرغوب فهل لك غرض اخر حتى نقضيه ونفعل ما ترغبيه وتشتهيه وكان مرادها ان تستدعي كليب الى عندها وقد سمعت صوته وهو يصيح من جوانب القصر لانه كان راكب على فرسه القصب وبيده دبوس من خشب وكان يرقص في البستان وينتقل من مكان الى مكان فقالت نعم ايها السيد الماجد بقي لي غرض واحد وهو ان لي نديم اسمه قشمر لا يوجد مثله بين البشر حلو الصفات سريـع الحركات يضحك الاحجار بافعاله ويزيل الغموم بغرائب اعماله وقد احضرته هذه المرة في خدمتي ليسليني عند حزني وشدتي فان حسن لديك فـارسل من يحضره اليك ويلعب بين يديـك فيزداد سرورك وانشراحـك وتزول احزانك واتراحك فضحك من كلامها واجابها الى مراميها وامر احد الخدام بادخاله ليرى طرفا من اعماله وعند وصوله الى باب الايوان نظر السلسلـة التي نظرها العابد نعمان فامتنع عن الدخول واخذ يتكلم بكلام مجهـول ويقول ما هذه الحيلة التي اراها وانا خايف من شرها فقال ادخل وما عليك من بأس فما هي الا سلسلة من نحاس فابى وامتنع وهو يظهر على نفسه الخوف والفزع ولما طال المطال التفتت الجليلة الى تبع في الحال وقالت لـه

يدهش بافعاله العقول فانه مع كثرة هزله وخفة عقله جميل الصورة فصيح الخطاب سريع الكلام في الجواب فقالت له صدقت فيما نطقت فانني لم ار رجلا مثله بين الانام في الزلاقة وفصاحة الكلام وان بقي عندك عشرة ايـام يقوم بمنادمتك حق المقام ويدعك مشروح الخاطر على طول الزمان ثم قال قشمر وهو كليب للتبع حسان ان كنت تريد ان تطرب الان فامر سيدتـي الجليلة ان تغنيك بابيات من الشعر فان صوتها مليح ولفظها فصيح طقـال لها هل تحسنين الغناء يا سيدة النساء فقالت اي وابوك فان كنت تريد مني اغنيك واطربك واسليك فامر قشمر ان يقفل الباب لئلا يسمعني احد مـن الخدام والحجاب فاستصوب تبع كلامها وامر قشمر ان يقفل باب المخدع فقفله وعاد بالعجل وقد ايقن ببلوغ الامل وانشدت الجليلة تقول من فؤاد متبول :

لقد قالت الجليلـة بنـت مرة	شربـت الخمـر مـا بين الامارة
شربنا الخمر في كـاسات جوهر	فـزال العقل واصبحنا سكارة
بحضرة تبـع الملـك المسمى	بحسان اذا مـا شن غـارة
وقد امسيت في قبضة يديـه	ومـن حبه شعـل بقلبـي ناره
الا يـا حارس البستان صنـه	وان فرطـت فيه الطـير طـار

قال الراوي فلما انتهت الجليلة من هذا الشعر والنظام زاد بالتبـع الوجد والغرام وسكر من غير مدام وقال مثلك فلتكن النساء فقـد زاد سرورنا في هذا المساء وكلما رآه كليب قد زاد في الطرب اخذ يرقص امامه ويلعب بالسيف الخشب فقال له تبع عيب عليك يا قشمر ان ترقص في هذا السيف امامي فقالت الجليلة بحياتي عليكان تبلغه الارب وتعطيه ما طلب فانك ترى منه العجب فأمره ان يدخل قاعة السلاح فيأخذ السيف ويرجـع بالعجل فاجاب كليب وامتثل وكانت الجليلة اومت اليه ان يسرع في العمل

وعند دخوله الى ذلك المخدع وجد سلاح الملك تبع فلبس الدرع وتقلد بالسيف ووضع الخوذة على راسه وخرج بالعجل كانه قلة من القلل او قطعة فصلت عن جبل وبدأ بفتح صناديق الاحمال واخراج الفرسان بكلام الدلال اعلم ان قشمر من اخوف البشر فان حسن لديك ولم يصعب عليك فأمر الخدام والحجاب برفع السلسلة عن الباب فرفعوها واتوا بقشمر اليه فلما صار بين يديه وسلم عليه دعا له بطول العمر والبقاء ودوام العز والارتقاء واخذ كليب يمزح امامه ويلعب بسيفه الخشب قدامه وهو في تلك الثياب التي ذكرناها والصفة المضحكة التي وصفناها فكان تارة يحلق بعينيه ويرقص على الارض بيديه ورجليه وتارة يقول ابن الفرسان والفحول وابن ابو عطبول واحيانا يرقص ويضحك بدون سبب وهو راكب الفرس القصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب فكان من اعجب العجب فاندهش تبع من اعماله واستغرب من احواله واقواله فقال للجليلة والله يا كاملة المعاني وشريكة عمري وزماني لقد اصبت في منادمة هذا البهلول الذي والابطال في ساحة الدار ووقفوا له بالانتظار فسل الحسام من غمده بيده ثم دخل على الملك وقد احمرت عيناه وتذكر اباه فصال وجال ولعب بالسيف كما تلعب الابطال في ساحة القتال وهجم عليه فعرفه حينئذ الملك تبع فانقطع قلبه من الخوف وايقن بالهلاك فقال له بالله عليك يا سيد الشجعان وفارس الميدان ان تعفو عني وتسمح عما فرط مني فقال لا بد من قتلك كما قتلت ابي واكون قد اخذت ثاري وبلغت مرامي فقال تبع اذا كان لا بد لك من هذا الشأن فامهلني ساعة من الزمان حتى افيدك عن جميع الامور والاحوال التي تحدث الى اخر الاجيال فقد اتضح لي الحال ووقعت في شرك العقال ثم انشد يقول :

(الملحمة الكبرى للتبع حسان)

يقول التبع الملك اليماني ... لهيب النار تشعل في فؤادي
امير كليب يا فارس ربيعة ... ويا حامي النسا يوم الطراد
اريد اليوم ان اعلمك شيئا ... لتعرف حال اخبار العباد
فموسى كان في الدنيا نبيا ... له التوراة اعطت للرشاد
وداوود النبي قد جاء بعده ... يبشر بالزبور اهل الفساد
وعيسى ابن مريم جاء ايضا ... بانجيل الخلاص لكي ينادي
نبي لم يكن في الناس مثله ... لان الله اختاره يفادي
فكم ميت بكلمته اقامه ... ومسقوم شفاه من الوساد
وعندي قد تبين بالملاحم ... بانك قاتلي دون العبادي
وبعده شاعر تنزل عليكم ... وتفتن بين قيس في البلاد
وانت برمح جساس ستطعن ... وعبدي يذبحك بين الجماد
وتكتب في دمائك على البلاطة ... لمن بعدك لتشتيت الاعادي
ويأتي الزير ابو ليلى المهلهل ... فيصلي الحرب في كل البلاد
ويقهر كل جبار عنيد ... بضرب السيف في يوم الجلاد
وتأخذ الجليلة لك قرينة ... وتحظى بالمسرة والمراد
ويظهر لك غلام بعد موتك ... يسمى الجرو قهار الاعادي
يقتل على يده جساس خاله ... واما الزير تقتله الاعادي
وسيف ذو يزن بعدك سيظهر ... وتصحبه السعادة في العباد
ويبقى ملكه سبعون عاما ... وبعد ذلك يطوى في الوهاد
ويظهر له ولد يدعى بدمر ... شديد البأس مرفوع العماد
فيملك في بلاد الشام بعده ... يجيب الماء من اقصى البلاد
وبعده يظهر المدعو بعنتر ... يهبن الضد في يوم الطراد

وبعده يظهر الهادي محمد ... يقيم الدين ما بين العباد
واصحابه معه عشرة كوامل ... كرام الناس سادات البلاد
ابو بكر وسعد مع سعيد ... وطلحة والزبير ابن الجياد
وعثمان مع عمر وعلي ... وعامر مع حسين اهل الرشاد
يموت الهاشمي ويصير خليفة ... على الاحكام بعده بالعباد
ابو بكر يموت بلسعة حية ... وبعده عمرا يقتل بالطراد
علي بالسيف يرديه ابن ملجم ... يتيما انتشى بين الولادي
ولا يعرف له قبر محقق ... على وجه الثرى بين العباد
وتختلف الصابة على الحكم ... ويحكمها حسين بالبوادي
وبعده بنو امية سوف تحكم ... واولهم معاوية ابن وهاد
ومن بعده بني العباس تحكم ... سنين كثيرة بين العباد
وبعده الخوارج سوف تظهر ... يثيروا الفواحش والعناد
يقيموا الشر في كل الاراضي ... ويملوا الارض طرا بالفساد
وتظهر في بلاد السر وعصبة ... فيقصد جيشا غرب البلاد
هلال وعامر من آل قيس ... يزيدوا حرب حمير مع اياد
حسن اميرهم فخر البرايا ... بعده دياب قهار الاعادي
وابو زيد ابن عمه ليث اروع ... شديد البأس في يوم الطراد
يطوفون البلاد فيملكوها ... ويسبون العدا اهل العناد
ويمحون العجم من كل طاغ ... بارماح واسياف حداد
وقبرص والجزائر يملكوها ... وبدريس الخزاعي والاعادي
شبيب التبعي بالشام يقتل ... وتترك جثته فوق الجماد
وسركيس بن نازب سوف يقتل ... بسيف ذياب قهار الاعادي
كذا فرمند في مصر العدية ... ستخرب دورها بين البلاد
وبعده يظهر الاشطان ظالم ... خبيث الاصل من قوم شداد

بنو ايوب تظهر بعد منه   يقيمون الدين من بعد الفساد
ويظهر ابن عثمان المساعد   بأرض الشرق ويحكم بالعباد
ملوك الارض تخشى من لقاهم   لان جيوشهم مثل الجراد
عداد ملوكهم عشرة وعشرة   وتسعة بعدهم دون ازدياد
ويظهر تمرلنك من الاعاجم   وجنكيز خان من الاعادي
ويظهر بعده ملكا قويا   يثير الحرب في كل البلاد
طويل الجسم مغضوب عليه   له اسمين من طاهر وبادي
يقيم السيف في الاقطار عمدا   ويجري الدم في كل البوادي
ويظهر فارسا يدعى قطيعة   فعشر سنين يظلم بالعباد
ويظهر بعده الدجال حقا   فتتبعه الورى اهل الفساد
بطرف الارض من شرق وغرب   ويفعل معجزات في البلاد
ويظهر ضده المهدي سريعا   ويسطع نوره في كل وادي
ومعه عيسى سمي ابن مريم   فيقتله ويملك في العباد
وبعده داية تظهر سريعا   فتفعل معجزات في البلاد
ونار من عدن تظهر وتسطع   فتشكو الناس من هول النكاد
وبعده الشمس تظهر من مغيب   وتزداد الخلائق في الفساد
ويأجوج وماجوج جميعا   تحيط رجالهم كل البلاد
فلا نهر الفرات لهم يجري   ولا سيحون والدجلة المداد
وتغشى الارض موتا يا كليا   وجوع وقتل في كل العباد
ونيران تعم الارض طرا   على اعلى الجبال وكل وادي
وبعده يغلق باب المراحم   وباب الشر يفتح بأرتصاد
فلا يصعد ولا يأتي جواب   فذاك الوقت يحترق العباد
ونيران ستظهر من جهنم   وينفخ ريح من اقصى البلاد
يموت الخلق ميه ليس يبقى   سوى الرحمن خلاق العباد

وبعـده يظهر الديـان حقـا ... الـه العـرش ديـان العبـاد
فعندي الجفر قـد اخبر مؤكد ... بـما اخبرتكـم دون ازدياد
واسمع يـا امـير كليـب مني ... حقـائق قصتي وافهـم مرادي
وما علت عن حـالي وضعفي ... اجرني يا ملك واطلق قيـادي
واعلم يـا امـير انـي عتيقك ... مدى عمري الـى يوم المعـاد

فلما فرغ الملك تبع من هذه الملحمة وسمع كليب ما فيها مـن الاخبار المتقدمة والمتأخرة تعجب غاية العجب وقـال لست اعفو عن قطـع رأسك واخماد انفاسك لانك افتريت وظلمت ثم اجابه بهذا القصيد على سبيـل التهكم والتهديد :

يقـول كليـب قاهر الاعادي ... كلام اشد مـن ضرب الهنـاد
انـا قد صرت هذا اليوم حاكم ... اتانـي السعد مـع نيل المراد
ايـا تبع الينـا جيت عاجـل ... قتلـت ابـي وخربـت البلاد
فمـا ابقيـت قيمة للامـارا ... وقـد البستهم ثـوب الحـداد
هتكت الارض يـا تبع بفعلـك ... وصيرت الانـام الك اعـادي
جعلت رجالنـا تشبه نسانـا ... واهلكـت الامـارا فـي البلاد
فوالله ثـم والله ثـم واللـه ... الـه خـالق كـل البـوادي
فلست براجع عن قطع رأسـك ... ولـو ملكتني كـل البـوادي

قال الراوي فلما فرغ الامير كليب من كلامه وفهم تبع فحوى قصده ومرامه قال بالله عليك ايها السيد المحترم ان تعفو عني وتجعلني من الخدم فقال كليب لا بد من قطع رأسك يا مهان ولكن اسألك كيف قتلت ابي غدرا او بالميدان فقال تبع اذا كان لا بد لك من ذلك يا فارس المعارك فامهلنـي ساعة حتى اخبرك عن سبب قتل ابيك واتودع من هذه الدنيا قليلا ثم انـه ابدى حزنا وعويلا واشار يقول من فؤاد متبول وعمر السامعين يطول :

قال الملك تبع حسان	ظلمني دهري دون باقي الناس
يا ابن ربيعة يا مخزوم	انت امير شديد البأس
طويل الباع بيوم نزاع	عفيف شجاع ثقيل الرأس
تسألني عن قتل ابيك	فكل بناية لها اساس
فلما جيت لارض الشام	اتى للقانا كل الناس
اتاني كل اكابر قيس	وكل امير ايدي باس
الا ابوك فقد خالف	ولم يفعل كباقي الناس
فراح الغيظ بوسط القلب	امرت بشنقه للحراس
وهذا بأمر الله مكتوب	فوق جبينه بأعلى الراس
وانا بقيت بهذا اليوم	وحيد فريد بلا ايناس
اريد العفو عما جنيت	بحيات عمك مع جساس
اني كنت زعيم القوم	وحكمي نافذ بين الناس
فلما اتاني وعد الله	بطل العظم وظني خاس
دهتني الجليلة بالحيلة	وغابت عني كل الناس
وهذا امر الله محتوم	وامره نافذ فوق الناس

قال الراوي فلما فرغ تبع من هذا الشعر والنظام قال له كليب لا بد من قتلك بحد الحسام حتى ترتاح الناس من شرك وتأمن عاقبة غدرك ثم ضربه ضربة بالحسام على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على الارض قتيلا وبدمه جديلا فلما رأته الجليلة قد زادت بها الافراح واعتنقت ابن عمها وقبلته وقالت مثلك تكون الفرسان يا ليث الميدان فشكرها كليب وهنأها على سلامتها وزاد في اعزازها واكرامها ثم خرج من المخدع واعلم الفرسان بقتل الملك وقال لهم بلغنا المراد فكونوا على حذر واستعداد لامتلاك البلاد فقالوا نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك ثم وضع رأس الملك على رأس السنان وخرج بالابطال والفرسان وطافوا بشوارع البلد وضربوا

من وجدوه بالمهند وهم يقولون هذا رأس ملككم حسان فقد اعدمناه وقتلناه وارحنا الناس من شره وبلاه فمن عصى اهلكناه ومن اطاع ابقيناه في قيد الحياة وله منا الامان من طول الزمان قال الراوي فكان اكثر اهل الشام تكره التبع لظلمه وجوره وتتمنى هلاكه لشره فاجتمعت العساكر والاعيان وطلبوا من كليب الامان وانهم يكونوا له من جملة الرعايا والغلمان على طول الزمان فاجابهم كليب الى ذلك الطلب ورفع عنهم السيف الاحدب ووعدهم بالجميل والاحسان وسمح لهم بخراج عشر سنوات فدعوا له بطول العمر ودوام العز والنصر ثم اجتمعت بنو مرة واكابر العشائر واعيان الشام وقواد العساكر والبسوه تاجا مرصعا بالجواهر ثم اجلسوه على كرسي المملكة وجلس بقربه وزير الميمنة وهو نبهان وزير التبع حسان ووقف امامه الحجاب والامراء والنواب فحكم بين الناس بالجود والكرم ومنصفا المظلوم ممن ظلم وفي الليلة الثانية اجتمعت سادات القبيلة وزفوا اليه ابنة عمه الجليلة وقد كنا ذكرنا في اول السيرة اوصاف هذه السيدة الخطيرة وما احتوت من الحسن والجمال والفضل والكمال فتعانقا عناق الاحباب وزال عنهما الغم والاكتئاب وباتا في حظ وانشراح الى وقت الصباح وفي اليوم الثالث وردت اليه المدائح والتهاني واشتهر ذكره في البلدان وهابته ملوك الزمان • قال الراوي :

وكانت الجليلة قد طلبت من كليب ان يبني لها قصرا من اجمل القصور ينشيء فيها بستانا يحتوي جميع انواع الزهور فاجابها الى ذلك ووعدها ببناء قصر لا مثيل له في جميع المماليك ثم انه نزل الى الديوان وجمع الوزراء والاعيان واعلمهم بذلك الشأن فقال له الوزير نبهان اعلم يا ملك الزمان انه لا يوجد في هذه الايام من يقدر ان يبني لك قصرا طبق المرام الا المعمر المختص برواق ملك مصر لانه ماهر ببناء القصور الحسان وهو الذي عمر قصر تبع حسان فارسل كليب واستدعاه اليه فلما حضر قبل الارض بين

يديه وسلم عليه فقال له كليب اريد منك ان تبني لي قصرا مـن القصور الحسان لا يوجد مثله في سائر المدن والبلدان ويكون له جنينة جسياة المنظر تحتوي على جميع الاشجار والخضر فان اتقنت الصنعة طبق المطلوب نلت المقصود والمطلوب فاجابه بالسمع والطاعة وباشر في بناء القصر مـن تلك الساعة قال الراوي ولما اشتهر قتل تبع في اليمن واتصل الخبر الى صنعـاء وعدن هاجت الرجال وكثر القيل والقال وكان للملك تبع ابن عم من الامراء المشاهير يقال له عمران القصير وكان شديد البأس قوي المراس فلما بلغتـه تلك الاخبار صمم على غزو بني قيس بعسكر جرار فجمع العساكر والجنود وفرق الرايات والبنود وركب في مئة الف مقاتل وجـد في قطع المراحـل قاصدا بلاد الشام بكل سرعة واهتمام ولما بلغ كليب هذه الاخبـار استعد للحرب والقتال وخرج للقائه بالفرسان والابطال ولما التقى الجيشان امـر كليب ان تتقدم الفوارس الى ساحة الميدان واخذ ينشطهم في الكلام عـلى قتال الاخصام فهاجت الشجعان وتبادرت الاقران في الضرب والطعان وكان الامير كليب في اول العسكر كأنـه الاسد الغضنفر او الليـث على رأسه البيارق والسناجق ثم التقت الرجال بالرجال واشتعلت بين الفريقين نيران الحرب والقتال وعظمت الاهوال فلله در الامير كليب بطل الابطال وما فعل ذلك اليوم من الفعال فانه هجم هجمة الاسود وانطبق على العساكروالجنود بقلب اقوى من الحجر الجلمود وبادر فرسان الكفاحوخطف المهجوالارواح وما زال الدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان ولى النهـار واقبل الليل بالاعتكار فافترقت العساكر عن بعضها البعض وباتوا في تلك الارض وعند الصباح رجعوا الى الحرب والكفاح فبرز الامير عمر الـى ساحة الميدان وصال وجال وطلب مبارزة الابطال فاراد كليب ان يبرز اليه فمانعه حجابه وقالوا ايها الملك ان فينا ابطالا وفرسانا تستطيع ان تحاربـه فبرز اليه فارس من الصناديد يقال له ميمون بن رشيد فالتقاه الامير عمران بقلب اقوى مـن الصوان ولـم تكن الا ساعة من الزمـان حتى استظفر

عمران وطعن ميمون بالرمح فوقع قتيل وفي دمه جديل فاخذ سلبه وحصانه ثم قوم سنانة وتقدم الى معركة الحرب وقال اين فرسان الطعن والضرب اليوم تبان الفرسان وتعرف اليمينية والقيسية فبرز اليه اخر فاذاقه الموت الاحمر وما زالت تبرز اليه الرجال وهو يجند لها على بساط الرمال حتى قتل سبعة من الابطال وكانوا من اكابر السادات الذين اشتهروا بالحروب والغارات واستمر القتال على هذا المنوال مدة تسعة ايام وهم في براز واقتحام وفي اليوم العاشر برز الامير مرة لقتال عمران ولما صار في الميدان تقنطر عن ظهر الحصان فادركه ابنه همام وجاء به الى الخيام فعند ذلك نزل الى عمران الامير جساس وصدمه بقوة قلب وشدة بأس غير انه لم ينجح في قتاله ورجع في المساء عن حربه ونزاله فوقعت هيبة عمران في قلوب الفرسان والشجعان فاستعظم كليب ذلك الامر واشتعل قلبه بالجمر وقال ما لزيد الا عمرو فاذا كان الصباح بارزته في معركة الكفاح لانه طغى وتجبر وقتل منا كل اسد غضنفر وبات تلك الليلة وهو في غم شديد وقلق ما عليه من مزيد فما اقبل الصباح حتى ركب كلب الحصان وبرز لساحة الميدان لقتال الامير عمران الذي برز في ذلك اليوم وهو ينادي اين الابطال اين الصناديد تبرز الى كليب المحتال قتل تبع بالغدر والاحتيال فما اتم كلامه حتى صار الامير كليب قدامه وصدمه صدمة منكرة اشد من صدمات عنترة فقال له عمران من تكون من الفرسان فقال له اعلم ايها التيس انني الملك على بني قيس سترى ضربا يذهل ابصار الفرسان الصناديد فقال انت يا مسخر النسوان واحقر من كل ذليل مهان فلو كنت من الفرسان لما غدرت بتبع بالحيلة مع ابن عمك فقال كليب اما علمت يا قرنان ان الرجال عند اغراضها نسوان واني ما قتلت الملك تبع الا لغدره وقلة حياه وكثرة شره فانه قتل والدي وهذا الذي سبب ذلك واليوم سألحقك به واسقيك كاس المهالك فلما سمع عمران من كليب هذا الكلام واشتد بينهم الخصام فكانا

تارة يتقدمان وتارة يتأخران كانهما اسدان درغامان فاحدقت اليهما الابصار من اليمين واليسار واستمر على هذا الحال الى قرب الزوال فتعجب عمران من ثبات كليب امامه لانه كان يظن انه لا يوجد في الدنيا من يقدر ان يقف قدامه فعند ذلك قاربه وفاجأه وطعنه بالرمح قاصدا هلاكه وفناه فخلى كليب عن الطعنة فراحت خايبة بعد ما كانت صايبة ثم هجم كليب وقال خذها يا عمران من فارس الميدان وليث الحرب والطعان وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على الارض قطعتين وحان عليه غراب البين وبعد ذلك حملت على بعضها العساكر وتقاتلت بالسيوف والحناجر فكثر القتل والجراح وجرى الدم وساح وزهقت النفوس والارواح من ضرب السيوف وطعن الرماح وكان بعد ان قتل الامير عمران تضعضعت من عساكر اليمن الاركان فولوا الادبار واركنوا الى الهرب والفرار فتبعهم كليب بالعساكر وقتل منهم اكثر من عشرة آلاف نفر وغنم غنائم عظيمة لها قدر وقيمة وما زال يتابع آثارهم حتى دخل ديارهم فخرجت اليه اكابر البلاط طالبين العفو والامان فاجابهم كليب الى ذلك الشأن وارتد راجعا الى الشام بعد ان رتب عليهم خراجا يدفعونه في كل عام فدخل القصر بالعز والنصر فاجتمع بابنة عمه الجليلة وباقي سادات القبيلة وطاب له الوقت وزال عنه المقت وبعد ذلك بعشرة شهور تم بناء ذلك القصر المذكور فكان من عجائب الزمان وغرائب الاوان لانه كان كثير الاتقان ولا سيما البستان فانه كان كفردوس الجنان فيه من جميع الاشجار والفواكه والاثمار والمياه الغزيرة والزهور الكثيرة ففرح كليب فيه وانعم على بانيه وفرشه بالفراش الفاخر الذي يبهر النواظر ويحير العقول والخواطر وجعل ابوابه وشبابيكه من ذهب ورصعها بالجوهر المنتخب ثم نقل ابنة عمه الجليلة اليه وكانت قد ولدت له سبع بنات مثل البدور الطالعات فربتهم بالدلال والعز والاقبال فاتفق ذات يوم من الايام ان مرة زار ابن اخيه كليب في جماعة من بني الاعمام وبعد ان

دار بينهم الكلام قال مرة يا ابن اخي كثرت عليك الرجال والاغنام لسبب كثرة المواشي والازدحام فمرادي ارحل عنك بانعامي ورجالي وباقي اموالي ولا شك باننا في هذا الرحيل والانتقال تتحسن بنا الاحوال ونحصل على راحة بال فقال كليب افعل يا عمي ما تحب وانزل في أي مكان تريد من قرب الديار فان البلاد بلادنا ونحن ملوك الاقطار : قال الراوي فرحل مرة بقومه ورجاله ونوقه وجماله ونزل في واد كثير النبات بعيد مسافة تسع ساعات وكان مرة قد شاخ وكبر في العمر فاقام الامير جساس على بني بكر فكان يحسن اليهم ويحكم بالانصاف عليهم فشاع ذكره واشتهر امره فكانت تقصده الشعراء والفرسان وهو يكرمهم ويخلع عليهم الخلع الحسان هذا ولم تكن الا سنة من الزمان حتى صار يحكم على مئة وعشرين الف عنان هذا ما كان من امر جساس واما كليب الفارس الدعاس فانه كان في سنوح الفرص يخرج الى الصيد والقنص وكان على هذا الحال وقد تعود لانه لم يخف قط سطوة احد وكان له عدة اخوة كل منهم مشهور بالمروءة والنخوة وكان من جملتهم المهلهل الملقب بالزير وكان جميل الصورة كانه البدر وهو صاحب هذه السيرة والوقائع المشهورة. وكان في تلك الايام ابن عشرةاعوام وكان في الشجاعة كسبع الغاب لا يخاف من احد ولا يهاب فصيح الكلام منعكفا على شرب المدام وسماع الاصوات والانغام ينشد الاشعار البديعة ويأتي بالمعاني النفيسة الرفيعة وكان كليب لحبه اباه لا يتعرضه بأمر من الامور بل يقابله بالفرح والسرور وكان الزير يتباهى بشجاعته امام اخيه وانه لا يوجد في الفرسان من يضاهيه فقال له كليب في بعض الايام اراك يا اخي مشتغلا في الملاهي وشرب المدام فقلبك خالي من الهموم والاحزان كأنك لا تسأل عن تقلبات الزمان فمن الواجب ان نحسب حساب العواقب لان الدهر دولاب سريع الانقلاب اذا ضحك يوما ابكاك سنة ولبس له على احد جميل ولا حسنة فقال المهلهل ما دمت انا في الوجود فانا بخير ولا

احسب حساب للغير ولكن ان جار عليك الزمان واحاطت بك الحساد والخوان فانا ارد عنك الاثقال واجندل امامك الابطال انا اسد الغاب فارس الكتائب والمواكب انا قهار الاعادي اذا نادى المنادي فتبسم كليب من كلامه وتركه مشتغلا بشرب مدامه ورجع الى الديوان وقد راق له الزمان .

قال الراوي وقد اتفق بعد ذلك بايام ان اولاد مرة اجتمعوا مع بعضهم في الخيام وضربوا بختا من الرمل ليروا ما يحل بهم وما يجري عليهم وما يصيبهم فبان لهم ان الامير جساس لا بد ان يقتل الامير كليب ويظهر الزير ويأخذ ثاره بدون ريب ويقتل منهم كل امير وجبار بعد وقائع تستحق الاعتبار فاعتراهم القلق والكدر واجمع رأيهم على ان يقتلوا الزير قبل ان يكبر وكان من جملتهم الامير سلطان ابن مرة فانشدهم يقول :

على ما قال سلطان بن مرة ... مبيد الضد في يوم النزال
تبين عندنا جساس يقتل ... كليب بن ربيعة ولا يبالي
ويأتي الزير بعده يا امارة ... يشتت شملنا بين الجبال
ويمحي ذكرنا من كل ارض ... ويفنينا ويسبي العيال
هلموا نقتله ونبيد اسمه ... ونسلم من تصاريف الليالي
فيلزم ان تروح الى الجليلة ... ونعلمها على ما قد بدا لي
فهذه اختنا ليست غريبة ... فتسعفنا على نيل الآمال
جليلة عارفة في كل فن ... وتعرف بالزيارج والرمال
فقوموا كلنا نذهب اليها ... ونقضي شغلنا قبل الوبال

فلما انتهى سلطان من هذا الشعر والنظام وسمعه الامير جساس ومن حضر من ابناء مرة الكرام استحسنه جميع القوم وركبوا ذلك اليوم وخرجوا من القبيلة قاصدين اختهم الجليلة وكانوا ثلاثا واربعين ولدا ذكرا كل منهم اسد غضنفر ولما وصلوا اليها وسلموا عليها فتلقتهم بالترحاب

والاكرام واقاموا عندها ثلاثة ايام ثم قالوا لها عن فرد لسان قد ظهر لنا في الرمل بانه سوف يظهر للزير شأن واي شأن فيقهر الابطال والشجعان وتهابه ملوك الزمان ويعاملها بالجور والسوء وتنحط منزلتنا بين ملوك العرب فاتفقنا على قتله قبل ان يكبر واتينا لنعلمك الخبر فما رأيك في هذا الامر المنكر فقالت اذ قتلتموه فينكشف الامر ويأخذ كليب بثأره منكم فيزداد الشر والاحسن ان اجعل كليب يلقيه في المهالك ثم انشدت تقول :

مقالات الجليلة بنت مرة	اخوه كليب خلفه مثل غول
تريدوا قتل ابو ليلى المهلهل	تعالوا اخوتي اصغوا لقولي
وست واربعون بنو ابيه	يجوكم راكبين على الخيول
وتركب خلفهم كل الفوارس	فوارس تلتقي مثل الفحول
ويبقى كليب يقتله بيد	ويجعله طريحا على السهول

فلما فرغت الجليلة من شعرها ونظامها شكروها واخواتها على حسن اهتمامها وركبوا ظهور خيولهم وراحوا في حال سبيلهم فصبرت الجليلة الى وقت العصر حتى حضر كليب الى القصر وكانت قد شقت جميع ما عليها من الثياب واظهرت الغم والاكتئاب فلما رآها كليب على تلك الحال تغيرت منه الاحوال لانه كان يحبها محبة عظيمة ويودها مودة جسيمة لحسنها وجمالها وغنجها ودلالها ولا سيما ابنة عمه ومن لحمه ودمه فقال لها علامك يا جليلة مالي آراك في هذه الوبيلة فبكت من فؤاد مبتول واجابته بهذه الابيات تقول :

مقالات الجليلة بنت مره	كليب انت قيدوم السرايا
وتحكم في القبائل والعشائر	وفي كل المدائن والقرايا
وحكمك نافذ في كل ارض	وتخدمك الملوك مع الرعايا
واني بنت عمك يا مسمى	ومثلي ليس يوجد في البرايا

اتى الزير خيـك في غيابـك يريـد فضيحتي بـين الصبايـا
فضت عليـه من عنقـه فولـى وراح بسرعـة وسط الخلايـا
الا يـا امير قـل كيف تعمـل فاقتلـــه وارويـــه المنايـا
وان لـم تقتله حـالا فـانـي اروح اليوم من وسط الخبايـا
وتبقى النـاس تشتم في قفانـا ونبلى بـالدواهي والرزايـــا
وهـذا الامر لا يصلح لمثلـك كريـم الاصل عكـاز المطايـا
فاقتلـه واخلص مـن بـــلاه ولا تحمـل آثامـا ولا خطايـا
فقتل الزير اصوب مـن حياته لانــه خـائن دون البرايـــا

فلما سمع كليب منها هذا الشعر والنظام غاب عن صوابه وارسل احد الرجال ليأتيه باخيه الزير في الحال وذهب الرسول واستدعاه فامتنـع عن الحضور لانه كان في ذلك الوقت يشرب الخمر مع جلسائه وهم فـي فرح وسرور •

قال الراوي فرجع الرسول على الاثر وحدث الامير كليب بذلك الخبر فازداد كدرا على كدر وارسل الرجال اليه ثانية فما حضر عند ذلـك سار كليب اليه وقد عظم الامر لديه فلما دخل عليه نهض الزير على قدميه فسبه كليب وشتمه وضربه حتى آلمه ثم نزع عنه ثياب الحرير حتى صار معـيرة للكبير والصغير وارسله مع الرعيان ، ليرعى النوق والجمال ، ورجـع الى الجليلة واعلمها بما فعل مع اخيه المهلهل • فلما رأت انها لم تبلغ الامل زادت غما وكدرا واخذت تدبر على هلاكه بحيلة اخرى فقالت ذات يوم الى كليب اما تخشى الهتيكة والعار اما في رأسك نخوة وناموس من جهة اخوك المهان المعكوس فقال ما معنى هذا الكلام وما هو المراد بهذا التوبيخ والملام قالت بلغني من بعض الغلمان الذين يدورون مع الرعيان بانهم فعلوا معه القبيح وانت جالس مستريح • ليس عندك علم ولا خبرة وقد تحدث فيك جميع البشر ثم شرحت له واقعة الحال بهذا الشعر والنظام :

تقول الجليلة يا محفوظ
اتاني علم بحال اخوك
وشاع العلم بكل القوم
غني الناس مع الصعلوك
وصار الناس بقيل وقال
وكل البدو عليك ضحوك
انت امير كبير القوم
وتيس وحمير قد هابوك
فكيف يكون اخوك الزير
وقومك من اجله يجافوك
كيف بقالك رأس يقوم
والرعيان لقد عابوك
فاقتل اخوك في سيفك
والا قومك قد لاموك
فكل العالم تحكي فيك
يقولوا الزير بقي مهتوك
فهذا الاخ ومثله الف
بيوم الضيق فما عانوك
اخاف يقولون كل اهله
مثله والعالم يشكوك

فلما وقف كليب على حقيقة الامر التهب فؤاده واضطرب من شدة الغيظ والغضب ، واخذته الحمية وعصفت في رأسه النخوة الجاهلية فصمم ان يقتل اخوه ويسقيه كاس المنية فقالت الجليلة لا تقتله بيدك يا امير لان كلام الناس كثير فالاوفق ان تأخذه الى وادي العباس وهو مكان منقطع عن الناس كثير النمور والاسود وتتركه هناك وتعود فتفترسه الوحوش والاسود وتتخلص من كلام العباد فقال هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب وصعد ظهر جواده واعتد بآلة حربه وجلاده واستدعا الزير اليه وقال له مرادي ان اذهب للصيد والقنص لازيل ما بقلبي من القصص فسر امامي فامتثل امره وجد في قطع البراري والقفار حتى وصلا الى الوادي المذكور وهو مكان مهجور وما زالا سائرين حتى صارا في وسط ذلك الوادي واذا بجواد كليب قد شخر ونخر وضرب الارض وتأخر واذا بسبع من بطن الوادي قد ظهر فلما رآه الامير كليب هجم عليه بالجواد ورماه بالرمح فأخطأه فانهزم كليب من امامه خوفا من العطب فلما رأى الزير اخاه قد هرب تقدم نحو الاسد بقلب اقوى من الحجر وطعنه

بخنجر كان معه فقدّه قسمين فاخرج قلبه فاكله وصاح على اخيه ارجع يا اخي ولا تخف فرجع وهو يتعجب من افعال الزير فنزل عن ظهر الحصان وقبله بين عينيه وصفا له في قلبه وقال في سره من يكن له اخ مثل هذا يفرط فيه وان عاش هذا الغلام يكون من عجائب الزمان ثم رجع واياه فلما رأته الجليلة قالت لماذا ما قتلته فاخبرها كيف انه قتل الاسد وقال الذي يكون مثله لا يستأهل القتل بل يجب له الاكرام ثم اشار قائلا .

يقول كليب من صفوة ربيعة	شديد البأس ذو عزم رجيح
كريم الاصل سلطان متوج	وفي طريق الكرم مالي شحيح
الا يا بنت عمي يا جليلة	الا يا صاحبة الوجه المليح
نظر اليوم من سالم فعالا	يشيب لها الطفل الطريح
لقاني السبع من خلفي وزمجر	فصار الزير من خلفه يصيح
فكر السبع نحو الزير هاجم	فعاد الزير واقف مستريح
ولما قددنا منه وقارب	فغار عليه كالسبع الجريح
طعنه الزير بالخنجر فقده	والقاه على الغبرا طريح
فلما شفت هذا الفعل منه	علمت بانه فارس رجيح
رجعت اليه من فرحي صريعا	وصحت عليه في قول مليح
مهلهل يا مهلهل يا مهلهل	فانت اليوم اولى بالمديح

قال الراوي فلما فرغ كليب من شعره زاد كدر الجليلة وقالت له وهي تبكي ما دام الامر كذلك فاني ساذهب غدا الى بيت اهلي واعلمهم بما ظهر من الزير بحقي فهم يقتلونه لاني لست أأتمنه على نفسي اذا بقيت عندك لانه لا بد ان يغدر بي وعيونه محمرة علي وانت بعد كل هذا ليس عندك نخوة ولا ناموس فقال اذكري الله يا جليلة ودعينا من هذا فكيف اسمح بقتل اخي وهو من لحمي ودمي ولا سيما انه شديد البأس ومن اشجع الناس فاذا قتلته افتضحت بين العرب وتحدث في الناس قالت اقتله على غير هذه

الطريقة خذه الى بير السباع وتدليه بحبل على نية ان ينشل الماء وحينئذ تقطع الحبل فيسقط في البير فيموت ولا يعلم به احد واشارت تقول :

مقالات الجليلة بنت مرة ... ودمعي فوق وجناتي غزارة
اخوك الزير ما هو كثير عالم ... يلعب مع وليدات الصغارة
اخوك الزير شوفه مثل ضبع ... كما المجنون يلعب بالحجاره
رويته ما يشوف الخير دائم ... كأنه شبه ضبع في مغارة
يا ليت الزير ينقص من حداكم ... ولا تبقى تظهر له جباره
الا يا حيف هذا من ربيعة ... وتوعدوه بنات الامارة
ترى خمسين خليفة من بيك ... امارة من امارة من امارة
يبقى الزير هو ندل منكم ... ليته لا يطيب من الحرارة
وقتل الزير احسن من حياته ... ولا نهتك ما بين الامارة
اقتل اهل الردى ولاعاش عمره ... واهفيه في حسامك مثل نارة
انت ابن عمي ونور عيني ... وشوري اليك ما هو خسارة
مقالات الجليلة بنت مرة ... وناري عالقة من ذي الشرارة

قال الراوي وكان كليب يحب الجليلة محبة عظيمة ولا كان يخالفها بشيء فلما الحت عليه وافقها على ذلك اكراما لخاطرها فنهض في ثاني الايام وركب جواده واخذ في صحبته الزير ومائة من الفرسان وسار بهم الى بير صندل السباع وعند وصولهم قال كليب يا سالم خيولنا عطشت الان فمرادنا ان ننزل ونسقيها وانت تنزل الى البير فتملأ كم دلو فقال حبا وكرامة يا اخي فدلوه في حبل واخذ يملأ الادلية وهم ينشلوا ويسقوا حتى ملأوا الارض الذي على باب البير وجاؤوا بالخيل ليسقوها فتزاحمت على بعضها البعض فسمع الزير وهو بالبير صهيل الخيل وجعيرها فصرخ عليها صوتا مثل الرعد القاصف حتى ارتجفت منه الوديان واضطربت منه قلوب الفرسان فجفلت الخيل وتأخرت وانفصلت عن بعضها فلما رأى كليب ما فعل اخوه

سالم تعجب غاية العجب وندم على ما فعـل وفي الحال اخرجه من البـير وازدادت محبته عنده ورجع به الى الـديار فلما رأته الجليلة غابت عـن الوجود من شدة الغيظ وقالت بارك الله فيك اهكذا المفارقة فقال والله يا جليلة من كان يفعل هذا الفعل يحرم قتله ثم حدثها بما جرى وكان • واشار يقول وعمر السامعين يطول :

جليلـة اسمعـي يا بنـت عمي ... ارى عقلـك بهذا اليـوم زائل
اقتلـه ليشفـي اليـوم قلبك ... وقـد ظهر لنـا منـه فعايـل
سباع الغـاب مـن لقاه هابت ... كـذاك الخيل صيرهـا جفايل
ثـلاث الـوف يلقاهـم بصدره ... من الشجعان فرسان القبائـل
تقولي اقتلـه وارتـاح منـه ... فقولك جهل ما هو قول عاقـل
فانـي لا ابيعـه بألف مثلـك ... ولـو مهمـا جرى منـه فعايل
اراكـي تطلبي قتلـه سريعـا ... فقولك عنه ليس لـه دلائـل
فقولك يـا جليلة قول باطـل ... فحاشا الزير ان يتبـع رذائـل
اقلي مـن كلامك ولا تعيـدي ... ايـا بنت الاماجد والاصايـل

فلمـا فرغ من شعره ونظامه فهمت الجليلة فحوى كلامه تكـدرت ولكنها اظهرت السرور وقالت له ان قصدي امتحانك لارى هل انت تحبه او تبغضه لانه فصيح اللسان ومن اشد الفرسان واخذت تمازح كليب بكلام النفاق حتى صفا قلبه وراق ثم انها صبرت مدة ايام وبعد ذلك اظهرت على نفسها انها مريضة فرقدت في الفراش وقالت لكليب ان لي اليك حاجة ولا يقدر عليها سوى اخاك الزير فقال وما حاجتك قالت اريد مقدار كـاسين من حليب السباع لانه يقوي الاعصاب وانا في غاية الضعف والعنا وقـد وصفته دايتي علاجا لمرضي وقالت ان هذا الدواء يأتي بولد ذكر وانشدت:

مقالات الجليلة بنت مرة	كليب اسمع لي يا ابا اليمامة
وانت اليوم ملك البوادي	يا ليت الحق بك يا امير داما
وتحكم يا ملك شرقا وغربا	من ارض الروم للكعبة دواما
وتحت يدك الوفا من العساكر	وكم حاكم وكم فيه مقاما
وكم ابراج من ذهب وفضة	جواهر تشرق جناح الظلاما
ولا لك طفل تحيي فيه ذكرك	سوى سبع بنات مثل الحماما
اتاني منك سبع اتاني	ولا جاني منك ذكر غلاما
وقالت دايتي لي يا جليلة	معي لك علم تبري السقاما

قال الراوي فلما انتهت الجليلة من شعرها ونظامها صدق مقالها وارسل في الحال وراء اخاه الزير فدخل عليه وسلم عليه وقبل يديه وقال انا عبد مأمور ولا اخالفك بامر من الامور فاعلمه كليب بالواقعة وقال يا اخي اريد منك ان تأخذ هذا الحق الصغير وتملأه من حليب لبوة فقال على الرأس والعين لكن يا اخي أعطني سيفا اتسلح به خوفا من هجوم السباع فقال كليب للجليلة ان تعطيه السيف فقالت له الا تستحي يا زير ان تطلب سيف وانت في هذه الشجاعة فخجل واطرق رأسه وسار في وقته وساعته وقد تأكد عنده انها تريد هلاكه وضرره وما زال يسير حتى وصل الى غابة كبيرة كثيرة الاشجار والصخور وليس معه سوى سكين وعصاه فبينما هو ينظر من خلفه وقدام واذا باسد قد ظهر وهو هائل المنظر وعيناه تقدح بالشرر فلما اقترب منه قبض عليه الزير من ذيله وشده بقوة زنده ولوحه بيده مثل المقلاع وخبط به الارض فرض عظامه ثم نزل عليه بالعصا حتى قتله واراد ان يحز رأسه واذا بلبوة اقبلت ومن خلفها سبعة اشبال فلما رأت ذكرها مات احمرت عيناها فأراد الزير ان يلاعبها قليلا وقد علم انها مغتاظة فجعل نفسه انه خائفا منها فركض امامها فتبعته وكان قد وصل الى شجرة كبيرة فطلع اليها وبقيت وهي تنظر اليه وتهسهم ثم اقبل اشبالها وجعلوا يرضعون

من ثديها فوجد الزير لها ثدي يملأ الحق فقال هذا الذي طلبه مني اخي ثم اراد النزول فقال ان نزلت تفترسني من رجلي ثم رمى نفسه من الشجرة فجاء راكبا عليها فقبض على رقبتها والقى رجليه على بطنها بقوة وعزم شديد حتى لم يعد لها سبيل ان تتحرك من مكانها ثم سحب السكين وهو يضحك عليها ونحرها كما ينحر الجزار الغنم وملأ الحق من حليبها وقطع رأس الاسد بعد ان ربط اشبالها بالحبال وساقهم امامه كالكلاب فلما اقبل على الحي ولاقته فرسان العرب واصحاب المناصب والرتب استعظموا ذلك الامر واعتراهم العجب وعند وصوله الى القصر سمعت الجليلة الضجة فمدت رأسها من الشباك فرأت الزير وهو مقبل على تلك الحالة فالتهب قلبها بنار الغضب لانها كانت تظن ان يموت ويهلك ثم دخل الزير على الجليلة وكان كليب جالس معها ورمى الروس امامها وقدم الحق لامرأة اخيه وقال لها هل تجدين شيئا آخر حتى اقضيه فقالت بارك الله فيك يا سبع الرجال فانك تستحق المدح والثناء وكان كليب لما رأى رؤوس السباع تعجب من شدة بأسه وقال كيف فعلت والى اين وصلت فأشار يقول :

شعر

يقول الزير قهار المواكب ... رماني الدهر في كل المصائب
فلا تسمع اخي قول الاعادي ... لان الضد شوره ليس صائب
يشوروا عليك في رأي وخيم ... ليسقونك اخي كاس العواطب
فأهل العقل لا تسمع لانثى ... لان كلامها لا شك كاذب
فاعلم يا اخي فيما جرالي ... بهذا اليوم في وادي الثعالب
وجدت السبع وسط الغاب دائر ... كأنه جائع للصيد طالب
فلما شافني حالا اتاني ... وكشر عن سنانه والمخالب
فصحت عليه صيحة جاهلية ... فقدم يا اخي هاجم وطالب
حززت بخنجري رأسه فاهوى ... على وجه الثرى للارض قارب
اتتني بعده لبوة مغيرة ... فلما شفتها وليت هارب

رأيت اشبالها سبعة وراها فدار وا لجهتي من كل جانب
فلما شفتهم جاؤوا لنحوي طلعت لشجرة ذات الشعائب
فداروا حولها فرميت نفسي فصرت اظهرها بالحال راكب
حززت لرأسها ومليت حقي حليبا بعد ان نلت المآرب
ورأس السبع والبلوة قطعته علامة للاغارب والاقارب
وسقت اولادها السبعة امامي فلما صرت في وسط المضارب
لاقتني جميع رجال قومي وحيتني الاقارب والاجانب
وهذا ما جرى لي في نهاري وما قاسيت من هول المصائب

قال الراوي فلما فرغ سالم الزير من شعره ونظامه واخوه كليب مع الجليلة يسمعان كلامه فغضبت الجليلة من كلام الزير وكيف انه لمح بشعره عليها فقالت في سرها لا بد لي ان اعمل على قتله وبعد ذهابه قالت لزوجها كليب كيف يعلم اني ساعية في قتله ولم يكن عارف بما فعله معي من قبيح فوالله ان الموت عندي ألذ من حياة فلا بد ما اشنق نفسي واستريح من جور اخيك القبيح ثم صارت تبكي وتصيح فقال كليب اخزى الشيطان ودعينا من هذا الكلام الان واخذ يتلطف بخاطرها ويقول لها كم مرة رميناه بالاخطار وهو يرجع بالغنائم سالما كاسبا فقالت الجليلة مرادي ان تسمع مني ما اقوله الآن ولا عدت تسمع مني غير هذه المرة وهو ان تجعل نفسك مريضا وترقد في الفراش فاذا اتاك اخوك الزير حتى يراك فتقول له اصابك مرض شديد ووصف لك الاطباء شربة من بير السباع فاذا سمع منك هذا الكلام تأخذه الحمية والغيرة ويذهب في الحال لقضاء حاجتك فاذا راح لا يعود يرجع ابدا من كثرة السباع في ذلك المكان والكثرة تغلب الشجاعة فيفترسوه في الحال ونكون قد بلغنا الآمال لانني كلما تذكرت اعماله اريد ان اخنق نفسي والعرض عند الحر غالي ثم انشدت تقول من فؤاد مبتول :

الا اسمع لشوري ما اقلك	على علم الصحيح انا ادلك
اخوك هبيل ما بيسوى مسله	لو قلع الجبال والف تلة
فارسله غدا الى بير صندل	وان ارسلته لهناك يقتل
ومنه تستريح مدى الدهور	وتحظى بالمقاصد والحبور

فلما سمع كلامها اجابها الى مرامها وانقطع عن الديوان ومقابلة الناس وجعل نفسه مريض واقام بالفراش ايام ولما شاع هذا الخبر علم الزير بذلك فتشوش خاطره لانه كان يحبه محبة عظيمة فدخل عليه فرآه راقد في الفراش وهو يئن من قلب حزين فقال سلامتك يا اخي ثم جلس بقربه وهو يتوجع عليه ويسليه بالكلام فقال له كليب اعلم ان مرضي شديد وانا خايف منه وقد وصف لي الاطباء شربة ماء من بير السباع فمتى شربتها شفيت من هذا الداء وليس لي غيرك يا اخي من يأتيني بها فان كنت تحبني اريد منك الان يا فارس الفرسان وقاهر العدا في ساحة الميدان ان تذهب الى ذلك المكان وتأتي بالمطلوب والمقصود من بير السباع فقال الزير ابشر يا امير ثم نزل من عنده وجاء بقربتين فحزمهما على حمار ثم سار وجد في قطع القفار الى ان وصل الى بير السباع وكانت السباع في ذلك الوقت سارحة في البرية سوى سبع واحد كان راقد على حافة البير وهو واضع يديه على فمه ونائم فقال الزير في سره هذا نائم وعيب علي ان اقتله غدرا فتركه وفك القرب وربط الحمار من يديه ورجليه ونزل للبير من الدرج فملأ القرب واتفق انه عند نزوله الى البير شهق الحمار فصحي السبع ولما رأى الحمار هجم عليه وضربه بمخلبه فقتله وجعل يأكله فلما خرج الزير من البير وجد السبع قد قتل الحمار وهو يأكله اغتاظ جدا فوضع القرب على الارض وقصد نحو السبع بقلب كالحديد وقال ويلك يا مشؤوم كيف تأكل حماري اما علمت ببطشي واقتداري فوحق ذمة العرب لا بد من تحميلك القرب وكان الاسد قد وثب عليه ونهض على رجليه فالتقاه الزير بالعصا وضربه ضربة شديدة

وقعت على رأسه فدوخته فوقع على الارض طائشا فجاء الزير بالحبل ولجمه نجاما قويا ووضع بردعة الحمار على ظهره ثم وضع عليــه القرب ورفس الاسد برجله فنهض مثل السكران فقال الزير يا قليل الادب الذي يأكــل حمير العرب فهو اولى ان يحمل القرب ثم ركب على ظهره وساقه مثل الكلب وكلما عرج عن الطريق يضربه بالعصا على رأسه حتى طاعه قهرا وجبرا فلما اقترب من الديار تذكر ما جرى له مع اخيــه والاسد وكيف عاد ظــافرا منصورا فجاش الشعر في خاطره فانشد يقول صلوا على طه الرسول :

انا المهلهل عزمي يقلــق الحجرا ... والانس والجن تخشى سطوتي حذرا
كيــد النساء تراه يلقى في عدم ... فخيب الله مــن يسمع كلام مرا
قالوا اخوك كليب اليوم منطرحا ... على الفراش ضعيف الجسم والبصرا
فجئته عاجــلا حتــى اسألــه ... والعقل في حيرة ممــا عليه جرى
فقلت له كيف حالك انت اخبرني ... فقال يــا مهلهل كيف انت تــرى
اريد شربة مــاء اطفي بها ظمئــي ... من بير صندل ازيل الهم والكدرا
سرت حــالا لذاك البير في عجل ... فنلت قصدي وعدت اليوم مفتخرا
هذي فعالي وكل الناس ترهبنــي ... حتى الاسود واهل البأس والامرا

قال الراوي وظل ينشد الاشعار حتى دخل الى الديار وهو راكب على ظهر الاسد غير مبالي باحد لانه بلغ المقصود والارب وفعل فعالا تعجز عنها فرسان العرب ولمــا دخل الحي جفلت الخيــل والجمــال ودهشت النساء والرجال لما رأوا الاسد على تلك الحال وكثرت الضجات وتصايحت النساء والبنات وسمع كليب والجليلة تلك الضجة فاطلا من الشباك فوجد المهلهل قد اقبل وهو يسوق الاسد بعصاه فبكي كليب لما رآه وقال لابنــة عمــه الجليلة هل ينسخي بهذا البطل ان يقتل وقد جاء بالاسد وعلى ظهره القرب وهذا من اعجب العجب فاشتغل قلبها والتهب من شدة الغيظ والغضــب وكادت تموت قهرا ثم نزل كليب اليه وقبله بين عينيه وقال لله درك يــا

فارس الميدان وزينة الشبان وبعد ذلك سأله عما جرى له وكان فانشد وقال صلوا على المبعوث بالكمال •

يقول الزير ابـو ليلـى المهلهل ودمعي فـوق وجناتـي عايم
ذهبت اليوم نحو البـير قاصد اجيب المـاء يـا ابن الاكـارم
وجدت السبع قرب البير راقـد فقلت بخاطري ذا السبع نـائم
نزلت البير املـي القرب منـه وربـي بالذي قد قلـت عالـم
ملات القربتـين وعدت حـالا لارجـع للقبيلـة والمعـالـم
وجدت السبع قد اكل البهيمـة ضربتـه بالعصا فعـاد نـايم
وحملت القرب من فوق ظهـره وجئت اليـك يـا فخر الاكارم
اطـال اللـه ايـامك وعـزك على طول الزمـان وانت دايم

فلما سمع كليب هذا المقال اجابه على شعره :

يقول كليب اسمع يـا مهلهـل فما لك مـن مثيل في العـوالم
سباع البر خافت مـن هجومك وولت في الفلا منـك هزايـم
سألت اللـه ان يحفظك دومـا وتحظى بـالسرور وبالغنـايم
فقم البس ثيـابا مـن حريـر وافعل ما تريد يـا ابن الاكـارم
فمهما طلبت منـي يـا مهلهل انـا اعطيـك واللـه عـالم
اخي ما عاد عنـدي اعـز منك وحـق اللـه خـلاق العوالم

فلما فرغ كليب من كلامه انزل الزير القرب عـن ظهر الاسد وضربـه بالسيف والقاه قتيل ثم قطع رأسه امام اخيه وقال الله اكبر فقد اخذنا بثار الحمار وبلغنا ما نحب ونختار بعون الواحد القهار فامر الخدام ان يدخلوا الزير الى الحمام فدخل واغتسل ولبس حلة من ارجوان وذهب الى اخيـه في الديوان فقام له على الاقدام واكرمه غاية الاكرام واجلسه في اعلى مقام نزاد اعتباره عند الامراء والاكابر واشتهر اسمه بين القبائل والعشائر وقال

له كليب ذات يوم اطلب يا اخي ما تريد فان شئت مدينة اوهبتك اياها او امرأة جميلة ازوجك بها ومالي بين يديك ولا ابخل بشيء عليك لانك اليوم ساعدي وزندي وانت الحاكم من بعدي فقال لا اريد سوى سلامتك والذي اريده منك ان تأمر لي بصيوان كبير مفروش بالفرش الفاخر عند بير السباع ويكون عندي جماعة من الخدم يقدمون لي ما احتاجه من الاكل والخمر لاني اريد ان انفرد عن الناس واكون وحدي بعيدا عن النساء وعندما تشتاق الي تزورني فقال كليب ما هذا العمل فوالله ما عاد لنا صبر على فراقك ولا عدت اسمع فيك كلام من الاعادي اللئام فابقى عندي في العز والاكرام فقال يا اخي قد صممت على الارتحال فالعزلة افضل للرجال الاحرار ولا سيما قد صار لي على السباع ثار في قتل الحمار ولا بد لي من قتل جميع الاسود او يرجع الحمار ويعود فضحك كليب من كلامه وامر له بما طلب وقدم له جوادا من اطيب الخيول وجميع ما يحتاج اليه من السلاح والنصول والمشروب والمأكول وارسل معه عبدين يخدمانه ثم ودعه وساروا حتى وصلوا بير السباع فنصبوا له صيوان واقام في ذلك المكان وهو يأكل الطعام ويشرب المدام وكان في كل يوم يلبس عدته ويركب جواده ويصيد السباع وكان كلما قتل اسدا بثار الحمار وما زال على تلك الحال حتى افناهم وبنى من رؤسهم قصرا فلما طال عليه الزمان اخذه القلق والضجر لانفراده عن البشر وكان بينه وبين همام بن مرة محبة عظيمة ووداد فزاره الامير همام في بعض الايام ففرح بقدومه عليه وقال اهلا وسهلا يا ابن العم وترحب به غاية الترحيب وقال له لقد ضاقت نفسي من الوحشة والانفراد فوالله ما عدت ادعك ان تذهب من عندي ابدا وكان همام يصرف اكثر اوقاته فينادمه ويشرب معه المدام ويتناشدان الاشعار في الليل والنهار وما زالا كذلك في بسط وانشراح وطرب وافراح وشرب المدام وسماع الانغام مدة ثلاثة اعوام هذا ما كان من حديثهم في تلك الايام .

حرب البسوس بين بكر وتغلب

قال الراوي واعجب ما اتفق وتسطر من الاحاديث التي تروى وتـذكر حديث العجوزة الشاعرة اخت الملك تبع حسن الذي قتله كليب كما شرحنا قبل وهي المرأة التي ذكرها تبع لكليب في ملحمته بانها سوف تظهر بعـده وتلقي الفتنة في القبائل وبسببها يقتل كليب بن ربيعة وتثير الحرب بين بكر وتغلب وباقي عشائر العرب وكانت هذه العجوز من عجائب الزمان وغرائب الاوان ذات مكر واحتيال وخداع ساحرة وكان لها اربعة اسماء سعاد لانها في يوم ولادتها وردت اليه اموال السبعة اقاليم وامها سمتها تاج بخت لانها كانت تاكل جوز الهند كثيرا وكانت مع هذه الاوصاف القبيحة جميلةالمنظر فصيحة اللسان شديدة البأس ولما كبرت وانتشت وصارت بنت عشريـن سنة فكانت تصارع الطواشية وتركب الخيل في الميدان وتبـارز الابطـال والفرسان فشاع صيتها في كل مكان وتواردت اليها الخطاب من جميـع المدن والبلدان فكانت تقول لا اتزوج بانسان الا من يقهرني في الميـدان فكانت تقهرهم في القتال وتعلم عليهم في ساحة الميدان فاقتصر عنها الخطاب وتباعدت عنها الطلاب وكان قد سمع بخبرها ملك عظيم اسمه سعد الثاني وكان ملك بلاد السرور وابن عم اخوها تبع وبطل اروع وليث صميـدع صاحب مدن وبلدان وجيش وفرسان فهام في حبها فركب في جماعـة مـن ابطاله وسار قاصدا ديار ابن عمه تبع ليخطب اخته سعاد فلما وصل الـى البلاد ترحب به الملك تبع واضافه ضيافة عظيمة لانه ملك وامره نافـذ في القبائل ففي اليوم الثالث قال سعد لتبع اعلم يا ابن عمي بانني حضرت مـن بلادي لاخطب اختك سعاد الدرة المصونة والجوهرة المكنونة فلا تردنـي خائب فهي ابنة عمي ومن لحمي ودمي وانا احق بها من كل احد فقال تبـع اني ارغب بذلك غير انه لا يخفاك انها لا تتزوج باحد كان الا من يقهرها في

الميدان فقال اني ما اتيت الا على هذا الشرط فعند ذلك دخل عليها اخوها واخبرها بقدوم الامير سعد ابن عمها وانه قد جاء ليخطبها ويتزوجها بعد ان يبارزها ويحاربها فاجابته الى ذلك المرام وفي ثاني الايام اعتدت بآلة الحرب والجلاد وركبت على ظهر جوادها وبرزت الى الميدان وكان الامير قد ركب حصانه وزير الى الميدان والتقاها بقوة القلب والجنان واخذا يتقاتلان نحو ساعة من الزمان وكان الامير سعد صاحب نخوة وحمية ومن اشد فرسان الجاهلية فحاربها حتى تبعها ثم اقتلعها من بحر سرجها فاقرت له بالغلبة وبعد ذلك تزوجها واقام في الحفلة سبعة ايام ورجع بها الى بلاده فاخذت معها جميع ما تملكه من امتعة واموال وعبيد وغلمان واقامت مع زوجها في ارغد عيش وهناء مدة عشرة سنين الى ان عمي زوجها وفقد البصر فصارت تحكم بداله واطاعتها العرب وعظم امرها واشتهر ذكرها وما زالت على تلك الحال وهي في ارغد عيش وانعم بال الى ان قتل كلب اخوها تبع كما سبق الكلام فلما بلغها هذا الخبر اخذها القلق والسحر وتنغص عيشها وتمرمر وقالت لا بد لي من المسير الى تلك الديار واقتل كليب الغدار فاذا قتلته اطفي ناري واكون قد اخذت بثاري فاقامت وكيلا يحكم بالنيابة عنها وركبت هي وزوجها وبناتها واخذت معها عبدين وما زالت تقطع البراري والآكام حتى وصلت الى بلاد الشام فسألت عن حلة بني مرة فارشدوها اليها فلما صارت هناك قصدت الامير جساس دون باقي الناس ودخلت عليه وهو في الديوان وحوله جماعة من الامراء والاعيان فتقدمت اليه وسلمت عليه ودعت وترجمت وبأفصح لسان تكلمت وقالت ادام الله ايامك ورفع عن ملوك الارض قدرك ومكانك وبلغك اربك ومناك ونصرك على حسادك واعداك فتعجب جساس من فصاحة مقالها فاثنى عليها وسألها عن حالها فقالت انني شاعرة اطوف القبائل والعشائر وامدح السادات والاكابر وقد سمعت بجودك وكرمك ولطفك ومحاسن شيمك فاتيت الى دارك لاعيش بجوارك واكون مشمولة بانظارك ثم اشارت تقول :

تقول سعــاد مــن قلب موجــع
زمــان السوء ابقانــا ذلائل

وبعــد علانــا صرنــا كالغرائب
وبعد الكثر قــد صرنــا قلائل

وبعــد العــز قــد صرنــا اذلا
وبعد السمن قد صرنــا هزايــل

فهذا الدهر ما له قط صاحــب
فهــذا مستقيم وذاك مــائــل

وذا يبكي وذا يضحــك ويلعب
وذا ينــدب عيــاله والحلائل

فسبحــان الــذي قدر علينــا
بغربتنــا وتشتيــت الشمائــل

فبعد ان كنت فــي خير ونعمة
دعاني الدهر كالطلاب سائــل

ادور على المنــاصب والامــرة
وانــزل في القرايــا والمنــازل

سمعت بذكركــم يــا آل مــرة
ثلاث شهور لــي عنكم اسائــل

ابا جساس يــا فخر البرايــــا
ويــا كهف اليتــامى والارامل

قصدتك لا تخيــب فيــك ظني
ايــا ابن الامــاجد والفضائــل

فاجبر خــاطري ربي يجبــرك
ويعطيــك السعــادة والفضائل

فكم اوهبت مــن مــال ونوق
وكــم فرقت من خيــل اصائل

فانت اليوم بين النــاس فــردا
ثناه مشاع في كــل القبائــل

عديــم المثل مــا بــين الآمــارا
وفيك تفاخرت عربان القبائــل

عساك اليــوم تنعم لــي بمــال
ولا تصغي الــى واش وقائــل

فــارجع بالغنــائم والعطايــا
وبالخيــل المسومة الصواهــل

فلما فرغت العجوز من شعرها ونظامها وفهم جساس فحوى كلامها قال لها مرحبا الارض ارضي والديار دياري وانت نزيلتي وفي جواري فكل من تعدى عليك قتلته ثم اشار يترحب بها ويقول :

قال جساس بن مره يــا عجــوز
مرحبــا بــك بــلا بطــا

مرحبا بــك مرحبــا مرحبــا
عدد ما مشت الركــاب بالوطا

في قدومك حلت البركــة لنــا
فابشري بالخير مع كثر العطــا

اسرحي ثم امرحي في حينـــا
ما اغيظك لو بدي منــك خطــا

قال الراوي فلما فرغ جساس من كلامه دعت له العجوز بالنصر وطول العمر والبقاء وقالت في سرها لقد نلت المراد بعون رب العباد واقامت عنده شهرين وجساس يزيد في اكرامها وكانت قد رأت اتفاق قوم كليب مع بني مرة وهم في محبة وموالفة عظيمة واجتماعات كثيرة كانهما قبيلة واحدة فيما هان عليها ذلك الامر فاخذت تلقي الفتنة والفساد بين الامراء والقواد حتى وقع الشر والنزاع وكثر القيل والقال ولما اشتد الامر اجتمع اكابر الناس عند الامير جساس واخذوا يشكون من بني تغلب وسوء معاملتهم وانهم يتعدون عليهم في اكثر الاوقات بدون سبب وهذا كله من يوم ما قتل كليب التبع اليماني وامتد ملكه في الاقطار فابتدأ يجور ويظلم ولا يحسب حساب احد وقومه تفعل كفعله وكان مرادهم بهذا الكلام حتى يحسسوا الامير جساس ويهيجوه على قتال كليب ولكنه لم يصغ لهم ولم يطاوعهم على مرامهم وقال لهم انه من الصواب ان اجتمع اولا مع ابن عمي كليب واعلمه عن تعديات قومه وجورهم علينا فان وجدت كلامه قاسيا يكون هو السبب في تقويتهم وان امر بتأديب المفترين نكون قد نلنا مرادنا وما زالت الفتنة بين الفريقين تمتد وتشتد حتى اتصل الخبر الى مسامع كليب وبلغه ان بني مرة هم اصل ذلك الخصام وانهم كل يوم في جمعيات واستعدادات فضاق صدره وتكدر وارسل يعلم جساس بذلك الخبر طالبا منه ان يبادر بالحال بقصاص المذنبين وتوقيف حركات المخربين واخراج العجوز من القبيلة التي كانت سببا لهذه الورطة الوبيلة فاغتاظ جساس من ذلك وتأثر وتأكد عنده كلام قومه وعلم ان اصل البلاء من كليب فلم يجبه بجواب ولا بخطاب واخذ جساس من ذلك اليوم يفرق على قومه السلاح ويقويهم بآلات الحرب والكفاح فبلغ بذلك الامير كليب فحار في امره وخاف على ملكه وتذكر اخاه الزير فركب في جماعة من الفرسان وقصده الى بير السباع فوجده جالسا على صفرة المدام مع ابن عمه الامير همام وهما يتناشدان الاشعار ويتحدثان بالاخبار فنهضا له على الاقدام واجلساه في اعلى مقام

وفرح الزير بقدوم اخيه كانه كان له مدة طويلة غائبا عنه غير عالم بان مجيئه لم يكن ناتج الا عن سبب ضروري جدا وبعد ان جلس قليلا قال كليب للزير اعلم يا اخي ان سبب مجيئي اليك اولا لاجل المشاهدة وثانيا حتى آخذك الى القبيلة واقيمك ملكا مكاني لاني طعنت في السن ولم يعد لي طاقة معاطاة الاحكام لا سيما قد تغيرت ووقع بين القبيلتين النزاع والجدال فاشتغل مني القلب والبال فقم معي الآن يا سيد الفرسان فقال الزير والله لقد اشغلت بالي بهذا المقال فانشد كليب وقال :

اخي سالم اسمع ما اقلك	ففكرك ديره والذهن ليا
اراك اليوم في زهو ولهو	ولا تدري ما حل فيا
بنو قيس وقعوا بخالف	وجساس نوى تركيب عليا
فقوم وشد عزمك يا مهلهل	لانك انت جبارا عتيا
والا راحت البلدان مني	وصرنا معيرة عند البرية

قال الراوي فلما فرغ كليب من شعره ضحك الزير حتى استلقى على قفاه فقال كليب ما اضحكك قال لقلة عقلك قال انا قليل العقل قال لو لم تكن قليل العقل ما كنت تكلمت بهذا الكلام بعد ان نظرت هذا القصر الذي هو امامك قال كليب وما يكون هذا القصر قال المهلهل هذا قصر قد بنيته من رؤوس السباع الذي قتلتهم بثار الحمار ومع كل ذلك انت ملك عظيم وصاحب ولايات واقاليم فكيف تقول انك خائف وفزعان واخوك الزير فارس الفرسان فكن في امان واطمئنان من نوائب الزمان فان كنت بثار الحمار الذي ليس له قدر بنيت قصرا من رؤوس السباع الا ابني من رؤوس الاعادي مدائن وضياع وحصون وقلاع فاذهب بالسلامة ولا ترتاع ثم اجابه على شعره يقول :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل	انا لي في الوغا عزما قويا

سباع الغاب خافت من قتالي وتخشاني ولم تقدر عليا
فاذهب يا كليب ولا تبالي واحكم بالقبائل بالسوية
فانْ خارت بنو بكر وخانت فلا اترك اخي منهم بقية

فلما سمع كليب شعره احتار في أمره وندم على مجيئه ثم كرر عليه السؤال وطلب منه ان يسير معه خوفا من حدوث امر من الامور فقال الزير سر انت اولا ساتبعك فيما بعد فقال لماذا لا تسير الآن فقال لا خفاك لما حضرت الى هذا المكان قتلت جميع السباع ما عدا سبعين او ثلاثة فمتى قتلتهم ادركتك في الحال فعند ذلك ركب كليب جواده وسلم امره لله وسار الى ان وصل الى الديار وهو في قلق وافتكار .

هذا ما كان من امر كليب ويرجع الكلام الى سعاد الشاعرة الساحرة الماكرة فانها لما اثارت الفتنة بين القوم وصار لها عند بني مرة ذلك القبول وجميع كلامها عند جساس مقبول اخذت طاسة من الفضة وملأتها من المسك والزباد والعطر وخفقت الجميع في بعضهم البعض وعمدت الى ناقتهاالجربانة واخذت تطلي اجنابها وتدهنها بذلك الطيب ثم امرت بعض العبيد ان يأخذها الى المرعى ويمر فيها بالقرب من صيوان جساس في الصباح والمساء واوصته اذا احد سأله عنها وعن سبب رائحتها يقول له لا اعلم وانما مولاتي تعلمفأخذ الناقة ومر من ذلكالمكان فعبقت رائحة الطيب واستنشقجساس الرائحة الطيبة فتعجب وكان قد نظر الى العبد وتلك الناقة فامر باحضار العبد وكان يظن تلك الرائحة عابقة منه ولما حضر واذا رائحته كريهة جدا فسأله عن تلك الرائحة فقال من الناقة فازداد تعجبا وسأله عن سبب ذلك فقال لست اعلم يا مولاي وانما مولاتي سعاد الشاعرة تعلم ذلك فقال جساس هذا امر غريب واستدعى العجوز فحضرت ثم سألها عن قضية الناقة فتنهدت من فؤاد موجوع وقالت لاخفاك اطال الله عمرك وابقاك ان هذه الناقة من سلالة ناقة صالح وفيها خواص غريبة الاحوال فان بعرها

من المسك وبولها من العطر وعرقها من الزباد فتعجب جساس غاية العجب وقال تبارك الله رب العالمين فلا بد لي من اخذ هذه الناقة وافتخر بها على سائر الملوك ثم قال لها هل تبيعيني اياها باحرة العرب وانا اعطيك مهما تطلبين من الفضة والذهب فلما سمعت كلامه بكت ولطمت وجهها وقالت والله هذا الحساب الذي كنت احسبه فاني ما هاجرت من بلادي الا لاجل هذه الناقة وكلما نظرها امير او ملك يطلبها مني وما دام الامر كذلك فاني سأرحل من عندك ثم بكت من قلب حزين وانشدت تقول :

تقول سعاد من قلب موجـع	سقاني الدهر كاسات الحمام
ضنى من الفؤاد وغاب نومي	عمي بصري وقد زادت سقامي
انا حرمـة ولي يد قصـيرة	ولا لـي قيمـة بين الانـام
وهذه ناقتـي قـد شتتنـي	عن الاوطان يا ابن الكـرام
فكم من سيد جـاء يشتريها	فما نالـوا بهـا بل المـرام
وقد جينا لديكم والتجينـا	وقلنا قد حظينـا بالسـلام
وانت تريد ان تأخذها منـي	فعـاد رجوعنا اشهى مـرام

فلما فرغت من كلامها اخذ جساس يتعطف بخاطرها ويقول لها ان كلامي معك هو على سبيل المزاح فناقتك مباركة عليك وانت المعززة عندي فقالت من حيث ذلك اريد ان تخص ناقتي بما يليق بها فقال ارسليها الى المراعـي مع نوقي وجمالي فقالت انها لا تأكل الا من الرياحين وزهر البساتين فقال انه ليس لنا كروم ولا بساتين قالت وهذه الكروم التي اراها بجانب القبيلة من هو صاحبها قال هي لابن عمي كليب زوج اختي الجليلة وهمام متزوج اخته ضباع قالت ما دام انكم اهل واقارب وانت ملك نظيره فلماذا يكون كليب اعظم منك فقال انه من بعد قتله الملك تبع عظم امره وانتشر ذكـره وتملك على البلاد واطاعته العباد فلما سمعت هذا الكلام قالت والله انـي لقد اخطأت وبئس ما فعلت فاني قد تركت البحر وجئت للساقية وتعلقـت

بالذنب وتركت الرأس فاغتاظ جساس وقال ما معنى هذا الكلام يا حرة العرب فانك خرجت عن دائرة الصواب اهذا جزاء المعروف والاحسان فقالت لا تغضب ولا تغتاظ وما قولي هذا الا من المحبة فكيف يملك ابن عمك وصهرك هذه الاراضي العظيمة وانت ليس لك قدر ولا قيمة اهكذا الاهل وابناء الاعمام ايها الملك الهمام فقال جساس وذمة العرب وشهر رجب لقد تكلمت بالصواب وانا من الان ما عدت احسب له حساب لانه قد اغتر وتمرد ولا عاد يحسب حساب احد ولا بد من ان اطالبه ليقاسمني الاملاك والا القيته في الهلاك فروحي اطلقي ناقتك لترعى في احسن البساتين فراحت العجوز وانشرح صدرها فقبلت يده وخرجت من عنده وقالت لعبيدها خذوا هذه الناقة واتركوها ترعى في البستان المعروف بحمى كليب واجعلوها تهدم الحيطان وتقطع اشجار وتأكل الاغصان واذا اعترضكم احد فاشتموه وسبوه واذا اقتضى الامر اقتلوه ولا تخافوا فقالوا سمعا وطاعة ثم اخذوا الناقة وساروا بها الى ذلك البستان وكان روضة جنان كثير الاشجار والفواكه والاثمار وكان كليب قد اعتنى به حتى صار من احسن المنتزهات في الدنيا وكان لا يسمح لاحد ان يدخله سوى هو وعياله فقط ولما اخذت العبيد الناقة دخلوا بها اليه بعد ان هدموا الحائط وصاروا يقلموا الزهور ويكسروا اغصان الشجر وكانت الناقة تأكل العرايش وثمار الكروم وكان كليب اقام حارسا يحرسه اسمه ياقوت فهجم على العبيد بالعصا وقال اخرجوا يا كلاب من البستان قبل ان يحل بكم الهوان فضربوه وشتموه فهرب من بين ايديهم وجاء الى كليب واعلمه بواقعة الحال فاغتاظ غيظا شديدا وجاء الى البستان ومعه اربع غلمان فرأى العبدين احدهما جالس على سريره الذي يجلس عليه وقت النزهة والاخر داير مع الناقة بين الزهور وهو يسب كليب فركض غلمان كليب على العبدين ليقبضوا عليهما فتركا الناقة وهربا فاحضر الغلمان الناقة لكليب فامر بذبحها فذبحوها وطرحوها خارج البستان وكان عبيد العجوز يروا ما يجري على الناقة فلما شاهدوا

ذبحها رجعوا واعلموا مولاتهم بما جرى وكان وكيف ان غلمان كليب ذبحوا الناقة بأمر مولاهم وطرحوها خارج البستان قالت والان بلغت مرادي واخذت بثاري من الاعادي ثم امرت العبد ان يسلخ الناقة ويأتيها بجلدها فسار العبد وسلخها وجاء بجلدها اليها وقامت من وقتها ووضعت التراب على رأسها وشقت ثيابها مع بناتها وعبيدها وجوارها واخذت جلد الناقة وسارت بها الى عند الامير جساس فدخلت عليه وهو في الديوان مع الاكابر والاعيان وصارت تندب وتبكي والقت الجلد بين يديه فقال علامك ايها العجوز ما الذي اصابك فحدثته بالقصة وقالت في آخر الكلام لو كنت اعلم ليس لك عند ابن ربيعة قدر ولا مقام ما كنت تركت ناقتي ترعى في حماه ويذبحها بل اني اعتمدت على كلامك نظرا لعلمي برفعة مقامك بين اهلك واقوامك حتى جرى ما جرى بسببك فلما فرغت العجوز من كلامها استعظم جساس تلك القضية وعصفت في رأسه نخوة الجاهلية وقال للعجوز اذهبي بأمان فانا اعرف شغلي فذهبت الى خيامها واستبشرت ببلوغ مرامها ثم التفت الامير جساس الى من حوله من الامراء واكابر الناس وقال انظروا ما فعله في حقنا وهو صهرنا فقد اهاننا بهذا العمل وانا لا بد لي ان استعد لقتاله في هذا اليوم فاما ان اقتل او ابلغ الامل فقالت له اكابر العشيرة تمهل يا امير فانه لربما لم يعلم انها ناقه نزيلك ومن الصواب ان ترسل له كتابا على سبيل العتاب وتطلب منه ثمن الناقة وتنظر ما يكون جوابه فان ارسل الثمن واعتذر كان خيرا وان أبى وامتنع فحينئذ تفعل ما تريد فاستصوب جساس هذا الرأي وكتب كتابا الى كليب يعلمه بذلك الحال ويطلب منه ثمن الناقة وارسل الكتاب مع عبده يقظان فاخذ يقظان الكتاب وفي طريقه مر على تلك العجوز واخبرها بالقصة فترحبت به ولاطفته بالكلام وقدمت له الطعام ثم اخذت تسقيه المدام حتى سكر وغاب عن الصواب فعند ذلك فتشته في ثيابه حتى عثرت بذلك الكتاب فقرأته فوجدته كتابا بسيطا خاليا من التهديد والوعيد فاضافت اليه كلاما مغيظا وهي هذه الابيات :

امير كليب يا كلب الاعــارب ايا ابن العم لا تكبر علينــا
فلازم اذبحك في حد سيفــي وانت شبيه حرمــة اجنبيــة

ثم طوت الكتاب ووضعته مكانه ونبهت العبد فركب جواده وسار حتى وصل الى ديوان الامير كليب فنزل ودخل عليه وقبل الارض بـين يديـه وناوله الكتاب فأخذه وقرأه فاغتاظ غيظا شديدا واراد ان يقتل العبد ولكنه كان رجلا عاقلا موصوفا بالحلم والحزم فأطرق برأسه الى الارض وتفكر قليلا ثم قال لعل الامير جساس كتب هذا الكتاب وهو في حالة السكر غائب عن الصواب فمزق الورقة وامر بضرب العبد فضرب وقال له اذهب يا ابن اللئام الى عند مولاك بسلام والا اسقيك كاس الحمام فقام وهو في آخر رمق وركب حصانه وسار الى عند جساس وقال له عندما قرأ الكتاب مزقه وامر بضربي وقد شتمك وسبك وهذا الذي جرى فلما سمع جساس هــذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام فنهض في الحال ودخل خزانة السلاح ولبس آلة الحرب والكفاح وركب ظهر حصانه وانحدف من صيوانه وصاح على ابطاله واخوانه وفرسانه فجاءوا اليه وداروا حواليه فاعلمهم بواقعـة الحال وما جرى بينه وبين كليب من النزاع والجدال وقال لهم استعـدوا لقتال بني تغلب الانذال واخذ ينخيهم بهذا الشعر والنظام :

يقول جساس نار القلب مشتعلة طي الضمائر يا قومي لها لهيب
يا قومنا اسمعوا قولي واصغوا اقول صحيح ليس لها تكذيب
كليب خلى الى احوالنا عبـر حكم البلاد مشارق ومغيـب
وليس يحسب لنا قدر ومنزلة الكل عنده غنم وهو الذيـب
ناقة نزيلي ذبحها ما اختشى احدا اجرى الى دمها شبه الانابيـب
أتت عجوز فألقت بجلد ناقتها بعد ما بكت بدمـع سكيـب
تنهدت ثم قالت يا ولـد مـرة ابن عمك كليب عليك يعيـب
هكذا كليب يفعـل بنزيلـك ما لك قيمة عنده ولا ترحيـب

فقلت لها اصبري يا عجوز عليّ | فانا اجيب لك منه ثمنها اجيب
ارسلت لها اليقظان عبدي | بكتاب ما فيه أسى ولا تعتيب
شق الكتاب وارمي العبد بضربة | ومن كثر الضرب ما ظنه يطيب

قال الراوي فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وعرف قومه فحوى قصده ومرامه فما احد طاوعه على هذا المرام وقالوا له عن فرد لسان بئس الرأي وهل يجوز لنا يا امير لاجل ناقة حقيرة نقاتل ابن عمنا الامير كليب ونرفع في وجهه السيف بعد ان صاننا وحمانا بسيفه وقتل الملك تبع حسان واستولى على الاقاليم والبلدان وجعل لنا ذكرا عظيما في قبائل العربان على طول الزمان فان كان لك عليه دم او ثار فدونك واياه فلا تطلب منا مساعدة ولا نجدة فلما سمع كلامهم تركهم وقصد بيت العجوز ولما اجتمع بها قال لها قد جئت اليك لارضيك بالعطايا خوفا من ازدياد الشر ووقوع البلايا فاطلبي ثمن ناقتك لاعطيك اياه ولو كان مهما كان قالت اريد واحدا من ثلاثة اشياء قال وما هو قالت اما ان تملأ خرجي بالنجوم او تضع جلد الناقة على جثتها لتقوم او رأس كليب بالدماء يعوم فقال لها اما ملوك خرجك بالنجوم او الناقة تعيش وتقوم فهذا لا يقدر عليه الا الحي القيوم اما رأس كليب فابشري به ثم قوم السنان واطلق العنان وقصد حي بني قيس فقالت العجوز لعبدها سعد خذ هذه السكين والمنديل الابيض واتبع جساس من وراءه فاذا رأيته قتل كليب فاسرع اذبحه والطخ هذا المنديل الابيض من دمه فمتى فعلت ذلك فاني اطلقك لوجه الله تعالى فامتثل امرها وتبع آثار جساس حتى وصل الى قصر كليب وسأل عنه فقالت له اخته الجليلة قد ركب الان وهو يطبع مهره في وادي الحصا والجندل فقصده حتى التقى به وهو يطبع مهره وكان كليب بدون سلاح ولم يكن معه سوى خيزرانه فقط وكان كليب دائر ظهره الى جساس لانه كان من عادته انه لا يلتفت في ايام الحرب الى اقل من مائة فارس فاراد جساس ان يغدره من قفاه فما

طاوعته يده على ذلك مهابة ووقارا فلما وصل سلم عليه فرد عليه السلام فرآه مسربل بالسلاح فاستعظم كليب الامر وقال علامك يا ابن عمي اراك بالسلاح الكامل قال مرادي الصيد والقنص لكني لما التقيت بك عرجت اليك لاسألك سؤالا واحدا واعاتبك على ما فعلت فهل لان لك بساتين وكروم ونحن ما لنا شيء حتى اتت لعندنا عجوز شاعرة مع بعل لها اعمى ورعت ناقتها في بستانك على جاهنا فقتلت الناقة اما لنا عندك قيمة ولا اعتبار بهذا المقدار .

قال الراوي فضرب كليب كفا على كف من شدة الاسف وقال والله يا ابن عمي ما عرفت انها ناقة نزيلك ثم ذكر له سوء ادب الرعيان وما فعلوا من الضرر في البستان ومع كل ذلك فاني اعوض عليها باربعمائة ناقة واذا ارادت اكثر اعطيها ولا يكون ذلك سببا للنزاع والخصام بيننا فاننا اولاد عم واصهار فقال جساس على سبيل الخداع اني سأرضيها وهو قاصد قتله ثم قال له مرادي العب معك سبقين بالجريد فقال كليب يا جساس انت راكب ظهر القميرة وانا راكب مهر جاهل فقال انا اسوق امامك والمهر يسبق الفرس فلاعبه كليب بالجريدة فاصابت ظهره فقلبته عن ظهر الفرس فانحدر الدم من فمه ومناخيره فقال كليب قم يا ابن العم فان كنت لا تريد ان تلعب غير هذه الجريدة فاسرع واضربني بها فينتهي الحال نزل كليب عن ظهر المهر ومشى امامه اما جساس فانه قد تألم من هذه الضربة حتى انه لم يعد يستطيع القيام واذا بعبد العجوز اقبل اليه وجذبه من يده فاوقفه وقال والله انك من احقر الرجال ثم اعلمه بحاله وكيف ارسلته العجوز خلفه لاجل تلك القضية فتحمس جساس ونهض ومسك له العبد الركاب فركب ثم تقدم نحو كليب والرمح في يده وطعنه في ظهره فخرج يلمع من صدره فوقع على الارض يتخبط في دمه فبكي كليب ملء عينيه ودمعه يسيل على خديه فلما رآه جساس على تلك الحالة ندم وتأسف على ما فعل فتقدم اليه وقبله من

لحيته وعارضيه وضمه الى صدره ووضع رأسه على ركبته وقال سلامتك يا ابن عمي يا ابا اليمامة فقد حلت بي الندامة فوالله اني فعلت ذلك بدون عقل ولا تمييز فسامحني على هذا الارتكاب القبيح فقال كليب من حلاوة الروح هذا حكم الاله المتعال ما كان املي منك ان تبادلني بهذه الفعال وتشمت في الاعداء الانذال وتفرق بيني وبين اليتامى وما بكائي على مال ولا نوال وانما بكائي على اليتامى ولكن لهم رب لا يغفل ولا ينام وابكي ايضا على غدرك فانك قتلتني بالغدر والعدوان ولست من اقراني في الميدان ولا في ملتقى الفرسان ولكن سيجازيك العادل الديان وسوف ترى ما يحل بك من الهوان ولا تظن بانه يصفى لك بعد الان زمان فقم الآن واذهب الى الخيام واقري اليتامى مني جزيل السلام ولكن اسقني قبل رواحك شربة ماء لان قلبي احترق من الظمأ ثم قال :

يقول كليب اسمع يا ابن عمي	ابا جساس قد اهرقت دمي
ايا غدار تطعنني برمح	ولست انت في الميدان خصمي
واشمت الاحاسد والاعادي	وباتت اخوتي تبكي وامي
على ناقة تقتل ابن عمك	امير كريم من دمك ولحمك
بيوم الضيق كان يزيل همك	ويردي الضد في يوم النزال

قال الراوي فلما فرغ كليب من شعره ونظامه فخاف جساس واصفر لونه وارتعش قلبه وقال والله يا ابن عمي لا يعرف الانسان ماذا قدر عليه ثم انه رفع رأسه على ركبته واتى له بماء فاسقاه وتركه ثم ركب وخلاه وهو يركض ويلتفت وراه قاصدا أهله وحماه واما عبد العجوز فلما اقترب منه رآه يجود بنفسه وهو على اخر رمق فتأمل فيه العبد فوجده ذا هيبة ووقار ووجهه يتلألآ بالانوار فتأخر عنه وخاف منه فنظر اليه كليب ففاق من حلاوة الروح وقال له من انت وما هو قصدك ومرامك فاعلمني بحالك فقال لا يخفى عليك انا عبد التبع اليماني فلما قتلته انت حضرت اخته سعاد العجوز

الساحرة الى هذه البلاد لتأخذ بثاره منك وتطفي لهيب نارها وهي التــي القت الفتنة بينك وبين ابن عمك حتى قتلك وارسلتني لاذبحك وآخذ لها اثرا من دمك فقال كليب لقد صدقت فقد ذكر لي الملك تبع هذا الكلام ونفذ قوله بالتمام وهذا تقدير رب الانام فاريد منك يا عبد الخير قبل ان تذبحني تفعل معي هذا الجميل وهو ان تلقيني بالقرب من هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير لاكتب وصيتي الى اخي سالم الزير واوصيه باولادي ومهجــة كبدي وبعد ذلك افعل ما تريد فسحبه العبد الى قرب البلاطة والرمح غارس فيه والدم يقطر من جبينه فبكى كليب وتفكر وهو يتأمل ويتحسر ثم اخذ بيده عودا وغطه بالدم وانشد يقول :

يقول كليب اسمع يا مهلهــل — مذل الخيــل قهــار الاســـود
على ما حــل من جساس فيــا — طعنـــي طعنــة منهــا بعــود
ايا سالــم توصــى باليتامــى — صغار بعدهــم وسط المهــود
واســمــع ما اقلــك يا مهلهــل — وصايا عشر افهــم المقصــود
فأول شرط اخوي لا تصالــح — ولو اعطوك زينــات النهــود
وثاني شرط اخوي لا تصالــح — ولو اعطــوك مالا مع عقــود
وثالث شرط اخوي لا تصالح — ولو اعطوك نوقــا مع كاعــود
ورابع شرط اخوي لا تصالح — واحفظ زمامــي مــع عهــود
وخامس شرط اخوي لا تصالح — وقــد زادت نيرانــي وقــود
وسادس شرط اخوي لا تصالح — فان صالحت لست اخي اكيــد
وسابع شرط اخوي لا تصالح — واسفــك دمهم في وسط بيــد
وثامن شرط اخوي لا تصالح — واحصد جمعهم مثل الحصيد
وتاسع شرط اخوي لا تصالح — فاني اليــوم في ألــم شديــد
وعاشر شرط اخوي لا تصالح — والا قد شكوتــك للمجيــد

قال الراوي فلما فرغ كليب من شعره ونظامه بكى العبد عليــه ورثى

لحاله ثم تنفس الصعداء وهو مطروح وجعل يقول من حلاوة الروح ايـن الاحباب اين الاعوان والحجاب اين جندي ودولتي اين ملكي وصولتي تبا لحكم مصيره للزوال فيا ويل للذين يتجبرون على الآلـه المتعال ثم قـال للعبد بالله عليك ان تمهل علي قليلا حتى اتودع من دار الدنيا واكتب لاخي وصية اخرى فقال العبد اكتب يا مولاي رحمك الله فاخذ كليب العـود وكتب يقول :

يقول كليب من سادة ربيعـة ودمعي فوق خـدي كالقنـاة
جفاني الدهر خلاني سقيمـا فهذا الدهر كم متلـي فنـاه
خرجـت انا على مهـري اسير فليس بيدي انا سوى العصاه
فاذا ابن مـرة جـاء خلفـي يريـد قتلـي وابليس طغـاه
ضربتـه بعصاتي فوق ظهـره تقنطر راح من فـوق الوطـاه
أتى من خلفـه عبـد غريـب سريعا اركبـه ووقف حـداه
فاستعد وجاني في حال وسرعة ونـار بالحشـا زادت لظـاه
قلي دير وجهك يا ابن عمـي يريد الغـدر منـي بالقفـاه
فاحكـم طعنـة فيـا سريعـا وراح جساس هارب بالفـلاه
هديت لك هديـة يا مهلهـل عشر ابيـات تفهمهـا الزكـاة
اول بيت اقوله استغفر اللـه اله العرش لا يعبـد سـواه
وثاني بيت اقوله الملـك للـه بسط الارض ورفع السمـاه
وثالث بيت توصى باليتامـى واحفظ العهد وايـاك تنسـاه
ورابع بيت اقول اللـه اكبـر على الدهـر لا تنسـى اذاه
وخامس بيت جساس غدرنـي انظر الجـرح يعطيك النبـاه
وسادس بيت قلت الزير اخـي شديد البأس قهـار العـداه
وسابع بيت سالم كون راجـل لاخذ الثـأر لا تعطـي ونـاه
وثامن بيـت بالك لا تخلـي لا شيـخ كبير ولا فتـاه

وتاسع بيت بالله لا تصالح — وان صالحت شكوتك للاله
وعاشر بيت ان خالفت امري — انا واياك الى قاضي القضاة

ولما انتهى من كلامه التفت الى العبد وقال له افعل الان ما تريد فقال والله يا امير ما تستحق الا كل خير ويدي لا تطاوعني على ذبحك فقال اذبحني لاني في ألم شديد وعن قريب تأتي اخوتي وباقي الرجال والحريم فعند ذلك اخرج العبد السيف وانحنى عليه وذبحه ولوث المنديل بدمه ورجع الى سيدته واعلمها بقتل كليب واراها دمه ففرحت فرحا شديدا وصبرت الى الليل ثم حملت وسافرت بمن معها من تلك القبيلة سرا حتى لا يعلم بها احدا وقالت لقد اخذت الآن ثاري وطفيت لهيب ناري واما جساس لما رمى كليب وولى هارب سار حتى وصل الى قومه وهو في خوف عظيم اصفر اللون متغير الكون فقال له ابوه الامير مرة اين كنت قال كنت في البرية فالتقيت بابن عمي كليب فقتلته فزال همي وغمي فلما سمع مرة هذا الخبر تبدل صفو عيشه بالكدر وقبض على جساس من ذراعه كاد ان يخرج روحه من بين جنبيه وقال له يا عديم الذمام ويا اخبث الانام اتقتل ابن عمك وهو من لحمك ودمك لاجل ناقة حقيرة وصاحبتها سائلة فقيرة فماذا تقول العرب يا غدار اذا سمعت عنك هذه الاخبار فقد جلبت علينا الاذى والضرر وفضحتنا بين البشر وما زال يوبخه بالكلام ويلطمه من خلف وقدام حتى جاءت اليه اخوته وخلصوه من بين يديه وهم يعنفوه ويسبوه ويشتموه ما عدا الامير همام فانه كان عند الزير في تلك الايام وهما يتنادمان ويشربان المدام على بير السباع كما تقدم الكلام وليس عندهما خبر بهذه الامور والاحكام ثم التفت مرة الى اولاده وقال لهم لقد حلت بنا المصائب من كل جانب فما الذي عاد يخلصنا من الزير ليث الوادي وقهار الاعادي فوالله ليقطع آثارنا ويعجل دمارنا ثم انه بعد هذا الكلام اشار يقول :

يقول امير مرة من قصيد بأن العار ما يمحوه ماح
جلبت اليوم يا جساس حربا علينا في المساء وفي الصباح
وقدت النار في بكر وتغلب يعم لهيبها كل النواحي
ابا جساس تقتل ابن عمك كليب البرمكي ليث البطاح
فسوف ترى بما يجري علينا اذا برز المهلهل للكفاح

قال الراوي فلما فرغ الامير مرة من هذا النشيد اجابه جساس بهذا القصيد :

فان الامر زاد عن المزاح تأهب مثل من يبغي الكفاحي
فاني ان جلبت عليك حربا فاني ليث حرب في الكفاح
فكف عن الملام فلست اخشى بيوم الحرب من طعن الرماح
واني حين تنشهر المعالي اعيد الرمح في أثر الجراح
تعدت تغلب ظلما علينا بلا ذنب يعد ولا جناح
وما لي همة ابدا وقصد سوى قتل العدى يوم الكفاح

قال الراوي فلما فرغ جساس من كلامه قال له ابوه سوف ترى ما يحل بنا من البلاد والويل من سيف المهلهل فارس الخيل ثم بكى وضرب كفا على كف وقال لاولاده ان الرأي عندي ان نكتف جساس ونرسله الى الزير واخوته ليقتلوه بثأر كليب وبهذه الوسيلة تزول الفتنة وتنطفي النار، وتزول الاحزان والاكدار فان المصيبة عظيمة وعاقبتها وخيمة فقالت اولاده ما هذا الكلام يا ابانا فهل بعد كليب غير جساس يليق ان يكون ملكا فان كنت تحسب حساب المهلهل فما هو الا كالاهبل وليس له ادب الا اكل الكباب وشرب الشراب فقال مرة العياذ بالله من شر الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال لاولاده ان اخيكم همام له عند الزير مدة من الزمان فنخاف ان يعلم الزير بقتل اخيه فيقتله ولا يبقيه ٠

قال الراوي وكان لهمام جارية اسمها رباب فاستدعاها مرة اليه وقال لها اقطعي البقاع وسيري الى بير السباع واعلمي همام سرا بما جرى وتجدد وقولي له ان يرجع بالحال خوفا من ان يقتل فسارت الجارية حتى وصلت الى هناك فوجدت الزير وهمام على سفرة الطعام وهما يشربان المدام ويتحادثان بالكلام فلما رآها همام وثب اليها وقال لها ما دهاك قالت شر طويل وحزن وعويل ثم اعلمته سرا بواقعة الحال وطلبت منه المسير الى الاطلال فلما وقف على حقيقة الحال اعتراه الانذهال وغاب عن الصواب وتبدل انشراحه بالحزن والاكتئاب فلما طال بينهما الحديث والخطاب خرج الزير من بين الاطناب كأنه اسد فوجدهما يتكلمان سرا ويوميان اليه فعظم الامر لديه فسل الحسام وقال ما هو الخبر يا همام فاني اراكما في قلق واهتمام واشار يقول :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل ... احس النار في قلبي لهيب
فقلبي موجع والجسم ناحل ... ولا القي الى جسمي طبيب
وشاب الرأس مني والعوارض ... فاني صرت في حال عجيب
ابا همام الا يا ابن عمي ... فمالك خائف واقف رعيب
فمالي أبصر الحرمة تقلك ... تناديك وانت لها تجيب
اراكم كم تكتموا الاسرار عني ... كأني بينكم رجل غريب
اراكم في حديث وفي وشاوش ... وبين ذا وذا امر عجيب
فلا تخلو الامور من الحوادث ... ابا همام اعلمني تصيب
والا افتحوا لي الباب حتى ... اروح وبالغنا قلبي يطيب

قال الراوي فلما فرغ الزير من شعره اجابه همام يقول :

يقول همام اسمع يا مهلهل ... فدمعي فوق الخدود سكيب
وناري بالحشا قد احرقتني ... احس بضامري منها لهيب
اقول وانت تسمع يا مهلهل ... بأنك صاحبي نعم الحبيب

ولسنا يا ابن عمي في وشاوش ... ولا انت بيننا رجل غريب
انا واياك في طرب ولهو ... ولا تحسب حسابات الحسيب
جملنا يا فتى نيب جملكم ... جرى دمه على نحره سكيب

فلما سمع منه الزير هذا الشعر توقد قلبه بلهيب الجمر واجابه يقول :

يقول الزير يا همام اسمع ... انت ابن عمي ولي نسيب
فما لك علم في قتله كليب ... ولا لك في القضية من طليب
فقم اذهب الى اهلك بسيبي ... بلا تطويل من قبل المغيب
فتأتي اخوتي هم يقتلونك ... ويدعونك على الغبرا كئيب
فما اقدر احميك منهم ... وانت محب ايا نعم الحبيب
فوالله ثم والله والله ... ثلاث اقسام يحلفها الحسيب
فلولا حبنا مع عيش أكلنا ... وكاسات شربناها بطيب
لكنت امد يدي تحت سيفي ... واخذ ثأر اخوتي عن قريب

قال الراوي فلما فرغ الزير من هذا الشعر والنظام قال لهمام انت من دون بني مرة صديقي ونديمي وزوج اختي ورفيقي وليس عندك علم بهذا الخبر المنكر فلا تخف ولا تفزع فقال همام لقد جرى القلم يا ابن العم والذي مضى ما بقى يرجع فاما ان تقتلني عوض اخيك او تأخذ منا ما يرضيك وترفع عنا الحرب والقتال وتتركنا نبقى في الاطلال ولقد صعب علي هذا الامر والتهب قلبي مثل الجمر لما سمعت بهذا الخبر المهول فلا كان جساس المهان قال الزير وحق من يعرف الغيب وروح اخي وحبيبي كليب اني لا ارفع السيف عنكم حتى اشفي غليلي منكم واقتلكم عن بكرة ابيكم واهتك بالنساء والبنات واجعلكم مثلا في الكائنات ولو لم تكن زوج اختي وسميري ما كنت اعلمتك بما في ضميري بل كنت قتلتك في الحال واورثتك النكال فسر الان الى الاطلال ولا عدت تريني وجهك في الحرب والقتال فلما سمع همام ذلك الكلام ركب ظهر الحصان واومأ الى شيبان

الذي كان معهما في ذلك المكان ان يسير معه الى الاطلال فامتنع عن المسير وقال سابقى مع خالي الزير فسار همام وقد عظم عليه الامر وهو ينفض غبار الموت عن منكبيه حتى وصل الى حلته واجتمع بأبيه واخوته واخـذ يلوم جساس على فعله وكيف تجاسر على كليب وقتله واعلم قومه بما عزم عليه الزير فخاف الكبير والصغير وأيقنوا بالهلاك والتدمير واستعدوا من يومهم للحرب والقتال وجمعوا آلات الحرب والكفاح هذا ما كان مـن بني مرة واما الزير صاحب القوة والشجاعة والقدرة فانه بعد ذهاب همام الى الديار اشتعل قلبه بلهيب النار واعتراه الاصفرار فصار يلطم على وجهه بيديه وقد عظم الامر عليه حتى رقصت شعرا تشاربيه ومع ذلك لم تنزل من عينيـه دمعة واحدة لانه كان يعد من الجبابرة السبعة وكان يقول وحق رب العباد لا بد ان افتك ببني بكر الاوغاد واقتل الشيوخ والاولاد ولما طال المطـال وهو على هذا الحال قال له شيبان بن همام دع عنك هذا الكلام واشرب المدام فانك عاجز يا خال عن الفعال فمن انت من ابطال حتى تتكلم بهـذا المقال وتتبناها على الامراء واكابر الناس كأبي همام وعمي جساس ثم انشد يقول وعمر السامعين يطول :

وأنشد شيبان وقال في بيـوت	ودمعـي من عينـي هطـال
خالـي اسمـع مـا اقـول	وحـط قولـي وسط البـال
تقـول تكيـد بنـي مـرة	وتقتل منهـم كـل الابطـال
غدا يا خالـي هـم يأتـوك	بخيـل كثيرة ونعـم رجـال
تظهر خيـول عليـك تجـول	ودق طبـول كمـا الزلـزال
تروح الارض بطـول وعرض	تروحو قتـل بضرب صقـال
يجي جساس قـوي البـأس	كذا العبـاس زكـي الخـال
ويأتـي عمـر بخيـل ضمـر	وصقـر ونمـر وابو جفـال
واخي شيبون بطـل مجنـون	وابي همـام ان جـال ومـال

فلما انتهى شيبان من كلامه اجابه الزير على شعره ونظامه .

يقـــول الـزيـر أواه أواه	يـا ابـن اخـي عقلـي زال
تقولي غـدا الفرسان تجيـك	تخوفنـي مـن هالانـذال
تاريـك انـت عـدو مبـين	كلامـك مـا خلالـي حـال
وانا العربيـد بيـوم نكيـد	للروس اكيـد يطعـن عـوال
وبعد كليـب لابيـع الـروح	اشلكم بالرمـح شلال شـلال
وبعد كليـب لاخلـي السيف	طـول العمـر بيكـم عمـال
وانت يا ابـن اختـي اليـوم	قطوري عـدت بغـير محـال
وابوك اغـدي سيفـي فيـه	واعشي الرمـح من الابطـال

فلما فرغ الزير من انشاده نهض الغلام ليركب على جواده ويلحق باهله ضربه الزير بحسامه القاه على الارض قتيـلا وفي دمه جديلا ثم قطع عنقه في مخلاة حصانه ولفها في قربوص السرج وتركه فسار الجواد حتى وصل الى بيت هؤلاء فلما رأته ام الولد وهو في تلك الصفة قالت للجارية دونك جواد سيدك فتقدمت الجارية واخذت المخلاة ، فوجدت فيها رأس شيبان فاستعظمت ذلك الامر واعلمت مولاتها بواقعة الحال فطار عقلها لما نظـرت رأس ابنها مقطوع وضجت بالبكاء والنواح والعويل والصياح فاجتمعـت عليها نساء الحي من كل مكان ولما سمع همام الخبر طار مـن عينيه الشرر فبكي وقال لزوجته ضباع نظرت ما فعل اخوك . فوالله لم يبق لي غريـم سواه فشقت ثيابها وسارت الى عند اخيها المهلهل ولامته على ما فعل وقالت له اتقتل ابن اختك بثأر اخيك ثم اشارت تقول :

تقول ضباع يا سالم علامـك	بجـاه كليب ما سويت بابنـي
بثأر كليب تقتـل ابن اختـك	وتحرق مهجتي وتزيد حزنـي
حزنت على كليب وما جرى له	وحزني منصميم القلب مبنـي

فاجابها الزير بهذه الابيات :

يقول الزير من قلب حريق ... بقتل كليب زاد اليوم حزني
الا يا اخت قللي من بكاك ... ولا تخشين من أمر يتعبني
فو الله ثم والله والله ... اله العرش مذ ادعو يجبني
فلا بد لي من حرب الاعادي ... واقتل كل جبار طلبني

فلما فرغ الزير من كلامه قالت له لله درك يا سالم يا قهار الاسود القشاعم لقد زالت لوعتي الآن وخففت عني الاحزان لما سمعت شعرك يا فارس الفرسان وعرفت ما انت معول على الحرب والطعان واخذ الثأر وكشف العار ثم رجعت الى الديار وهي في قلق وافتكار هذا ما كان من امرها .

قال الراوي ولما اشتهر موت كليب ووصل الخبر الى ابياته وعلمت بذلك جميع اهله فمزقوا الثياب واكثروا من البكاء والانتحاب فتهتكت الوجوه الملامح ووقع فيالحي العويل والصياحوكسرت الفرسانوالسيوف والرماح وخرجت بنات كليب من الخدور وهن مهتكات الستور ناشرات الشعور حافيات الاقدام يقطعن السهول والآكام وقدامهن اليمامة وكان ذلك اليوم مثل يوم القيامة ولما وصلن اليه وجدنا الطيور حائمة عليه فوقعن على جثته وقبلن يديه وارتمين حوله ولما قرأن ذلك الشعر الذي كتبه على الصخرة زادت احزانهن واخذن يلطمن على وجوهن ثم اقبلت اخوة كليب الى ذلك المكان وازدحمت الرجال والنسوان والابطال والفرسان والسادات والاعيان يرثوه بالاشعار وجرت دموعهم كالانهار وابنته اليمامة فعلمت انه لا يوجد من يأخذ بثارها ويطفي نارها سوىالبطل الاوحد والسيف المهند والضحضاح الشهير الذي ليس له نظير عمها المهلهل الملقب بسالم الزير فسارت اليه هي واخوتها وتواقعن عليه وقلن والله يا عماه ما كأنك حزنان بما جرى علينا وكان من طوارق الزمان بقتل اخيك

كليب ملك العصر والاوان ثم القت اليمامة نفسها في حجر فضمها الى صدره وقد حار في امره ولما فاقت اشتدت عليها الحسرات فانشدت هذه الابيات :

مـات ابـي في طعـن القنـا | غدر بهجساس ذا الكلب المشؤم
وانت اليوم جالس في صفـاك | يا مهلهل بالعجل انهض وقوم
يا مهلهل ضاقت الدنيـا عليّ | وسقاني البين كاسات السموم

قال الراوي فلما فرغت اليمامة من هذا الشعر والنظام زادت على المهلهل الاوجاع والآلام فنهض على الاقدام كانه سبع الآجام وصار النهار فـي وجهه مثل الظلام وقال لبنات اخيه سوف ترون ما افعله واجديه ثم اعتد بآلة حربه وجلادة وركب ظهر جواده وسار مـع البنات يقطـع الاراضي والفلوات حتى وصل الى ذلك المكان فوجده مملوءا بالابطال والبنـات والنسوان وهم يبكون ويلطمون وينوحون ويندبون فلما رأوا المهلهل قد اقبل فتحوا له طريقا حتى دخل فوجد اخاه وهو مطروح والدماء من جسده تقطر وتسوح والناس واقفة حواليه فالقى نفسه عليه وهو يبكي من ملء عينيه ويقول سلامتك يا ابو اليمامة ويا صاحب الكرامة فقد احرقت قلبي بفقدك فلا كان من يعيش بعدك ولما اشتد عليه الامر ارته اليمامة وصيـة اخيه المكتوبة على الصخر فقرأها وقال وحق الاله المتعال اني لا اصالح الى الابد ما دامت روحي في هذا الجسد ثم بكى وتنهد ورثا بهذا القصيد امام السادات واكابر العمد وهي من اجود مراثي العرب واحسن اشعار اهـل الفضل والادب :

كليب لا خير في الدنيا وما فيها | ان انت خليتها من يبقى واليها
الناحر النوق للضيفان يطعمها | والواهب الميئة الحمرا براعيها
اضحت منازل بالخلان قد درست | تبكي كليبا نهارا مع لياليهـا
كليب اي فتـى زين مكرمـة | تقود خيـلا الى خيل تلاقيهـا
غدرك جساس يا عزي وياسندي | وليس جساس من يحتسب تواليها

لا اصلح الله هنا من يصالحهم	حتى يصالح ذنب المعز راعيهـا
وتولد البغلة الخضرا بلا ذكر	وانت تحيا من الغبـرا تلبيهـا
وتحلب الشاة من اسنانها لبنـا	وتسرع النوق لا ترعى مراعيها

فلما فرغ الزير من هـذه المرثاة الغراء وسمعتهـا السادات والامراء تعجبوا من فصاحة لسانه وقوة قلبه وجنانه وما احتوت عليه مـن الالفاظ الرقيقة والمعاني البليغة الدقيقة وقالوا والله لقد اجاد الزير وفاق الشعراء والمشاهير بكلام كالدر النضيد ثم اجتمعت الامراء والمقدمين وقالوا للعرب المجتمعين ما فائدة البكاء والانتحاب واكرام الميت دفنه في التراب ثم أتوا بكليب الى الديار ودفنوه بكل احتراموقار واعتبار ورثوه بنفائس الاشعار وبنوا على قبره قبة من اعظم القبب وطلوا حيطانها بالفضة والذهب فكانت من العجب في بلاد العرب زخرفوها بالنقش الفاخر وكتبوا عليها اسماء الاله القادر وهي هذه الاسماء التي يتكنى بها رب السماء وقد اثبتناها في هـذا الكتاب افادة للطلاب (اسماء الله الحسنى) الله الرحمن الرحيـم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباري المصور الغفار القهار الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليـم ، القابض ، البـاسط الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل السميع ، البصير الحكيم ، العدل، اللطيف، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب المجيب الواسع ، الحكيـم ، الودود ، المجيد الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين، الولي، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيـوم ، الواحد ، الماجد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المؤخر ، الاول ، الآخـر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي المتعال ، البر ، التواب ، المنعم ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، الرب ، المقسط ، الجامع ،

الغني المغني ، المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادىء ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصادق ، الستار •

قال الراوي وبعد ان تلوا اسماء الاله وسمعتها السادات والرؤساء والعشائر ودفنوا الامير كليب كما تقدم الكلام ذبح الزير على قبره النوق والاغنام وفرق المال على الارامل والايتام ثم جلس في الديوان اكابر الاعيان والابطال والفرسان واخواته الشجعان وقال لهم اعلموا ان جساسا اهانكم وقتل ابن عمكم وملككم فاستعدوا لاخذ الثأر وكشف العار من بكر الاشرار فلما سمعوا هذا الكلام اجابوه الى ذلك المرام وقالوا عن فرد لسان اننا بين يديك ولا تبخل بارواحنا عليك لان الامير كليب لا ينتسى ولم تلد مثله النساء ثم انهم تحالفوا معه وعاهدوه وعلى كرسي المملكة بايعوه واجلسوه فلما تملك على القبيلة طرد امرأة اخيه الجليلة فسارت الى بيت ابيها مع اهلها وجواريها وكانت حاملة بولد ذكر سوف يأتي عنه الخبر واستعد الزير من ذلك اليوم لقتال القوم وحلف باعظم الاقسام بانه لا يشرب المدام ولا يلتذ بطعام حتى يأخذ ثأره بحد الحسام ولا يبالي بالويل ثم امر الرؤوساء والفرسان والقواد بجمع العساكر والاجناد وان يكونوا على استعداد للحرب فامتثلوا امره بالحال وتجمعت الفرسان والابطال حتى امتلأت الروابي والتلال وقد انضمت اليه عدة قبائل وامدوه بالعساكر والجحافل حتى صار في اربعماية الف مقاتلة قال ولما بلغ بني بكر هذا الخبر اعتراهم القلق والضجر وخافوا من العواقب وطول النوائب فجمعوا المواكب والكتائب وسار بهم الامير مرة الى وادي الذئاب وهو مكان شهير يبعد ثلاثة ايام عن قبيلة الزير وهناك انضمت اليهم بعض القبائل من العربان فكانوا نحو ثلاثماية الف واقاموا في ذلك المكان ولما سمع الزير برحيل مرة واولاده الى تلك الديار قال لا بد ان اقتفي الآثار وافني الكبار والصغار ثم امر القائد الصغير بسرعة المسير فامتثلوا ما امر وفعلوا ما ذكر وفي الحال دق الطبل الرجوج فارتجت فيه السهول والمروج وهو الطبل الذي كان

لتبع حسان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى ركبت الابطال والفرسان وركب المهلهل متسربل بالسلاح كانه ليث الغاب وعلى رأسه الرايات ومن حوله القواد والجنود فعند ذلك سارت المواكب قاصدة وادي الذئاب وما زال العسكر يقطع البر الاقفر الى ان اشرف على تلك الديار وفي اليوم الثالث عند منتصف النهار لما قرب المكان وانكشف للعيان ورآه الامير مرة ومن معه من الرجال والفرسان قالوا لقد اقبل علينا الزير بالجموع والفرسان والمشاهير واليوم تباع الارواح بيع السماح وفي الحال انتخب الامير مرة الفا من الابطال وارسلهم لملاقاة الاعداء في تلك البيداء وكان المقدم عليهم ابنه الامير جساس وجماعة من عظماء الناس فسار الجحفل طالبا جيش المهلهل ثم فرق الفا اخرى في الصحراء وقدم عليها ابنه همام وحثهم على الحرب والصدام واقام هو وباقي العسكر على الجانب الايسر حتى اذا انكسرت الفرقتان يحمل بمن معه من الفرسان ولما شاهد المهلهل تلك الحال وانقسام الرجال والابطال قسم عسكره ثلاثة اقسام وتقدم ولما اقتربت العساكر من بعضها البعض وانتشرت جموعها في تلك الارض حملت الفرق على الفرق والجيش على الجيش قد انطبق وقصد المهلهل فرقة الامير مرة بعشرة آلاف من اهل الشجاعة والقدرة واشتبك القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وارتجفت الوديان من قعقة النصال فكان يوما مريعا فظيعا يشيب منه الطفل الرضيع فما كنت ترى الا رؤوسا طائرةودماء فائرة وفرسانا غايرة فلله در المهلهل وما فعل في ذلك اليوم من العمل فانه هجم هجمة الاسود وفرق المواكب والجنود ونكس الرايات والبنود وقتل كل جبار ونمرود وكان كلما قتل فارس منتخب يقول بالثارات كليب ملك العرب ويلقي نفسه في مهاوي العطب املا بالنصر وبلوغ الارب وما زال على تلك الحال حتى قتل خمسمائة من الابطال ولما اشتدت الاهوال تأخرت عنه الرجال خوفا من الهلاك والوبال وهو يجول ويدور ويهدر كالاسود

والنمور ويقول واكليبا قتيل الجور اين عيناك ترائي وتشاهد حربي وطعاني فياليتني كنت فداك ولا كان من يسلاك :

قال الراوي وكانت نيران المعامع والحروب والوقائع مشتبكـة فـي ثلاث مواضع واستظهرت جيوش المهلهل على اعدائها وبلغت غاية منـاها وفعلت باقي الفرق كما فعل سيدها ومولاها واستمر القتال على هذا الحال من الظهر الى غروب الشمس فقتل من بني بكر ثلاثين الف نفس ومن جماعة المهلهل نحو خمسة آلاف بطل فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الفرسان ونزلوا في الخيام والمضارب ورجع المهلهل وهو الغـالب وكأنه ارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان فاجتمع السادات والاعيان فهنئوه بالسلامة وقالوا مثلك تكون الشجعان يا زينة الاكوان وجـوهرة هذا الزمان فشكرهم على هذا الكلام ووعدهم بالخير والانعام ثم اكلـوا الطعام واخذوا يتذاكرون بامر الحرب والصدام وكان للمهلهل صديق يركن اليه ويعتمد في اموره عليه قوي الجنان فصيح اللسان يقال له امرؤ القيس ابن ابان وكان يقاربه بالفروسية ويساويه بالفصاحة والهمة العلية فقاتل معه في ذلك اليوم وفتك في صناديد القوم وكـان لا يفارق الزير في القتـال ويحمي ظهره من غدر الرجال فقال له امام الفرسان ما رأيك يا ابن ابان في الهجوم على الاعداء الئام تحت جنح الظلام فاني والله كلما اذكر قتل كليب تتوقد بقلبي النيران وليس لي عنهم صبر ولا سلوان فقال تمهل يـا امير مهلهل فان النهار قد اقترب ولا بد لنا من بلوغ الارب لان القتال في الليل يجلب علينا الويل فتخلط الاحزاب ولا تعود تعرف الاعداء من الاحبـاب لان الظلام يحجبنا عن بعضنا البعض وتتشتت في هذه الارض فاستصوب الزير كلامه وبات الجيشان يتحارسان واوقدوا النيران فكانت بنـو بكر وباقي قبائل العرب قد باتت في شدة وتعب وايقن الامير مرة بانه سيغلب ويقهر من سيف الزير الاسد القسور ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح تبادر العساكر الى ميدان الحرب والكفاح واصطفت الفرق الـى صفوف

وترتبت المئات والالوف وتأهب المهلهل للحرب والطعان فركب ظهر الحصان وتقدم معركة الطعان وتبعه امرؤ القيس بن ايان وسائر الابطال والفرسان بقلوب اقوى من الصوان وركب الامير مرة وبقية الفرق وتمنطقوا بالسلاح والدرق ودقت الطبول وصهلت الخيول وارتفعت الرايات علـى رؤوس الامراء والسادات من جميع الجوانب والجهات وهجم كل فريق على فريق وتقاتلوا بالسيوف والمزاريق والتقت الامم وقام الحرب على ساق وقدم وما مضى ساعة من النهار حتى اشتد لهيب النار وطلع قتام الغار واندل الجبان وحار وارتفع الصياح وعلا وارتجت اقطار الفلا ولبست الارض من الدما حللا وعظم بينهم البلا والويل وعاد بياض النهـار كسواد الليل واقتحـم المهلهل صفوف الاعادي كانه ليث الوادي وجال الميامن والمياسر وطعن بهم طعنا يذهل النواظر ويحير العقول والبصائر وهو يقول بالثار كليب مهجة فؤادي ومن كان سندي واعتمادي ولما طال المطال اشفى غليله من قتـال الابطال وقال :

ذهب الصـلح او ترددوا كليبـا	او نبيـد الحيينى بكـرا ودهلا
ذهب الصـلح او ترددوا كليبـا	او ادق الرجـال قهـرا وذلا
ذهب الصـلح او ترددوا كليبـا	او تعـم السيوف شيبـان قتلا

فانذهلت الفرسان من هول قتاله وحربه ونزاله وما زال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان ولى النهار وارتحل ودخل الليـل واقبل فرجع الامير المهلهل بباقي الجيش والجحفل وجميع اكابر عشيرته واهلـه واخواته يتحادثون فيما يجري ويكون فاستقر الرأي على سرعة الانجـاز والجهاد في الحرب والبراز قبل ان يطول الامر وتفوتهم الغلبة والظفر ثـم اكلوا الطعام وباتوا في الخيام ولما طلع النهار واشرقت الشمس والانـوار تأهبوا للحرب والكفاح فتقلدوا بالسيوف والرماح ودقوا الطبول وركبوا ظهور الخيول وتقدمت الفرسان والابطال الى ساحة القتال وكذلك فعـل

الامير مرة والامير جساس ومن يلوذ بهم من عظماء الناس والتقت العساكر وتقاتلوا بالسيوف والخناجر وكان الامير المهلهل في اول الجحفل فصاح وحمل والتقى الفرسان بقلب اقوى من الجبل وهو يهدر كالاسد ويضرب فيهم بالسيف المهند وكان كلما قتل فارسا يقول بالثارات كليب فقصدته الابطال من اليمين والشمال وهو يضرب فيهم الضرب الصائب ولا يبالي بالعواقب حتى مزق الصفوف بحملاته وفرق الالوف بطعناته وما انتصف النهار حتى قتل مائة بطل كرار وكانوا من الابطال والفرسان المعدودة كذلك فعل امرؤ القيس بن اياد وباقي القواد والشجعان وما زالوا على تلك الحال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فارتدوا عن الحرب والصدام ورجعوا الى المضارب والخيام وكان قد قتل من عرب جساس في ذلك النهار عشرون الف بطل كرار ومن عرب المهلهل نحو ثلاثة آلاف بطل ولما اصبح الصباح استعد الفرسان للحرب والكفاح فركبوا ظهور الخيل وتقاتلوا بالسيوف والنصول وهجم المهلهل على الفرسان الفحول ينشد ويقول :

هلموا اليوم نفني آل مرة	ولو كانوا ثلاثين كرة
وسيف الهند يقطع في يميني	فلا تخشى المهالك والمضرة
فاحموا يا بني عمي لظهري	فتحظوا بالاماني والمسرة
فكل الناس ترهب من قتالي	اذا ما جلت في الميدان كرة
وسوف ابيد جساسا وقومه	واسقيهم من حروبي كأس مرة

ثم حمل على الكتائب واظهر الغرائب والعجائب وقتل كل شجاع غالب وما زال القوم في حرب وصدام وقتل وخصام مدة ثلاثة شهور حتى اشفى الزير غليله من بني بكر وقتل منهم كل سيد جليل وفارس نبيل وكان عدد من قتلهم في تلك الوقائع نحو ماية الف مقاتل ما بين فارس وراجل وقتل من جماعة الزير نحو عشرة آلاف بطل فلما رأى جساس ما حل بقومه من النوائب خاف من العواقب وعلم انهم اذا ثبتوا امامهم يهلكون هلاك الابد

ولا يبقى منهم احد فولى وطلب لنفسه الهرب مع باقي طوائف العرب وغنم الزير غنائم كثيرة واموالا وفيرة ثم رجع مع الفرسان الى الاطلال في احسن حال وانعم بال ونزل في قصر اخيه وصارت ملوك العرب تكاتبه وتهاديه وكان يترقب الاوقات للحرب والغزاة فشكرته اليمامة على ما فعل وقالت لا عدمتك ايها البطل فانك اخذت الثأر وطفيت لهيب النار ورجعت بالعز والانتصار فشكرها على هذا الكلام وقال وحق رب الانام لا يشفى فؤادي ولا يطيب لذيذ رقادي حتى اقتل الامير جساس واجعله مثلا بين الناس وهذا الامر سيتم عن قريب باذن السميع المجيب •

قال الراوي بينما هو يترقب الاخبار ويقتفي منهم الآثار اذ دخل عليه العابد النعمان الذي تقدم ذكره قبل الان وكان من اصحاب الزير واصدقائه المشاهير فسلم عليه وتمثل بين يديه فنهض له على الاقدام واكرمه غاية الاكرام وبعد ان جلس قال للزير اعلم يا امير اني اتيت الان من ابعد مكان اولا لاهنيك بالانتصار واعزيك على فقد اخيك البطل الكرار وثانيا علمك بانه ظهر لي في المنام من مدة عشرة ايام رؤيا عجيبة تشير الى احوال غريبة وهو انه قادم عليك سبعة سنين منحوسة وايامها عليك معكوسة فاياك في هذه الايام ان تحارب احدا من ملوك الاقطار بل تجنب وقوع الفتن وتبقى مرتاح في الوطن ومتى نمت هذه الليالي ورافقك السعد والاقبال فانحاربت انتصرت وان ظفرت قهرت فشكره الزير على ذلك الاهتمام وغمره بجزيل الانعام ومن ذلك اليوم اخذ لنفسه الحذر وتجنب مخالطة البشر وكان يصرف ايامه بشرب المدام واكل الطعام واشتهر الخبر بالقبائل ان الزير اوقف الحرب سبعة سنين كوامل وكانت بنو مرة قد هامت في الاقطار خوفا من الهلاك والدمار وندم جساس غاية الندم على قتله كليب الاسد الغشمشم وما زال هو وقومه في خوف وحذر من عواقب الامور الى ان بلغهم خبر توقيف الحرب فزالت عن قلوبهم الهموم والاهوال ورجعوا الى الاطلال اما الزير فانه استمر على تلك الحال في ارغد عيش وانعم بال الى ان كانت

السنة السادسة فركب الى الصيد في جماعة من فرسانه وابتعد عن الديار نحو ثلاثة ايام ومن الاتفاق الغريب ان الامير جساس رأى حلما في بعض الليالي وهو ان حوضا قرب صيوانه كانت قومه تشرب منه فاذا بذئب كاسر قد جاء الى الحوض وهو بصفة حمل كبير وله ثمانية انياب فشرب من الماء ثم ضرب الحوض بنابه فانشق من جانبه وتهور ذلك الماء حتى كادت قومه تهلك من شدة العطش والظمأ ثم رأى النسوان والاولاد بثياب سود والدم جاري مثل السيل والمجاري والجمال تنهش بعضها البعض ودماءها تسيل على وجه الارض فاستيقظ جساس خائفا من هول ذلك المنام فاستدعى اخوته وبني الاعمام وقص عليهم ما رأى وابصر فاستعظموا ذلك الامر وقالوا لا يوجد احد يقدر على تفسيره سوى المنجمين فارسل اليه فحضر وقص عليه ذلك المنام فضرب الرمل ورسم الاشكال فبانت له حقائق الاحوال ثم التفت الى جساس ومن حضر هناك من الناس وقال لهم هذا المنام من العجائب وهو يدل على شر عظيم وخطب جسيم سوف يحل عليكم من سالم بوقت قصير وظهر لي ايضا ان اخا المهلهل عنده مهر ادهم اسمه عدم قوي العصب والخيل عديم المثال في الخيل فسعد الزير مقرون بهذا الحصان وبه ينتصر في الحرب والطعان فاذا ملكتم هذا الجواد نلتم المراد واسرتموه في القتال والطراد فلما سمع جساس هذا الكلام استبشر ببلوغ المرام وقال لهم قد بلغنا بان الزير غائب عن القبيلة وما في الحي غير النساء والحصان موجود في الخيام وهذه اوقات الفرصة وازالة الغصة ثم ارسل رجلا ليكشف الخبر فسار ثم رجع واخبره بصحة الكلام فركب جساس في ثلاثة آلاف بطل وطرق ديار المهلهل على عجل واحاط بساحة الدار من اليمين الى اليسار فاستعظمت بنات كليب ذلك الامر ولم يعلمن السبب فطلت اليمامة رأسها من الشباك وقالت له وهو راكب على ظهر الفرس ما الداعي يا خالي لقدومك الينا بالابطال والحي خالي من الرجال فقال جينا نطلب المهر الادهم المدعو بعدم فقالت اهلا وسهلا فيك ومهما

طلبت فلا تمسكه عنك غير ان المهر لاخفاك هو خاصة في عدته فلا يمكننا ان نسمح فيه ثم اشارت تقول :

لقد قالت يمامة في بيوت الا يا مرحبا فيكم خوالي
الا يا مرحبا فيكم جميعا عداد القطر مع عد الرمالي
بكم قد حلت البركة علينا وزال الشر عنا مع نكالي
فمهما تطلبوا مني تشوفوا خيولا مع بغال مع حمالي
ولكن مهر عمي غير ممكن اسلمه فان المهر غالي

قال الراوي فلما سمع جساس شعرها ونظامها اجابها يرد على كلامها :

تعالوا اسمعوا قول اليمامة تقول المهر لا اعطيه غالي
فاني قاصدا اخذه سريعا ولا اخشى العداة ولا ابالي

ثم نزل عن ظهر الفرس ودخل الى الاصطبل فوجد المهر فوضع عليه العدة وركبه وقال لليمامة قد اخذت الحصان وغدا اطاردكم على ظهره ثم سار وهو فرحان حتى وصل الى الاوطان فقال لاخوته قد اتيت بالحصان ومرادي ان اجربه بالميدان فانتخبوا ثلاثين رأسا من الخيل الصوافن فاركبوهم في عشر مكامن وانا اسري عليكم اسرع من الريح وتبعوني في البر الفسيح فان سبق هذا الجواد بلغنا منه المراد في الحرب والطرادفاجابوه الى ما طلب واراد وركبوا الخيول الجياد وركب سلطان اخو جساس القميرة ووقف في آخر كمين وركب جساس المهر واطلق له العنان فسار به في تلك القفار اسرع من الطير اذا طار ولما اقترب من الخيل تبعته فسبقها جميعها ما عدا القميرة ففرح جساس ثم نزل عن ظهره وامر للعبد ان يربطه قرب صيوانه ووكل به ماية عبد وقال لقد اقبل علينا السعد وسوف نقتل ذلك الوغد اما الزير فانه رجع من الصيد ودخل الاصطبل واستفقد ذلك الحصان فلم يجده مع الخيل فصعد الى القصر وسأل اليمامة واشار يقول :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل ... بدمع قد جرى مني بـداد
يمامة رحت انا للصيد قانص ... وقومي واخوتي ثم الجياد
لنا عشرون يوما في فلاة ... ودرنا من بلاد الى بلاد
وصدنا الطير مع وحش كبير ... وردينا ورجعنا للبلاد
وجيت لمهر اخي ما لقيته ... شرد عقلي وعني عاد غادي
فأين المهر قوطر يا يمامة ... عدم صبري وفارقني رشادي
امات المهر ام احد سباه ... من الاوباش والناس الاعادي

فلما سمعت اليمامة شعر عمها اجابته بقولها :

تقول اليمامة يا عم اسمع ... الا يا عم جاؤونا الاعادي
اتى جساس اخذه غصب عنا ... انا حرمة ومالي من جلادي
فقلت لا تأخذه يا خال تندم ... يجوك غدا على خيال جيادي

فلما فرغت من شعرها ونظامها اجابها الزير قائل :

يقول الزير قهار الاعادي ... انا السبع الجسور بكل وادي
غدا لا بد امشي للقاهم ... واحصد جمعهم يوم الجلاد
وآخذ ثارنا من آل بكر ... واطفي النار من طي الفؤاد

فلما فرغ الزير من شعره دخل وجلس في الديوان وجمع اخوته والامراء والاعيان واخبرهم بواقعة الحال وقال لهم ما رأيكم في استجلاب الحصان فقالوا له الرأي رأيك ونحن طوع يديك قال لهم الزير اركبوا غدا في ثلاثة آلاف فارس واكمنوا في وادي الهجين وانا اكمن في وادي المعلا وكان هذا المكان يبعد عن بني مرة ميل ثم قال لاخيه عديه وانت قم الان وغير ثيابك وزيك والبس ثياب ممزقة حتى لاحد يعود يعرفك ثم اذهب لحي بني مرة واجلس بقرب صيوان جساس فاذا سألوك عن بلادك ومهنتك فقل لهم اني

من بلاد الصعيد ومهنتي سياسة الخيل وانا قد بلغني ان جساس من محبته بالحصان كل يوم يسلمه الى سايس فاذا قالوا لك هل تريد ان تخدم عندنا وتسوس هذا المهر فقل نعم حتى اذا تسكنت منه تركب على ظهره وتلحقنا الى ذلك المكان فمتى صرت هناك لا تخف ولا تحسب لهم حساب ولـو كانوا بعدد التراب فاني سأبيد جمعهم بعون رب العالمين وآخذ ثارنا مـن جساس فاستصوب عديه رأيه ولبس ثياب ممزقة وتعمم بعمامة والتـف بحزام عتيق وغير زيه وتنكر وسار يقطع البر الاقفر الى ان دخل حي بني مرة فقصد صيوان جساس وكان قد اقبل الليل فرقد بين اطناب الخيام ولما كان الصباح جلس الامير جساس واجتمع حوله اكابر الاعيان ثم وضعوا موائد الطعام واخذوا يتذاكرون بالكلام فبينما هم كذلك اذ حانت مـن جساس التفاتة فرأى عديه في تلك الصفات فشفق عليه وقال لبعض غلمانه اطعم هذا الفقير واسأله عن حاجته فاخذ له الغلام صحن الطعام وسأله عن بلاده فقال انني من بلاد الصعيد ومهنتي سياسة خيل الاجاويد وقد جـار علي الزمان فاتيت قاصدا اهل الفضل والاحسان الى ان وصلت لهذا المكان فطيب الغلام خاطره واعلم مولاه بحاله فقال جساس اذا كان مـن بـلاد الصعيد فهو ادرى بسياسة الخيل من العبيد فدعوه يسوس لنا المهر الجديد وانا اعطيه كل ما يريد وان وجدته من الماهرين سلمته جميع خيلي وجعلته رئيس اصطبلي فلما قال له الغلام هذا دعا لجساس بطول العمر ثـم انـه تحزم وتقدم الى المهر ففك قيود رجليه وقبله بين عينيه وقال له هذا يومك يا جوادي فقد بلغت الان مرادي وكان المهر لما رأى صاحبه عرفه فمال اليه وآلفه فتعجب جساس وباقي الناس لان الجواد كان لا يألف احدا مـن العبيد الموكلين عليه وكان كل من قاربه ضربه بيده ورجله فقال جساس وحق رب الانام ان هذا السايس يستحق الاكرام والانعام وكان عديه لما تسكن من المهر ركب على ظهره ثم لكزه برجليه وصاح بين اذنيه فسار به مثل ريح الهبوب وجد في قطع البطاح كانه طير بلا جناح فلما رأى جساس تلك الحالة

تغيرت منه الاحوال وعلم انها حيلة قد تمت عليه ولطم على خده ووجهه وصاح على الابطال والفرسان وقال دونكم هذا الشيطان فقد احتال علينا بالمقال وخدعنا بالمكر والاحتيال حتى نال طلبه وبلغ قصده واربه فركبت الفرسان الخيول واعتقلوا السيوف والنصول وتبعوه في تلك السهول وهم يصيحون وراه ويجدون في قطع الفلاة الى ان وصل الى ذلك الوادي والغدير فوجد اخاه الزير وهو كامن هناك في جماعة من الابطال وصناديد الرجال فاعلمه بواقعة الحال وقال خذ حذرك الان فقد اتتك الفرسان من كل جانب ومكان فتبسم المهلهل وقال سوف ترى بما افعل ثم انه نزل عن ظهر حصانه واعطاه لاخيه واخذ المهلهل الادهم ووضع عليه العدة ثم ركب وتلملم واذا بالخيل والمواكب قد احاطت به من كل جانب فصاح عليهم وحمل بقلب اقوى من الجبل ومال عليهم بالحسام كانه الليث فطير الرؤوس عن الابدان وفتك فيهم فتك الذئاب بالاغنام وفي اقل من ساعة ادركته باقي الرجال الكامنين في وادي الهجين فانصبوا عليهم كالشواهين من الشمال واليمين وكان قد وصل الخبر الى جساس فاخذه القلق والوسواس فركب بباقي الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وقصد ذلك المكان وقاتل قتال الشجعان والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وكثر القيل والقال وتزلزلت الارض من هول القتال وكانت وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها في الايام القديمة انهزم فيها جساس اقبح هزيمة وغنم المهلهل غنيمة جسيمة لها قدر وقيمة ورجع الى الديار بالعز والانتصار فالتقته النساء بالدفوف والمزاهر ثم طلع الى القصر وهو منشرح الصدر فشكرته بنات اخيه على ما فعل قائلات لله درك من بطل فقد اخذت الثأر وطفيت من القلوب لهيب النار فالله يحفظك ويبقيك وينصرك على حسادك واعاديك فشكرهن على ذلك الكلام وبعد ان خلع ثيابه جلس للطعام وشرب المدام ثم دخلت عليه امه وقبلته بين عينيه وهنأته بذلك الانتصار وطلبت منه ان يرفع عن بني مرة السيف البتار فاستقبلها بالوقار والاعتبار وقال لها والله

اني لا اصالحهم يا اماه حتى يعود كليب الى قيد الحيـاة ثم تذكر تلك الواقعة وما جرى له مع القوم فانشد :

يقول الزير ابو ليلى المهلهـل ... وقلب الزيـر قاسي ما يلينـا
وان لان الحديد ما لان قلبي ... وقلبي من حديد القاسيينـا
تريدي يا اميمة ان اصالـح ... وما تـدري بما فعلوه فينـا
فسبع سنين قد مـرت عليّ ... أبيت الليـل مغموما حزينـا
أبات الليـل أنعـي في كليب ... أقـول لعلـه يأتـي الينـا
كان كليـب في روس المعـلا ... تغشـاه الذئـاب الجائعينـا
أتتني بناتـه تبكيـه وتنعـي ... تقول اليـوم صرنا حائرينـا
فقد غابت عيون اخيـك عنـا ... وخلانـا يتـامـى قاصرينـا
سللت السيف في وجه اليمامـة ... فقالت لي امـام الحاضرينـا
فانت اليوم يا عمـي مكانـه ... انا عمـك حمـاة الخائفينـا
وقلت لها لك البشرى يمامـة ... اقلبهـم شمـالا مـع يمينـا
كمثل السبع في صدمات قـوم ... ولـيس لنـا غـيرك معينـا
فدوسي يا يمامة فـوق رأسي ... على شاشي اذا كنـا نسينـا
فان دارت رحانـا مع رحاهـم ... طحناهـم وكنـا الطاحنينـا
اقاتلهـم علـى ظهـر المطهـم ... ابو حجلان مطلـوق اليمينـا
فشدي يا يمامـة مهري شدي ... واكسي ظهره السرج المتينـا
وهاتي حربتـي رطلين وأزود ... وحطيهـا على عـدد مكينـا
ونادي لي عدية وكل قومـي ... صناديد الحـروب المانعينـا
ونادوا اخوتـي يأتـوا سريعا ... لنلقـي جيش بكـر اجمعينـا
فنادتهم اتـوا كأسود غـاب ... وقالـوا قـد اتينـا يا اخينـا
وباتـوا يحرسون الليـل كله ... وقضوا الليـل حقا ساهرينـا

قال الراوي فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره الجميع على مقاله

وباتوا تلك الليلة في سرور وافراح الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح امر الزير بالاستعداد للحرب وركب ظهر الجواد فتبعه الفرسان والقواد وقصدوا بني مرة بقلوب قوية وهمم عالية فالتقاهم جساس مع اخوته واهله وعشيرته واشتبك بينهم القتال وعظمت الاهوال وابتلت بني مرة بالبلا والويل وكان الزير يحصد فيهم النهار والليل واستمر القتال بين الفريقين سنتين حتى فقد من بني مرة في هذه الحرب نحو اثني عشر الف امير عدا عن السادات والاكابر والجيوش والعساكر وكان الزير يأمر قومه بقطع الرؤوس ووضعها في المخازن لانه كان اقسم بالله انه سيملي البيوت والاماكن من جماجمهم فلما طال المطال واشتدت على بني بكر الاهوال اجتمعت اكابر الناس مع الامير جساس واخذوا يتفاوضون كيف يتخلصون من حرب الزير لان الزير لا يقبل منهم فدى وجميع وسائطهم التي استعملوها في توقيف الحرب راحت سدى فقال سلطان لاخيه جساس اعلم يا اخي بان الزير في كل صباح يمر على قبر اخيه كليب فيحييه بالسلام ويقول له قتلت في ثأرك فلان وفلان فهل اكتفيت ام لا فلا يرد عليه احد فالرأي عندي ان تنتخبوا رجلا وتضعوه داخل القبة بحيث لا يراه احد فاذا مر الزير على القبر حسب عادته وسأل اخاه ذلك السؤال فيجيبه الرجل بصوت خفيف من قلب ضعيف لقد اكتفيت يا اخي فاغمد سيفك من هذا اليوم عن قتال القوم واياك اذية البشر فانه مما يجلب علي الضرر فاذا سمع هذا الكلام فلربما ينطلي عليه المحال فيكف عن الحرب والقتال فنستريح من القيل والقال فاستصوب جساس وباقي الاعيان رأي الامير سلطان وكان في القبيلة رجل فقير الحال فاستدعاه جساس وافهمه ما يعمل وقال اذا اجتنا الى الطلب وبلغنا الارب اعطيتك مهما تريد من المال والعبيد فقال الاجرة مليحة ولكن الطريقة قبيحة فاخذ جساس يحثه بالكلام ويرغبه في هذا الشعر والنظام :

على مــا قــال جساس بن مرة — الا يا فارغ الاشغــال اسمــع
فلي عنــدك حاجــة صغــيرة — فقضيها سريعــا ثــم ترجــع
فان الزيــر لاشانــا جميعــا — وفرق جمعنــا في كل موضــع
ولا يقبــل رجانــا او عطانــا — واعدم في الوغا كل ليث اروع
بثأر كليب قد صرنــا شرايــد — وعــن افعالــه ما كان يرجــع
يمر على قبــره في كل صبــاح — ويزعق صوت للاكبــاد يصدع
يقول الا نعمت اخــي صباحا — ايكفي ما قتلت ازيد او ارجــع
فاذهب واختي في القبــر حالا — اذا صاح المهلهــل انت تسمــع
اذا سألك احارب او اصالــح — اجيبه انت يا محفوظ ارجــع
اني رضيت منــك ونلت ثأري — وانت تقتلهم لاعــدت تطمــع
لعله يظن انــك انــت اخيــه — فيصفح عن مآثمنــا ويرجــع

فلما فرغ جساس من نظمه قال له الفقير على الرأس والعين وفي الليل حفروا سردابا اوصلوه الى القبر ثم ادخلوا الرجل فيه وفي الصبــاح ركب الزير ظهر الحصان وتبعته الابطال والفرسان ومر على قبر اخيه حسبعادته ونادى بصوت عال نعمت صباحا يا اخي يا كليب قد قتلت في ثأرك نهار امس خمسة الاف فارس ايكفي ما قتلت ام ارجع اليهم افنيهم عن بكرة ابيهــم فاجابه ذلك الرجل من القبر بصوت خفيف وانت انعمت صباحا يا اخــي الحنون يا ساقي الضد كاسات المنون كف عن الحرب فقد اكتفيتواشتفيت وان قاتلتهم بعد اليوم تكون قد تعديت وبغيت فتزيدني ضررا وغما وكدرا فان نفسي قد بلغت مناها ونالت مشتهاها فكثرت خيراتك وزادت في الدنيا مسراتك فلما سمع الزير هذا الكلام زالت اتراحه وزاد فرحه وانشراحــه وقال سبحان من يحيي العظام وهي رميم انت يا اخي بخير ونحن بعــدك نقاسي الضنك والضير ثم نزل عن ظهر الحصان ودخل الى القبر وهو فرحان وقال اذا كنت بخير يا ابا اليمامة فما هذه السكنة والاقامة بعد العزوالكرامة

فقم الى عند بناتك فانهن في حزن وكدر ثم تقدم اليه وتأمل فيه بالنظـر فرآه انه ذلك الرجل المعهود فغاب المهلهل عن الوجود وجذبه مـن لحيته واخرجه من السرداب وقال له اصدقني بالخطاب فمن انت ومن تكون قبل ان تشرب كاس المنون فاعلمه بواقعة الحال وحقيقة الاعمال فسل السيف ليقتله وقد اغاظه فعله فقال انا بجيرة كليب اخيك فلا كان من يعاديك وقد غرني جهلي مع قلة عقلي حتى جرى ما جرى يا فخر الورى فلما سمع الوزير كلامه تبسم وصفح عنه واعطاه جوادا من اطيب خيول العرب والف دينار من الذهب فدعا له بطول العمر وخرج من القبر وهو يقول والله ان الامير كليب يحمي الخائف في مماته كما كان يحميه في ايام حياته ثم رجع الزيـر الى القبيلة وهو يتعجب من تلك الحيلة وفي الغد ركب في فرقة من الابطال وقصد بني مرة واشتبك بينهم القتال وعظمت الاهوال وما زالوا في قتال وصدام مدة عشرة ايام فانكسرت بنو مرة اشد انكسار وقتل الزير مقتلة عظيمة وكان يأتي برأس سادات الجماعة فيضعها على قبر كليب مدة ساعة ثم يدفنها تحت الثرى ويبني فوقها القصور وكان كلما اقبل مـن الحرب تقابله اليمامة مع النساء فتقول يا سيد الناس هل اتيت برأس خالنـا حتى نخلع السواد ويطيب الفؤاد فيقول لها كوني براحـة بال فسوف تبلغـين الآمال باذن الله المتعال •

قال الراوي هذا ما كان من المهلهل واما جساس فانه قد استقتل ولمـا ضاقت به الحيل اجتمع مع اهله وعشيرته وعقدوا بينهم ديوانا فاستقر رأيهم ان يذهبوا الى الحبشة والسودان يستنجدوا بالملك الرعيني ابن اخـت التبع حسان فركب مع اخوته واكابر عشيرته واخذ معه اخته الجليلة لتشفع لهم عند حريم الملك الرعيني وبقي اخوه شاويش في الحي وكان هذا يحب الزير من ايام صباه فعند رحيل جساس اتى شاويش الى الزير واعلمه بمـا جرى وكان من مسير اخوته الى عند ملك الحبشة والسودان فاعطاه الزير الامان وقال له اني ما عدت احاربكم من الان حتى تحضر اخوتـك الـى

الاوطان بالابطـال والفرسان وتوقف الزير عن محاربتهم وصار يصرف اوقاته بالصيد والقنص واما جساس فانه كان قد جد في قطع القفـار حتى وصل الى بلاد الحبشة ودخل على الملك الرعيني وقبل قدميه واعلمه بحالتهم الحاضرة وطلب منه النجدة على حرب الزير وذكر له ايضا بان كليب قتـل خاله التبع حسان وهو قتل كليب بقتله وقام اخوه الزير فحاربهم حتى كاد يفنيهم فلما سمع الرعيني هذا الكلام قال لقد بلغت اليوم منكم المرام ولا بد من ذبحكم بحـد الحسام لانكـم من قـوم لئام قتلتم خالي واتيتـم تستجيرون بي ثم امر بالقبض عليهم وكانت الجليلة واقفة على باب الصيوان وهي مثل الطاووس ولابسة افخر الملبوس كانها العروس فلما شاهدت مـا جرى على قومها خافت من العواقب فشقت المواكب وتمثلت امام الرعيني فقبلت اياديه ودعت له بطول العمر فلما رآها الرعيني تعجب مـن فـرط حسنها فمال قلبه اليها ووقع في شرك هواها فقال من تكونين يا مهيجة الفؤاد وبغية المراد فقالت انا اخت القوم الذي أمرت بقبضهم بدون ذنب ثم اشارت تقـول :

مقـالات الجليلـة بنت مـرة	ايا ابو فهد اصحى دير بالـك
وانظر يا سيـاج البيض فينـا	وانظر الذي وقفـوا قبالـك
انا قصدتك يا ملك البـوادي	يا من بالمـلا شاعـت فعالـك
ملوك الارض كنـا يا مسمـى	فانت نظيرنـا ونحـن مثالـك
فالـذي جـرى كلـه مقـدر	ايا فخر الورى من قتل خالـك
قتل خالك كليـب في حسامـه	وقام أخي الذي وقف قبالـك
قتل لكليب عن خالك بسيفـه	كرامة خاطرك واصفى لبالـك
ظهر لكليب أخ اسمه المهلهـل	حرمنـا النوم زاد الله مالـك
قتـل منـا اماجيـد كثيرة	أتينـا واقعـين على ديالـك
فهذا اليوم يومك يا مسمـى	فدق الطبل واركب في رجالـك

وسر معنا الى الزير المهلهل فاقتله ودوسه في نعالك
واحكم سائر العربان تغنم وكل اموالهم تبقى حلالك
ولا تشمت العدا يا امير فينا أتينا لك وصرنا من عيالك
وانت صميدع شهم كريم جميع الخلق تفزع من خيالك

فلما فرغت الجليلة نظامها وفهم الرعيني قصدها ومرامها ثارت في رأسه الحمية وقال قد فهمت قولك يا صبية ثم انشد يقول :

قال الرعيني ابو فهد قال الا يا جليلة اسمعي مقال
واتتم افهموا قولي يا ملوك اولاد مرة ترون الهم زال
أتيتم تلتجوا فينا جميعا وقعتم علينا وقع العيال
من جور الزير يا أهل الكرام دهاكم ضناكم رماكم بحيال
فوحياة رأسي ورحمة ابي ومن خلق الارض وأرسى الجبال
لاركب عليه بكل فحول واجرد عساكر شبه الرمال
واقتل عداكم بحد السيف وانا ادع الزير في أسوأ حال
جليلة طيبي انت وابشري انا فدا اخوك تحت النضال
ايا اخي غطاس انهض الآن واجمع الفوارس والابطال
نادي على الجيش ان يركبوا ويلبسوا الزرد والسيوف الصقال
ودقوا الطبول وشدوا الخيول وامشوا الفجر شبه الفيال
فدعنا نسير نزيل العسير عن اولاد مرة هذا النكال

قال الراوي فلما فرغ الرعيني من كلامه نهض اخوه غطاس والوزير وجمعوا الابطال والفرسان من عساكر السودان ونادى المنادي ان السفر يكون بعد ثلاثة ايام ولما تجهزت العساكر للمسير لحرب الزير كان عددهم ستمائة بطل ففرح جساس ومن معه من الناس لما رأوا تلك السهول امتلأت بالخيول وفي اليوم الثالث دقت الطبول ولمعت النصول وسارت العساكر

كالبحور الزواخر وفي اوائلها الملك الرعيني واكابر دولته وجساس وباقي الناس وما زالوا يقطعون البراري والآكام حتى وصلوا بلاد الشام فارسل جساس يعلم قومه بقدوم هذه العساكر ويهيئوا لهم الاطعمة والذخر فلما سمعوا هذا الخبر فرحوا فرحا عظيما وهيئوا لهم ما يحتاجون اليه من الطعام والمدام وخرجت النساء والرجال للقائهم فلما وصلوا الى الديار نزلوا في المضارب والخيام وقد تباشر قوم جساس بالنجاح والظفر وبلوغ الوطر كل هذا يجري والزير ليس عنده خبر في شيء من هذه الامور بل كان مواظبا على السرور والخمور فبينما هو كذلك اذ دخل عليه اخوه عدي وقال له انت جالس في صفاك ولا تدري بما دهاك من اعداك واشار ينشد قائلا :

لقد قال الفتى المدعو عديا	ودمع العين فوق الخد ساجم
اراك اليوم في زهو ولهو	تنبه يا اخي ان كنت نايم
فقم وانظر الى ما سوف يجري	من الاعداء يا ابن الاكارم
أتونا قوم مرة بالرعيني	ملك جبار بالاحكام ظالم
لقد ذهبوا اليه يا مهلهل	فجاء بست كرات عوالم
بهم من كل قوم ليث اروع	وهو بينهم مثل الصقر حائم
تبدى الزير حالا ثم قله	تخاف من العدا واخوك سالم
انا وحدي ألاقيهم بعزمي	انا الدعاس في يوم الزحايم
واني سوف أفتك بالرعيني	واقطع رأسه والله عالم
وافني جيشه مع جيش مره	انا المقدام ما بين العوالم

قال الراوي فلما فرغ الزير من نظامه وفهمت قومه فحوى كلامه تعجبوا من هذا المقال وشكروه على هذه الفعال واخذوا يستعدون للحرب والطعان واما الزير فغير زيه وتنكر حتى لم يعد يعرفه احد من البشر وجعل نفسه كاحد شعراء العرب الذين يقصدون الامراء وارباب المناصب

طمعا بالفضة والذهب ثم ركب الحصان وتقلد بالحسام تحت الثياب واخذ معه بعض العبيد والغلمان وسار الى قبيلة مرة ولم يعلم به انسان ولما اقترب من الحلة نزل عن ظهر الجواد وسلمه للغلام وقصد المضارب والخيام حتى وصل الى صيوان الرعيني فوجده جالسا وحده فسلم عليه ودخل وتمثل بين يديه فلما رآه الرعيني في ذلك المنظر خاف واندعر وسأله عن مهنتــه فقال انني شاعر اطوف على الامراء والاكابر فاحصل منهم على الانعام ومزيد الاكرام وقد سمعت انك في بني مرة فاتيت قاصدك من مدينة البصرة الى ان تشرفت بطلعتك وتمثلت امام حضرتك وكان للرعيني زوجة تدعى بدر وكانت واقفة خلف الستار فسمعت ما دار بينهما فارسلت تقول للملــك ان يأمر الشاعر بالانشاد فقال الملك انشد يا شاعر فانشد يقول :

قال الاديب الذي طالب احسانك	جرحي بوسط الحشا انقلب نــزار
يا بو فهد رعيني استمع ما اقــول	يا من قلوب العدا بالروع هــزار
قــد كنــت في خــير وفي نعيــم	مستور ما بين أهلي ما انا معتــاز
فصرتشاعر علىالاجواد اقصدهم	اطوي الاراضي ماشي على عكــاز
قالوا فسر للرعيني مقصد الشعراء	فذاك جواد يعطي عطــا ممتــاز
فجئت طالبــا احسانك واكرامك	يا من حويت المكارم بكل اعــزاز

قال الراوي فلما فرغ الزير من كلامه امر الملك الخازندار ان يعطيــه الف دينار فعند ذلك سل الزير سيفه الابتر اسرع من لمــح البصر وضرب الرعيني على عاتقه خرج يلمع من علائقه ثم مال على الطواشية والخــدام بضرب الحسام وبعد ذلك هجم على الخيام كسبع الاجام فقتل الرجــال ومدد الابطال فوقع في السودان الضجيــج والصياح والعويل والنــواح فخرجت ابطال الرعيني مــن المضارب وركبوا ظهــور النجائب فتقلــدوا بالسيوف وهجموا على بني مرة صفوف صفوف ، وهم لم يعلموا سبــب ذلك غير انهم ظنوا ان بني مرة خدعوهم حتى اتوا الى بلادهم فقتلوا ملكهم

وغدروا بهم فلما رأى جساس ما حل بقومه من السودان استعظم ذلك الشأن فركب جواده وتبعته اجناده واضطر ان يدافع عن نفسه ويحامي عن ابناء جنسه فقاتل تلك الليلة حتى استقتل وفعلت اجناده مثلما فعل وكانت ليلة مهولة كثر فيها القتال والجراح الى الصباح ولما فرغ المهلهل من القصد بهذا العمل أرسل عبده في الحال الى الاطلال في طلب الفرسان والابطال فحضروا عند طلوع النهار واحاطوا بالاعادي من اليمين واليسار وحكموا فيهم ضرب السيف البتار واستمر الحرب والصدام بين القوم ثلاثة ايام حتى ابلاهم المهلهل بالويل والدمار وقتل منهم كل بطل مغوار واسد كرار وكان من جملة المقتولين الامير غطاس قائد جيش السودان فلما رأت السودان ما حل بها من الهوان ولت الادبار واوسعت في جوانب القفار وكذلك انهزم جساس ومن تبعه من الناس وتفرقوا في الفلاة وهم يقصدون النجاة ورجع الزير مع قومه التغلبيين غانمين ظافرين فدخل القصر بالعز والنصر وصحبته اكابر القواد الذين عليهم الاعتماد وهم يثنون على المهلهل ويقولون لاعدمنا طلعتك ايها الفارس المنتخب فبسيفك انتصرنا ونلنا المراد وقهرنا الاعادي والحساد فلا زالت ايامك في سعود وعدوك مقهور مكمود ثم انهم اكلوا الطعام وشربوا المدام وباتوا في تلك الليلة في سرور وافراح اما الامير جساس فانه بات في قلق ووسواس وندم على ما فعل وقطع من سلامته الامل ولا سيما عندما بلغته الاخبار بان ذلك الاختلاف الذي جرى عليهم في الليل والنهار كان بفضل حيلة المهلهل الاسد الكرار فزاد همه وعظم حزنه وغمه فكان يطلب من قبائل العرب المساعدة على حرب بني تغلب فانضمت اليه عدة قبائل برسم المساعدة وصاروا جميعا يدا واحدة وكذلك انضم مع الزير عدة قبائل مشاهير حتى لم يبق في بلاد العرب قبيلة الا وقد انضمت مع بني بكر او تغلب • ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق ان الامير المهلهل خرج ذات يوم في عشرة آلاف بطل ومعه الامير كنيف وكان من اشراف تغلب وفرسانها الغطاريف وتبطن في

جوانب القفر ليجس احوال بني بكر فمر بقبيلة من القبائل يقال لها بني تميم وهم فرع من تغلب وكانت هذه القبيلة ذات خيرات جزيلة واجتمع المهلهل بسيدها الامير عمر وقال له اركبوا معنا لقتال بني بكر فابى وقال لا تحارب من لم يحاربنا من العربان فقال المهلهل اما شملتكم الحرب لحد الان فقالوا لا يا فارس الميدان فقال فوحق الاله الخالق ما كنت اظن الا انها شملت كل من في المغارب والمشارق وما دام الامر كذلك يا وجوه العرب تنحوا عن منازلكم خوفا من العطب واقصدوا غير هذه الديار لان مرادنا ان نقاتلهم تحت جنح الظلام فان حاربناهم لا تأمنون على أنفسكم من شرهم وأذاهم لانكم فرع من قبيلة بني تغلب فينتقمون منكم لهذا السبب فقالوا ما علينا من بأس فانهم يحاربون من يتعرض لهم من الناس فاغتاظ المهلهل من هذا الكلام وكان عليه اشد من ضرب الحسام فتركهم وسار على الاثر بمن معه من العسكر وجد في قطع القفار فالتقى بقوم من بني بكر في ذلك الجوار فكبسهم تحت جنح ظلام الليل وابلاهم بالذل والويل فسلب اموالهم وقتل رجالهم واخذ رؤوس ساداتهم العظام ورجع في الظلام وطرح الرؤوس بين خيام القوم المعتزلين من بني تميم المذكورين وكانوا راقدين ثم تركهم وارتحل وسار على عجل فلما استيقظت بنو تميم من النوم ورأت الرؤوس بين اطناب الخيام فايقنوا انها مكيدة من المهلهل فزاد بهم الخوف والوجل وعلموا ان العدو لا بد ان لا يتمهل بذلك العمل فنهضوا وارتحلوا من اطلالهم بمواشيهم واموالهم وانضموا الى قبيلة تغلب والتجوا بالمهلهل فارس العرب والعجم فلم يبق قبيلة من قبائل العربان في ذلك الزمان الا شملتها الحرب والهوان •

قال الراوي ولما عظم الامر على جساس وضاقت منه الانفاس قصد العابد نعمان فوقع عليه وشكا حاله اليه وبكى بين يديه وطلب منه ان يسير بالعجل ويقصد الامير المهلهل ويطلب منه كف الحرب والطعان مدة من الزمان لحينما ترتاح النفوس والقلوب من هول تلك الحروب التي اهلكت

الرجال ورملت النساء ويتمت الاطفال فلما سمع قوله رق له وسار الى عند المهلهل في الحال وطلب منه ان يكف عن القتال ولو كان برهة قصيرة ومدة يسيرة وذلك لراحة القبيلتين وخير للفريقين فاجابه الى ذلك المرام لانه كان يحبه دون باقي الانام وامر بتوقيف الحرب عن القوم من ذلك اليوم واشتغل المهلهل في تلك الايام بالملاهي وشرب المدام واكل الطعام وسماع الاصوات والانغام ومغازلة النساء في الصباح والمساء وكان جساس يترقب على المهلهل الفرص ليقتله ويزيل ما بقلبه من الغصص فبلغه في بعض الايام بان الزير طريح الفراش في الخيام من كثرة شرب المدام وان اخوته قد خرجوا للصيد ولا يرجعوا الا بعد ثلاثة ايام فجمع اخوته واتفق رأيهم انهم بعد غروب الشمس يركب اخوهم سلطان في جماعة من الفرسان ويكبس سالم الزير على حين غفلة ولما كان الليل ركب سلطان في ثلاثة الاف بطل وقصد حي المهلهل ولما صار هناك هجم على الحي ودخل عليه وهو راقد في الخيمة سكران فاحاطت به الفرسان وقبضوا عليه واوثقوه كتافا ثم نزلوا عليه بالسيوف الى ان اثخنوه بالجراح وكان دمه يسيل كالمطر فظنوه قد مات فزادت افراحهم وزالت اتراحهم وقالوا لقد بلغنا الارب ورفعنا الحرب عن العرب ثم وضعوه في جلد جاموس واخذوه الى عند اخته ضباع وقالوا لها قد اتيناك بقاتل ولدك فخذيه واشفي منه غليل كبدك فياما قتل ويتم ورمل فما هان عليها ذلك الامر لكنها اظهرت السرور والفرح وقالت ان جزاء الغدار الحرق بالنار ثم تركوها وساروا واما هي فقد احتارت في امرها وزادت احزانها عليه لانه وان قتل ولدها فانه شد للقبيلة ذكرا حسنا لا يبور على ممر الدهور ونظرت اليه نظرة الوداع واذا به يتحرك ثم انه طلب عبده شهوان وهو يظن انه في ذلك المكان فقالت له ضباع قد انتقموا منك اعداك فاصحى لقد ذقت الموت والهلاك فلما صحي انشد .

قال الزير ابو ليلى المهلهل	ونار الحزن توقد في حشاه
فكان كليب ملك البرايا	أتى جساس غدره بالفلاه

جلست مكانه آخـذ لثأره — وكنت أنعيه صباحا مع مساه
فقال الشيخ كف الرب عاجل — ولا تنقل السيف ولا قناه
جلست بخيمتي والدن جنبي — وعندي العبد ما عندي سواه
وقومي كلهم للصيد راحوا — فعرفوا القوم مع باقي العداه
أتوني والمقـدار كان كائـن — وصار فيا مثـل مـانـراه
أتوني لعنـدك يا اخت حتى — تنالي الثأر يا غايـة منـاه
اتركيني يا ضباع او اقتليني — انا اخوك اذا احتبك القنـاه
فانتي تشبهي اللبوات حقـا — واني مشبه سبـع الفـلاه
فالقيني بصنـدوق مذفـت — وارمينـي ببحـر في ميـاه
ايا أسما افعلي انت بأصلك — ربيعـة بيننا مـا في غبـاه

قال الراوي فلما فرغ الزير من كلامه غاب عن الصواب وصار في صفة مفقود وكانت ضباع لما سمعت من اخيها هذا الكلام صار الضياء في عينها ظلام جاءت بصندوق كبير ووضعت فيه سالـم الزير وزفتته وطلته بالقير وكان عندها عبدان فامرتهما ان يحملا ذلك الصندوق ويلقياه فـي البحر فحملاه وسارت معهما تحت جنح الظلام الى وصلوا الى شاطيء البحـر فطرحاه فتقاذفته الامواج حتى غاب عن الانظار فبكت ضباع على اخيهـا ورجعت تنوح من فؤاد مقروح وهي تقول يا ليتني كنت فداك فقد احرقت قلبي بفراقك يا جميل المحافل وفخر الاوائل والاواخر ثم انشدت هـذه الابيات :

تقول ضباع من قلب حزيـن — ايا عيني فزيدي في بكاهـا
كواني البين في اول زمانـي — رماني الدهر في اعظم بلاهـا
ايا عيني زيدي في سخاكـي — على محزونة فقدت أخاهـا
لقد فاق الملـوك في علاهـا — ومن اعلا ملوك الارض جاها
وجساس الذي أفنـى كليبا — طعنه طعنة برمحه في قفاهـا

ترك دمه على الارض فايـر بحربة مسمة من السم سقاها
وقام الزير كي يأخذ بثـأره فقاتل آل مرة حتى هفاهـا
لقـد قتلـه جساس بغـدر اثني عشر الف حمالة قناهـا
فقال خذيه لاخته الحزينـة لنأخذ ثأر ولدها من أخاهـا
فحطيته في صندوق مقفـل ومن بني ما يعلـم حداهـا
وقلت له روح يا جمل المحامل ايا عود بيتـي في انجناهـا
فأنت ملاذنا يا فخر قومـك ايا حطاط للجائـع عشاهـا
ايا يوما أخذه المـوج عاجل وموج البحر يلطم في مداهـا
فقلت له روح يا سبع غـاب بيوم الحرب ما تعطي قفاهـا
وهذا صار في عهد الجليلـة اله العرش يعدمهـا صباهـا
فسر يا ريح واخبر اليمامـة لتصبح ثم تسي في بكاهـا

ثم رجعت الى الحي وصبرت حتى اتت اخوتها وبنو عمها مـن الصيد فاعلمتهم بتلك المصيبة وما حل بالزير وقالت والله انكم بعد المهلهل تتبعون مع جساس فتأسفوا عليه وبكوا من فؤاد موجوع ثم ان ضباع كتمت مـا فعلت باخيها وشاع انها احرقته بالنار واخذت الثأر ولما شاع الخبر وانتشر بين الناس فرحت بنو مرة وجساس واما اخوة الزير فانهم شقوا ثيابهم من فرط احزانهم واخذوا يعددوه ويندبوه باشعار ويذكرون ماله من محاسن الاثار وكان اكثرهم حزنا اخوه عدي الذي يقول فيه :

ايا ويلي فدمـع العـين هـلا على الخدين من دمعي صبابـه
على فقد الفتى اخـي المهلهـل ونور العين بدري ما اصابـه
غدونا كلنـا للصيـد عنـه تركنـاه كسبـع وسط غابـه
وعنـد رجوعنـا لم نلتقيـه فاحرق وسط مهجتنـا غيابـه
فمن يوم اخيـه كليـب ولـى فلا يسرح ولا يلقـى صحابـه
وما فارق مجلـه طـول عمره ولا نعرف لـه مـدة غيابـه

مهلهل راح من اولاد مرة ... وسهم البين ذر لنا نيابه
وبعده كيف عاد يصير فينا ... وجساس فلا تحمل عذابه
ترى بعده سيمحقنا جميعا ... يشتتنا ولا يخشى عقابه
الا يا اخوتي ماذا نسوي ... واين نروح من هذه العصابه
تعال اخي يا درعان قلبي ... ايا عزوز يا منية شبابه
ويا حنبل وباقي الامارة ... تعالوا واسمعوا مني الخطابه
نقول الزير ولى وراح منا ... قتيل ويندفن تحت الترابة

قال الراوي هذا ما كان من عدية واخواته واما ما كان من سلطان اخو جساس فانه بعد اخذ المهلهل الى اخته ضباع لتأخذ منه بثأر ولدها ذهب الى عند اخوته واخبر جساس بما فعل وانشد يشرح له بالحال :

يقول سلطان بن مرة ... اخويا جساس ايا منيب
رأيت الزير ناصب الخيمة بعيد ... في وسط بستان له يا حبيب
وحده يسكر بليله والنهار ... رحت انا اليه من بعد المغيب
في ثلاثة آلاف فارس غانمين ... كل فارس مثل سبع وديب
هجمت عليه يا اخي بالعجل ... ووقعنا عليه بضرب عجيب
ضرب يا جساس بالغ السيوف ... حتى صار دمه جاري صبيب
ضربته حتى قطع منه النفس ... وانطرح بلا مسعف ولا حبيب
ثم اخذته لاخته ضباع ... لتأخذ بثأر ولدها الحبيب
اخذته وأحرقته بنار ... وألقته على جمر نار اللهيب
هذا الذي فعلت بعدك يا همام ... يا حماة البيض في يوم النكيد

فلما انتهى سلطان من كلامه شكره جساس على اهتمامه وقال بارك الله فيك يا همام فان فعلك هذا نصر لنا مدى الايام ثم ساروا الى الحي وهم في افراح وانشراح ولما وصلوا الى الصيوان جلس جساس في الديوان

واجتمعت اليه الابطال والفرسان ثم امر بدق الطبول ونفخ الزمور وعمل وليمة عظيمة لها قدر وقيمة واجتمع فيها خلق كثير من كل امير وسيد خطير فرقصت النساء والبنات ودارت بينهم الافراح والمسرات وانشرحت خواطر السادات وكان عندهم ذلك النهار من اعظم الاعياد الكبار ولما بلغ بنو قيس حقيقة الخبر وان المهلهل مات واندثر غابوا عن الوجـود وايقنـوا بالموت الاحمر فزادت بليتهم وعظمت مصيبتهم فمنهم من ارتحل من الديار وقصد الامير جساس وطلبوا منه الامان دون باقي الناس فاعطاهم الامان وجعلهم من جملة العبيد والغلمان ولم يبق عند اخوة الزير من الاشراف الا شرذمة يسيرة وعصبة حقيرة فقصدهـم جساس بالابطـال ودار بهم من اليمـين والشمال فسلموا امرهم اليه ووقعوا عليه فنهـب اموالهم واخذ نوقهـم وجمالهم ثم شرط عليهم ان لا يوقدوا نارا في الليـل والنهار ولا يركبوا ظهور الخيل بل يتربصوا مكانهم في الخيام فاجابوه الى ذلك المرام خوفا من الاندثار ونزول الدمار وبعد هذا رجع الى الديار بالفرح والاستبشار فعظم شانه وتأيد بالعز مكانه وصار له مكان عظيم وحكم السبعة اقاليـم اما اخوة المهلهل فانهم بعد هذا العمل رحلوا من الديار باولادهم واطفالهم ونسائهم ونزلوا بـوادي الشعاب وهـم في بكاء وانتحـاب وذل وعذاب وصبروا على حكم رب الارباب هذا ما جرى لهؤلاء واما الزيـر الاسد الغضنفر فانه لما القته اخته في البحر كما سبق الخبر تقاذفته امـواج البحر العجاج وساقته التقادير الالهية الى مدينة بيروت وكان اسمها الخيبريـة وملكها يدعى حكمون ابن عزرا واتفق بالامر المقدر ان ثمانية من الصيادين بينما هم يصطادون سمك نظروا ذلك الصندوق في البحر العجاج تتلاعـب به الرياح وتتقاذفه الامواج فقال احدهـم للاخر انظر يا صموئيل هـذا الصندوق لقد ساقه الينا اله اسرائيل ثم انهم قصدوه بالحال وسحبوه الى الشاطىء بالحبال وذلك بعد تعب شديـد ما عليه من مزيـد فقال رئيس الشختور لباقي الاعوان تعاونوا حتى نقسمه علينا الآن قبل ان نفتحه يا

اخوان فيأخذ كل واحد منا حقه فاجابه بعض الرجال ما هو مرادك بهذا الحال فقال ان لي نصف ولكم نصف لاني صاحب الشختور والرئيس فقال وحق حمار العزيز ما تنال منه شيء يا شبير ثم وقع بينهم الخصام وتشاتموا بالكلام فضرب احدهم الرئيس بسكين فقتله وكان للرئيس اخ فضرب القاتل بالمقذاف فجندله وما زالوا يقتتلون طمعا بالمال حتى قتل منهم عدة رجال ولم يسلم سوى واحد واتفق ان حكمون كان قد خرج في تلك الساعة مع اكابر دولته للصيد والقنص فمر من ذلك المكان فوجد الصندوق والرجل والقتلى مطروحة على الارض فسأل الصياد عن السبب فاخبره بواقعة الحال فتأمل الملك في الصندوق فتعجب من كبره وثقله واراد ان يعرف ما فيه فأمر بحمله الى السرايا ورجع مع رجاله فلما وصل امر بفتحه ففتحوه واذا برجل طويل القامة عريض الهامة كانه دعامة واسع المنكبين كبير القدمين مثخن بالجراح من ضرب السيوف وطعن الرماح فقال الملك ماذا وجدتم قالوا يا ملك الزمان فيه انسان كأنه من عفاريت سيدنا سليمان وعيون كعيون السباع فتقدم الملك ونظره فخاف منه وارتاع وكان عنده طبيب ماهر اسمه شمعون فتقدم الى الزير وهو مطروح فجس نبضه فاحس به يتحرك فقال للملك انه حي فقال هل تقدر ان تشفيه وانا اعطيك ما تريده وتشتهيه قال نعم يا مولاي ثم نهض على الاقدام وقال بسم الله العلي العظيم فشمر عن زنوده واخذ اسفنجة وبلها بالماء الطاهر ومسح الجروح ووضع المراهم على القروح وفتح الزير عينيه فنظر في ذلك المحفل فرأى جماعة من الرجال صفر الوجوه بسوالف طوال فاعتراه الانذهال فقال له حكمون من انت وما هو اسمك فقال اسمي الموحد واعبد الاله العظيم رب موسى وابراهيم فقال ما هي قصتك وسبب وضعك في هذا الصندوق فقال كنا اربعة سياس عند احد الملوك وكنت المقدم على الجميع فحسدوني وضربوني ذات يوم بقصد انهم يقتلوني فغبت عن الوجود من ألم الضرب ولم ار نفسي الا في هذا المكان فقال الملك للحكيم خذه لعندك وداويه بالعلاج حتى

يشفى وبعد ذلك احضره لعندي فاخذه الحكيم الى داره وعالجه مدة من الزمان فشفي وختمت جراحه وتحسنت احواله فاتى به الى الملك ولما دخل عليه وتمثل بين يديه فقال له الملك كيف انت الان يا موحد فقال بحسب انظارك الشريفة شفيت وحصلت على دوام العافية فلله در هذا الحكيم فانه يستحق الاكرام والانعام فمهما انعمت علي فاني ساعطيه اياه فتبسم الملك من هذا الكلام وانعم على الحكيم ثم التفت الى المهلهل وقال اعلمني بحالك وكيفية احوالك واشار الملك يقول :

قال استير حكمون الملك	يا موحد استمع مني المقال
هات احكيلي على ما صار فيك	ما علمت وما فعلت من الفعال
يا موحد انت اليوم رجل مليح	قوم فارس خيل ما انت نذال
قول لي عن الجروح كيف صار	ما سببهم قول يا سبع الرجال
ثم اعلمني على ما قد اقول	يا زكي الاصل عن عم وخال
في بلاد ان اتوك الغانمين	يضربون الشور لك معهم مقال
بعد هذا قل لنا عن صنعتك	الذي تأكل بها منها حلال

فلما فرغ حكمون من مقاله قال له الزير اعلم ايها الملك الجليل وصاحب الفضل الجزيل ان سألت عن حسبي وعن نسبي ووظيفة ابي فانه كان ملك من ملوك العربان ثم غدر به الزمان حتى صار يسوس الخيل وانا اتبعته فمهنته مهنتي :

قال ابو ليلى المهلهل بي قصيد	يا ملك حكمون يا حلو الخصال
في بلادي ان سألت عن الجلوس	مجلسي في الوسط فوق اعلا الرجال
وان سألت الشور كل الشور لي	ما احد يقدر يخالف لي مقال
واوقع الحرب وضرب السيوف	فالعذارى هللت فوق الجمال
والسيوف الحدب عادلها هدير	والقتول تلول عادت كالرمال
فذاك اليوم انا عز الملاح	ما مثلي في اليمن وفي الشمال

وان اتاني ضيف انا عز الضيوف | واشبع الضيف من لحم الجمال
والفتى المعروف منجد يا امير | ابن وائل ذاك لي يا امير خال
ان كنت تسأل يا ملك عن صنعتي | صنعتي حاصود لرؤوس الرجال
اما ابي فكان ذو قدر عظيم | مال فيه الدهر يا حكمون مال
صار سايس بعد عزه للخيول | بالكرامة بعد عزه والدلال
وانا قد صرت سايس بعده | اسوس الخيل ما مثلي مثال
وجروحاتي هي من عض الحصان | قد ضربني برجله اربع نعال
قمت من كدري ضربته في حشاه | راحت السكين تلعب للنصال
لاجل ذاك المهر سوو هل فعال | ورموني بالذل مع كثر الخبال

فلما سمع حكمون هذا الكلام من الزير غضب عليه وقال انت اخبرتني قبل الان ان رفاقك قتلوك والان تقول ان الحصان ضربك فتكذب علي وتحتقرني فلو كنت من الاكارم ما جرت عليك هذه العظائم ثم صمم على قتله فشفعت له اكابر دولته ووضعه في الحبس وبقي هناك مدة سنة وكان يسطو على المحابيس ويأكل طعامهم فضج منه الناس وشكوه للملك وقالوا له اذا كان هذا سايس كما يقول فاجعله يسوس الخيل لانه يقاسمنا طوعا او كرها وهذا امر لا يطاق فدعه يشتغل ويأكل خبزه بعرق جبينه فاستدعاه الملك وقال له هل انت ماهر بسياسة الخيل قال نعم سلموه خيلنا فاذا وجدناه ماهرا في ذلك اكرمناه قال الراوي وكان كثيرا ما ينفرد بنفسه ويتذكر اهله وعشيرته وما هو فيه من الاهانة والاسر فيبكي ويقول ليت شعري ما جرى على اهلي من بعدي لان الاسير كما لا يخفي على الحاذق البصير بمنزلة العبد الحقير ولو كان من بيت شهير وعلم تحرير فكيف من يكون مثل الزير الذي قهر الابطال المغاوير وشاع ذكره عند الملوك المشاهير فانه بعد ذلك العز والاحترام وعلو الجاه ورفعة المقام وقع في اسر بني اسرائيل الانذال فكان الموت اهون عليه من هذا القبيل فسلم امره الى

الله وقعد ينتظر نفوذ حكمه وهو يتأمل الفرج والخلاص من شرك الاقتناص وكان قد انتخب له فرسا من اطيب الخيول طويلة العنق صغيرة الرأس واجود من القميرة فرس جساس فاعتنى بتربيتها حتى حالت فاخذها الى شاطىء البحر وربطها هناك فخرج عليها حصان من البحر فشب عليها فراحت حاملة وبعد سنة ولدت له مهر ادهم كامل الاوصاف ملسلم الاطراف فسماه الاخرج لخروج اباه من البحر ثم فعل معها ذلك العمل في العام الثاني فولدت له مهر اخر كانه الابجر حصان عنترة فسماه ابو حجلان واعتنى بهما دون باقي الخيل وكان يسوسهما في النهار والليل واستمر على تلك الحال مدة اربع سنين وهو يطلب الفرج من رب العالمين .

حرب برجيس الصليبي مع اليهود

قال الراوي واتفق في تلك الايام ان برجيس الصليبي احد ملوك الروم خارج مع اخيه سمعان في مائتي الف من بلاد كسروان وتلك الحدود المحاربة حكمون اليهودي وذكرت رواة الاخبار وعظماء الاعصار بانمدينة بيروت كانت مزخرفة البنيان كثيرة الحوانيت والبيوت ولما اقترب برجيس بالعساكر النصرانية نصب خيامه في الاشرفية وكتب كتابا الى حكمون يقول فيه (من الملك برجيس ابن ميخائيل الى ملك بني اسرائيل اما بعد فانك قد خالفت الشروط ولم ترسل لنا الخراج المربوط وقد مضى خمس سنوات وانت تحاولنا بالكلام فاقتضى ذلك اننا قصدناك الان بالابطال والفرسان كأنها مردة الجان لا تخاف طعن الرماح ولا تكل من الحرب والكفاح فان دفعت الخراج المطلوب من عشر مالك توقفنا عن حربك وقتالك والا وحق من اوجد الانسان والمسيح الذي ولد بلا دنس خربنا ديارك وطفينا نارك وقلعنا آثارك وجعلنا الولايات اليهودية تابعة للاقاليم المسيحية فاسرع في رد الجواب قبل حلول العذاب ثم انشد يقول :

على ما قال برجيس الصليبي		كريم الوالدين ابا وجدا
شديد البأس ما بين البرايا		على السادات دوما مستجدا
اذل القوم في سيفي ورمحي		أقد الشوش والهامات قدا
انا قاصد لحكمون اليهودي		فاعلمه بما قد استجدا
واخبره بفرساني وجندي		وما عولت ان افعله جدا
اريد المال ارسله سريعا		وان لم تمتثل امري فتردا
وعشر الخيل مع عشر العذارى		بنات قد زهوا وجها وقدا

ثم سلم الكتاب الى القائد فرنسيس وامره بسرعة المسير فامتثل القائد امره وجد في قطع الفلاة الى ان دخل البلد وقصد حكمون دون احد فسلم عليه واعطاه الكتاب وتمثل بين يديه وكان عند حكمون جماعة من احبار اليهود وهم يطالعون في التوراة والتلمود ولما فض الكتاب وقرأه وعرف حقيقة معناه احمرت عيناه وصاح على الرسول بصوت مثل الغول وقال اهكذا يكتب لي برجيس يا خبيث يا تعيس فلولا العار يا ابن الانذال لكنت قطعت رأسك واخمدت انفاسك فاذهب وقل لمولاك ان يستعد للحرب والعراك فاني لا اهابه ولا احسب حسابه فخرج فرنسيس من بين يديه وهو ينفض غبار الموت عن كتفيه ثم صاح الملك حكمون على اخيه صهيون ووزيره قسمون وقال لهما استعدا للقتال وفرقا السلاح على العساكر والابطال فقد اتتنا العساكر المسيحية والابطال النصرانية وقد عسكروا في الاشرفية فأجاباه الى ما امر وجهز العساكر وفرق عليهم السلاح ولما بلغ الملك برجيس كلام حكمون صار كالمجنون وعول ثان يوم على الحرب والصدام وفي الصباح استعد حكمون للحرب والكفاح فخرج بالعساكر والعدد وحوله الكهنة والاخبار وهم يتلون التورات والاسفار املا بالفوز والانتصار وكان الملك برجيس قد ركب في ذلك النهار بذلك الجيش الجرار وتقدم طالبا الاسوار بقوة واقتدار وعلى رأسه البيارق والصلبان ومن حوله

القس والرهبان وهم يتلون الانجيل بالتنغيم والتهليل ولما التقى العسكران تقابل الجمعان في ساحة الميدان والتقت الفرسان النصرانية والابطال الاسرائيلية في تلك البرهة وهجموا هجمات قوية وتضاربوا بالسيوف المشرفية وكانت الامة النصرانية فتكت بالعصبة العبرانية واذاقتها من الاهوال اعظم بلية وقتلت منها مقتلة عظيمة ورجع حكمون وهو يأسف ويلهف على ما حل بعسكره من الويل والتلف ودخل الى البلد مع الجيش واغلق الابواب وقصد القصر وهو خارج عن دائرة الصواب ونزل برجيس خارج المدينة وقد امتلك ذلك النهار ثلاثة قلاع حصينة وكان المهلهل قد سمع صياح القوم فسأل عن الخبر فاعلموه بواقعة الحال فتاقت نفسه الى القتال ومصادمة الابطال فاخذ القصعة بيده وصعد الى السور ليشاهد تلك الامور وكان ذلك المكان بقرب قصر حكمون فنظر القوم وهم يتقاتلون فكان كلما نظر النصارى غلبوا او ظفروا يقول لليهود تقدموا ولا تنكروا وكان يهدر كالرعد القاصف وهو راكب على الحيط كما يركب الحصان ويضربه برجليه ويصيح على الفرسان واستمر على تلك الحال الى ان رجع حكمون الى البلد وهو في غم ونكد وكان لحكمون ابنة كالقمر المنير اسمها استير نظرت افعال الزير من الشباك فتعجبت من افعاله وغرائب اعماله فلما رجع ابوها سألته عن حاله وما جرى له في قتاله فاعلمها بواقعة الحال وانتصار النصارى في القتال فعند ذلك اخبرته استير بما رأته في ذلك اليوم من اعمال الزير وقالت ان كانت اعماله صحيحة فانه يكسر هذا العسكر ويذيقه الموت الاحمر ثم اشارت تقول :

تقول استير اسمع لي كلامي	نظرت اليوم في عيني العجائب
نظرت اليوم من هذا الموحد	فعال قد تعيد الرأس شايب
فلما دقت طبل النصارى	وقد هجمت عساكرها تحارب
والتقت العساكر بالعساكر	وراح السيف يعمل في المناكب
فقد أبصرت احوال الموحد	غرائب قد فعلها مع عجائب

ركب للحيط سواه حصانه كأنه يا ابي قاصد يحارب
ويزعق ثم يلكز في كعابه الى ان جرى دمه سكايب
يهدر مثل ليث اروع ترج الارض منه والكتايب
يريد الحيط يطلع فيه يغزي وقلبه للقا والحرب طالب
اذا ولت رجالك قال باطل وان ولت عداك قال طالب
وينحي الناس واحد بعد واحد يشجع وهو للحيط راكب
فهذا قد نظرته اليوم حقا من الصبح الى وقت المغارب
فلا ادري اهو عاقل صميدع ولا ادري اهو مجنون خائب

فلما فرغت استير من شعرها ونظامها وفهم ابوها فحوى كلامها اراد ان يستدعيه اليه فقالت من الصواب ان يركب اخوك نهار غد ويقاتل العدا وانت تبقى في القصر فلعله يفعل كما فعل بالامس فتشاهد اعماله وتختبر افعاله فليس الخبر كمشاهدة النظرات فاستصوب كلامها وبات تلك الليلة قلقا ولما اصبح الصباح امر اخاه ان يركب بالعساكر ويخرج لقتال النصارى فركب اخوه في عسكر اليهود وانتشرت على رأسه البيارق والبنود فالتقته جموع النصارى مثل الاسود فاشتبك الجمعان وعلا صياح الابطال وهمهمة الرجال واشتد بينهم القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال فلما سمع الزير التهب قلبه بنار الاشتعال فصعد على السور وهو حزين النفس وفعل كما فعل بالامس وكان كثيرا ما يقول بالثارات كليب من جساس المخذول وهو ينخي القوم ويقول اليوم ولا كل يوم وكان حكمون ينظر اليه مع ابنته فتعجب من فعله وهول صوته فامرها ان تناديه ليحضر امام عظمته فنادته فالتفت اليها ولباها وذهل من حسنها ومرآها فقالت له ابي يريدك ان تحضر اليه فانزل واصعد الى القصر فصعد ودخل على الملك وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فقال له حكمون ان كنت قادر على ما تقول وانك من الفرسان الفحول فانزل وقاتل عنا في هذا النهار المهول فان لنا عليك جميل

وافضال فان كسرت الاعداء بلغناك الآمال واغنيناك بالمال واطلقناك من الاسر والاعتقال .

فأمر الملك ان يعطوه جوادا من اطايب الخيل ودرعا وسيفا فاتوا له بجواد فقال لهم هذا لا يحملني ثم اتكى عليه بيده فكسر اضلاعه فاتو بآخر ففعل به كذلك وما زال على تلك الحال حتى قتل عشرة خيول فتعجب الملك من قوة بأسه وشدة مراسه ثم أتوا له بعدة حرب وجلاد ففعل كذلك الى ان اتوه بعدة حرب الملك حكمون فلبسها وكانت من احسن العدد واعتقل بالسيف المهند وركب على ظهر حصانه الاخرج الذي كان ينتظر منه الفرج واخذ في يمينه الرمح الاسمر والتفت على حكمون وقال اليوم تنظر فعالي وتعاين حربي وقتالي وتذكرني على الدوام ايها الملك الهمام ثم انه لكز الحصان وقوم السنان وانطلق الى ساحة الميدان بقلب اقوى من حجر الصوان وقد هان عليه الموت تحت ارجل الخيل عند بلوغ القصد والمرام وكانت النصارى قد كسرت اليهود وفتكت بهم فتك الاسود فلما رأى المهلهل تلك الحالة استعد للحرب والقتال وتقدم الى صهيون اخر الملك حكمون وقال شدوا عزمكم وقاتلوا خصمكم ثم خاض في المجال وطلب الميسرة في الحال وقاتل الابطال فمدد اكثرها على الرمال وتأخرت عنه الرجال ورأت النصارى تلك الفعال فاعتراها الانذهال وهجموا عليه من اليمين والشمال فابلاهم بالذل والويل وقتل جماعة من فرسان الخيل وكان كلما كثرت عليه الكتائب وضايقته العساكر والمواكب يتذكر اخوه كليب الاسد الغالب فيهجم هجوم السباع ولا يخاف ولا يرتاع فتأخرت عنه الفرسان وتوقفت عن قتاله الاقران وكان الملك برجيس من فرسان المعارك فلما بلغه ذلك نما غيظه وزاد وهجم بالعساكر والاجناد طالبا ساحة الميدان ومن حوله القسوس والرهبان وعلى رأسه الرايات والالوية ولما اقترب من تلك الناحية وقعت عينه على صهيون اخو الملك حكمون فتقدم اليه وهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على الارض قتيلا وفي دمه

جديلا فعند ذلك ضجت طوائف اليهود لما رأوا اميرهم مفقود فاستغاثـوا
بالتوراة والثلمود فالتقاهم برجيس كالنمرود وقتل منهم كل فارس معدود
وكان المهلهل يقاتل الفرسان الصناديد ويبددها على وجه الصعيد فلما رأى
طوائف اليهود متأخرة بعد ان كانت ظافرة وهم يصيحون ويندبون على فقد
صهيون اخذته الغيرة والحمية فقصد الملك برجيس فالتقى بأخيه سمعان
وهو ينخي الابطال والفرسان فهجم عليه هجمة الاسد وضربه بالسيف المهند
القاه على وجه الارض ممدد فلما قتل سمعان حمل جيش النصارى على
الزير من كل مكان ودقت النواقيس وحمل الملك برجيس وتبعه كل اسقف
وقسيس ولما رأت اليهود افعال المهلهل ايقنت ببلوغ الامل وارتدت الى
الامام بعد ذلك الانهزام والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وعظمت
الاهوال وما زالوا على تلك الحال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار
فافترقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل قبيلة في ناحية من الارض وقد صعب
على الملك قتل اخيه سمعان وندم على مجيئه الى تلك الديار وكذلك
صهيون فكانت مصيبة عظيمة على الملكين وداهية جسيمة على الفريقين ولما
اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركبت الفرسان واصطفت العساكر
وانقسمت الى ميامن ومياسر فتقاتلوا بالرماح والخناجر والسيوف البواتر
فكان الزير كالاسد الكاسر وجرى للابطال في ذلك اليوم من الاهوال ما
يشيب رؤوس الاطفال واستمروا على تلك الحال وهم في اشد قتال وخصام
عشرة ايام على التمام وكان الزير قد فتك فتكا عظيما وقتل من النصارى
عددا جسيما فلما رأى الملك برجيس ذلك خاف من الوقوف في المهالك لانه
كان من الملوك الكبار واصحاب السطوة والاقتدار وامره نافذ في جميع
الاقطار فخاف من انكسار والوقوع بيد المهلهل الجبار فجمع اركان
دولته ووزراء مملكته وعقدوا بينهم ديوانا فاستقر رأيهم على المصالحة
وتوقيف الحرب وان يرحلوا من تلك الاوطان ويبقوا مع حكمون
كالاصحاب والاخوان على طول الزمان ثم ان الملك برجيس ارسل الى

حكبون بعض وزرائه المعتبرين واعلمه بذلـك وان يأتيه بالخبر اليقـين فسار الوزير للملك حكمون واعلمه بواقعة الحال ففرح حكمون وبـاقي الامة العبرانية لانهم كانوا يخافون سطوة ملك النصرانية فاجابه الى المطلوب وحمد الله الذي اقاله من غوائل الحروب وتم الصلـح والوفاق ورجـع برجيس من تلك الافاق بمن معه من الرفاق بعد ان رتب على الملك حكمون مالا يدفعه كل سنة الى خزينة الملك وعظمت منزلة الزير عند حكمون وقال مثلك تكون الفرسان فانت اليوم عندي كالولد واعز من الروح في الجسد فلولاك كنت في حال تعيس واستولى علينا الملك برجيس وكانـت الاميرة استير قد شاهدت افعال الزير فاثنت عليه ومال قلبها اليه وقالت لاعدمناك ايها النحرير فانك تستحق الاكرام والتقدير وكـان الملك قد مال اليه كل الميل فقدمه على جميع فرسان الخيل ورفع منزلته على الكبير والصغير ولقبه بالامير وانعم عليه بنيشان من الماس ليمتاز على كبار الناس واكرمه غايـة الاكرام واجلسه على سفرة الطعام ولما فرغوا من الاكل وشرب المدام قال له الملك تمنى علي ايها الامير والسيد الخطير فمهما طلبت اعطيناك اياه بدون تأخير فطلب الزير ان يعطيه السيف والدرع والمهر الاخرج واعلمه ما بنفسه وطلب منه ان يجهز له سفينة ويرسله الى مدينة حيفا ومن هناك يسير وحده الى مرج بني عامر محل اقامته لان نفسه اشتاقت الى اهله وعشيرته فلمـا عرف حكمون انه المهلهل زاد مقامه عنده وقال له هـذي بلادي امامـك واموالي بين يديك فاقم عندنا طول عمرك فاننـا والله لا ننسى جميلـك ومعروفك فقد اخذت بثاري وطفيت من العدا لهيب ناري عند ذلك اهداه الحصان الاخرج واعطاه السيف والرمح وعدة الحرب وجهز له مركبا من احسن المراكب وامر القبطان بمداراته وامتثال اوامر وانه بعد ان يصل الى حيفا يرجع حالا ثم سار معه حكمون الى المركب مع اكابر قومه وقال لـه عند الوداع الله يبلغك آمالك فلا تقطع عنا اخبارك فسلم المهلهل ودعا لـه بطول العمر ثم رجع حكمون الى المدينة وسافر المركب بالمهلهل وفي اليوم

الرابع اشرفت السفينة الى ميناء حيفا القت مرساها ونزل المهلهل الى البلد وابقى الحصان في المركب وامر القبطان ان يحتفظ عليه لحين الطلب ومن هناك تسربل بالسلاح تحت الثياب وقصد دياره فالتقى به ابن ناصر وهو حافي عريان وكان من الاعيان ومن اصحاب الزير فاقبل اليه وسلم عليه فرد طراف السلام ثم انه عرفه بنفسه واخبره بما جرى عليه اولا واخرا فقال اهلا وسهلا بقدومك علينا فوالله كنا قطعنا الامل منك فالحمدلله على اجتماعنا فقم الآن بنا الى ربعنا لتنظر اهلك لانهم دائما في ذكرك فقال قصدي اذهب الى حي بني مرة وانظر باقي قومنا الذين التجوا الى جساس فسر معي الى هناك فسار ناصر معه وهو فرحان جدا في مسيرهما حتى وصلا الى حي بني مرة فالتقيا بالامير سالم المهيا قاصدا الصيد مع جماعته ولما اقترب سالم من المهلهل ونظره حن قلبه اليه فحياه وجعل يتأمل فيه ويقول والله من يوم غاب حامينا فقدنا عزنا وما عدنا ابصرنا قامته الى اليوم ثم دمعت عيونه فقال الزير كيف تبكي عليه وانت ملتجي الى عداه فعند ذلك عرفه ونزل عن ظهر جواده ووقع عليه واعتنقه المهلهل وطيب خاطره وقال لهم ابقوا في مكانكم وعندما تسمعون صرير السيوف في اعناق بني مرة تفعلون ما يجب عليكم فعله فساروا في سرور وافراح يعلم بعضهم بعض واما الزير فانه سار وطراف متنكرين فدخلا الى حي جساس وقت المساء فوجد الحي في دق طبول ونقر دفوف وامور على مسرات وافراح فقال المهلهل ما عسى ان يكون هذا ولما اقترب من صيوان جساس وجده غاصا بالناس وجساس جالس في الصدر وحوله الاكابر والاعيان والمولدات تدق بالدفوف والمزاهر ثم حضر العبيد بسفرة الطعام فقام جساس الى المائدة وتقدمت بعده الامراء وجعات تتوارد الفرسان وتتزاحم بعضها على بعض فعند ذلك تقدم الزير مع جملة الناس وجلس بقراب جساس واخذ يتناول من انواع الاطعمة فلما رآه جساس انكره واستعظم جثته وهو يأكل اكل الجمال فقال له ادع لي يا شيخ فقال انني دائما ادعو لك ولست بناسيك

على طول الزمان فازداد جساس خوفا وارتجفت اعضاءه ولما انتهى من العشاء امر باحضار الرمل وضربه في الحال ورسم الاشكال فظهر له الكيس واحمرار وانه قادم عليه ايام منحوسة ويظهر رجل قوي يذيقه الاهوال فتأكد عنده ان ذلك الرجل هو الزير لانه لا يوجد له عدو غيره فالتهب قلبه بنار وصاح بملىء رأسه يا ستار فقال له اخوته ما اصابك يا امير فانشد يقول :

قال جساس ابن مرة في بيوت	اسمعوا يا اخواتي اهل الوفاء
ضاق صدري وامتلأ في همـــوم	والقلق والغـم ضارب بالحشا
جبت تخت الرمــل قد حورتـــه	حتــى ارى ما هو هذا البــلا
وجدت الجــد آت عن قريــب	صاحــب البطش ما بين المــلا
ورأيت الجواد له بيت ضــد	والجماعة شكلهم واقع حــدا
ما عاد لي عقل لهذا الرمل قط	حرت فيه اليوم يا أهل الهنــا
لو يصح القول قلت الزيــر جا	ها هو جالس بينكم يا امــراء

فلما فرغ جساس من شعره وفهم الزير الطوية عرف المقصود فوضع يده على سيفه حتى اذا قال جساس اقبضوا عليه يفتك به ويعدمه الحيــاة ومن كثرة ما جرى على جساس من الغم والوسواس ترك ما كان عنده من الناس ودخل على الحريم خوفا من امر يأتي فلما رآه الزير فعل ذلك قال لا بد من قتله ان لم يكن اليوم فغدا ثم خرج الى الصيوان مع الامــير طراف وسارا قاصدين الاوطان فوصلا الى وادي الشعاب ودخل الى الخيمة التي فيها بنات كليب فسمعت ابنة كليب اليمامة صوته فقالت من انت ومــا هو اسمك فلما سمع صوتها عرفها فتقدم اليها فوجدها وشقائقها بثياب السواد فتقطع قلبه وهطلت عيناه بالدموع وقال اتقبلوا الضيف يا بنات الاماجيد قالت مرحبا بك فاننا اول من ضاف ولكن قد جار علينا الزمان فأذلنا بعــد العز والجاه وصرنا في حالة يرثى لها فاقصد يا شيخ محل الوليمة وهو المكان

الذي تدق فيه الطبول فتحصل على بلوغ الآمال فقال بالله عليك يا صبية ان تحكي لي واقعة حالكم فقد جرحت قلبي بهذا الكلام فقالت اليمامة لقد ذكرتنا بمصابنا وما جرى فجلس الزير هو وطراف وجلست هي بجانبهما ثم انه عرفها وشقايقها بنفسه وانه هو عمها الزير وانه نجا وعاد سالما لينتقم من أعدائه فصاحت بصوت عالي اهذا في الحلم ام في اليقظة ثم وقعت عليه وشقايقها يقبلونه وقلن الحمد لله الذي ارانا وجهك بخير وعافية فوالله قد زالت اتراحنا وتجددت افراحنا وسمع ابو شهوان عبد الزير هذا الخبر فدخل عليه ووقع على قدميه لانهم كانوا يظنونه مات فكانت تلك الليلة عندهم من اعظم ليالي الافراح والمسرات وبعد ذلك جلسوا يتحدثون فقالت اليمامة بالله يا عماه ان تعلمنا بقصتك وما جرى في سفرتك فقص عليهم ذلك الخبر وما سمع وابصر وختم كلامه بهذا القصيد :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل ... عيوني دمعها جاري بكاها
بكيت دما على ما صار فينا ... ليالي السعد ما عدنا نراها
عدمنا فارس الهيجا كليبا ... عقاب الحرب ان دارت رحاها
دهتني آل مرة جنح ليل ... لتقتلني وتشفي ما دهاها
فكنت بخيمتي ملقى طريحا ... ثلاث آلاف دزتني قناها
وجابوني لعند ضباع اختي ... والقوني طريحا في حداها
وقالوا يا ضباع خذي اخوكي ... اخذنا روحه قيمي عزاها
فالقتني بصندوق مزفت ... وارمتني بوسط البحر ماها
وساقتني مياه البحر حالا ... الى بلد اليهود على رباها
وجابوني لحكمون اليهودي ... اجل ملوك الارض باها
فداواني وعالجني سريعا ... فزالت كربتي مما دهاها
بقائي انا ثمان سنين غائب ... وزال الشر عني مع عناها
سألت الله يحفظكم جميعا ... على ما طالت الدنيا مداها

قال الراوي وكانت ليلة عند بنات كليب من اعظم الليالي وحضر تلك الليلة جميع اصحاب الزير ففرحوا وانشرحوا بقدومه وهنوه بالسلامة فقال لهم من الاوفق ان تكتموا امري لبينما اتجهز لقتال الاعادي واحضر جوادي ثم اعلمهم بخبر الحصان وانه ابقاه في المركب عند القبطان لبينما يكـون شاهد اهله واقاربه ولما انتصف الليل ودعهم وسار قاصد شاطيء البحر ، هذا ما كان منه واما مرة ابو جساس فكان من عادته ان يذهب كـل يـوم الى ساحل البحر ويتجسس الاخبار ويعود في آخر النهار فاتفق ان عبدين من عبيده كانا قد نظرا المركب عند قدومه الى ميناء حيفا فاعلماه به فأستأجر قاربا وقصد المركب وعند وصوله اليه وجد ذلك الجواد المذكور فاندهش من رؤياه فسأل القبطان عنه فقال له القبطان هذا حصان الزير وقـد حضر معنا من بيروت وسار لزيارة اهله من يومين ولم يكن القبطان يعلم ما هو جار بين القوم من العداوة والحرب ولما سمع مرة بخبر الزير وانه عاد سالما غانما استعظم الامر وتعجب ولكنه كتم الخبر وقال للقبطان اتبيعني هـذا الحصان فقال كيف ابيعه وهو مودوع على سبيل الامانة فقال لا بد من ذلك اما ان تقبض ثمنه خمسة آلاف دينار او آخذه منك بالقوة والاقتدار لان ابني جساس ملك هذه الديار وبيدنا زمام الاحـكام وما زال يلح عليـه بالكلام الى ان امتثل واجاب خوفا من ان يأخذه بالقوة والاغتصاب فقبض القبطان الدراهم وسار مرة بالحصان الى عند ابنه جساس وهو كـاسب غانم واعلمه بواقعة الحال وقدوم المهلهل الى الاوطان ففرح جساس بالحصان لانه كان من اجود خيول الاعراب ولكنه خاف من الغوائل وعلم انه لا بد من تجديد الحروب بين القبائل فاجتمع باهله واعلمهم بالخبر وان يكونـوا على استعداد وحذر ، اما الزير فانه عند وصوله البحر الى المركب فلم يجد الحصان فسأل عنه القبطان فاخبره بما جرى وكان فلما سمع هذا الكـلام اراد ان يضرب عنقه بحد الحسام لكنه توقف عن اذاه اكراما لخاطر مـولاه ثم امره بالرجوع الى عند الملك حكمون ليقص عليه الخبر ويطلـب منـه

الجواد الاخر فامتثل القبطان امره واقلع من تلك الساعة حتى وصل الى بيروت فانزل الزير في قاربه وسار به الى عند الملك حكمون ولما دخل عليه وهو في السراية ورآه حكمون فرح به الفرح الشديد وقال له اهلا وسهلا بالصديق الحبيب وترحب به غاية الترحيب ثم اجلسه بجانبه وقام بواجبه واشار يقول وعمر السامعين يطول :

قال حكمون بن عزرا في بيوت	تشرح الخاطر وترضي السامعين
انورت الدنيـا علينـا يا همام	يا مريع الخيل اذا طلع الكمين
يا مهلهـل انـت عز المحصنات	انت فخـر للانـاس الماجدين
ان كان يلزمك نجده احكي لي	حتى اسير بالجيش كله اجمعين
طيب قلبـك يا مهلهل لا تخاف	ثم اطلب يا ضيا عيني اليمـين

فشكره الزير واثنى عليه واخبره بما جرى من فقد الحصان وان السبب في حضوره سؤال خاطره الشريف وان يعطيه المهر الثاني ثم انشد يقول :

قد أتيت اليوم في قلب حزيـن	على فقد مهري الاخرج الثمين
فان شئـت اعطنـي اخـوه	يا معـز الجار يا ابن الاكرمين
لا اريد مـال ولا كثرة نـوال	غير ابو حجلان مطلوق اليمـين
يا ملك حكمون ان مالي كثير	كل مال البر في يدي خزيـن

فتبسم حكمون وقال مهما طلبت منا لا نعزه عليك وجميع اموالنا بين يديك وانا لا ننسى جميلك ومعروفك على طول الزمان وان ابو حجلان بعد رواحك من الاوطان اظهر الوحشة ونفر من جميع الناس حتى لم يقدر عليه احد من السياس ثم طلب منه البقاء عندهم عدة ايام ليستريح من متاعب الاسفار فاعتذر وقال : لا بد من الرجوع في هذا النهار فاعطاه حكمون الحصان فسار به الى المركب وعند وصولهم اليها نزل بالجواد الى المدينة فركب وقصد اهله فاتفق في تلك الساعة ان رجلا من قبيلة جساس ابصر

الزير فعرفه وسار الى عند جساس واخبره بقدومه وقال انني خايف عليكم من سطوته لانني شاهدته في هذا النهار مثل الاسد الكرار ثم اشار قائلا :

يقـول الشيخ يا اولاد مـرة تعالوا واسمعوا لي يا فوارس
ابا جساس يا همـام اسمـع ايا ملـك ويا أهـل المجالس
فقد كنت قـرب البحـر سائر رأيت خرج عليـا اليوم فارس
على ادهم اقب الضلـع فـارح وفوقـه درع من بولاد لابس
وفي كتفه قنـا اسمر مكعـب بطل صنديد يوم الروع عابس
فهذا فارس البيـدا مهلهـل مريع الخيـل للابطال داعس

فلما فرغ الشيخ من شعره ونظامه اجابه سلطان بن مرة بهذه الابيات :

يقول اليوم سلطـان بن مـرة كلام الشيخ صادق يا فوارس
فان كان ابو ليلـى سيظهـر يخلي دمنـا مثـل البواطس
ويسبي من قبائلنـا عـذارى ويترك أرضنـا قفرا دوارس
ولا يقبـل رجـاء ولا عطايـا ويطرحنا على الغبـرا نواكس

فلما فرغ سلطان من كلامه وقع الخوف في قلـوب القوم واخـذوا يستعدون للقتال من ذلك اليوم واما الزير فقد جد في المسير حتى وصل الى دياره والتقى بأهله وانصاره ففرحوا به واتت اليه اليمامة وشقايقها واخوة الزير وكل من في الحي نساء ورجال ووقعوا عليه يقبلون يديـه وانتشرت الاخبار بقدومه الى الديار بين الكبار والصغار حتى ملأت الاقطار فاقبلت الابطال والفرسان وتواردت اليه السادات والاعيان فسلموا وتمثلوا بـين يديه وهنوه بالسلامة فشكرهم واثنى عليهم وترحب بهم وذبح لهم الذبابيح واولم الولائم ووعدهم بالمكاسب والغنايم بعد ان اكلوا وشربوا انشد عدي اخو الزير قائلا :

يقول عدي أبيات فصيحة أتانا الزير والمولى عطانا
وكنا قبل ما يأتي الينا بحال الذل في قهر حزانا
وجساس الردي عايب علينا يريد هلال تغلب مع ادانا
أمرنا بأن نبقى جميعا على طول الليالي مع نسانا
ولا نركب خيولا صافنات ولا نمل سيوفا في حمانا
الينا جيت يا حمل المحامل ويا كهف العذارى والامانا
لربي الشكر ثم الحمد دايم اذا ما جئتنا نقهر عدانا
ايا سالم فانهض وشد عزمك واركب فوق مطلوق العنانا
وتركب ثم تحمل فرد حملة على اولاد مرة في لقانا
وتترك دورهم بورا وقفرا ونقتلهم ونأخذ ثأر أخانا

فلما فرغ عدي من كلامه تقدمت اليمامة لعمها وشكرت الله على سلامته ودعت له بطول العمر فضمها الزير الى صدره والتفت الى من حوله وانشد:

يقول الزير ابو ليلى المهلهل ألا يا بنات السعد جاكم
واقبل سعدكم والشر ولى وراح الشر عنكم لاعداكم
فقروا وابشروا مني وطيبوا اله العرش قد زول عناكم
ثمان سنين وسط البحر غائب وبالي عندكم عما دهاكم
وفرج خالقي همي وغمي وخلصني وجيت الى حماكم
وحيث أتيت زال الشر عنكم ونلتم يا بنات مني مناكم
غدا جساس اقتله بسيفي وآخذ يا بنات بثأر أباكم
واتتم يا عدي ويا دريعان وباقي اخواتي تسلم الحاكم
فأتوا بالصوافن واركبوها وهبوا جميعكم ومن معاكم
ودقوا طبلكم يا آل قيس وقيموا النار في ساير حماكم
وخبوني بعيد عن المنازل غدا جساس يبرز للقاكم
فلاقوه على خيل ضوامر واني سوف اهجم من وراكم

قال الراوي فلما فرغ الزير من كلامه طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم
وزالت عنهم الاتراح وايقنوا بالنصر والنجاح وما زال بنو قيس يجتمعون
والى الزير يتواردون حتى صاروا في جمع غفـير وعدد كثير فاستعـدوا
للقتال والنزال فاطعموا الجوعان واكسوا العريان واوقدوا النيران ورجـع
الحي كما كان من الزير وقومه واما بنو مرة فلما بلغهم الخبر وكيف ان بني
قيس قد التموا بعد ذلك التفريق والشتات من جميع الجهات وهـم فـي
افراح ومسرات اجتمعوا بجساس وقالوا له لو لم يكن الزير قد ظهر لمـا
كانت بنو قيس اجتمعت في هذه الايام وخالفت امرك ومراسيمك العظـام
فقال كفوا عن هذا الكلام ولا يخطر لكم الزير على بال واستعدوا للحرب
والقتـال فاستعدت الفرسان الفحـول وركبوا ظهور الخيـول وتقلدوا
بالسيوف والنصول ولقد املوا بالنجاح وبلوغ الامل وركب جساس حصان
الزير الاخرج وسار بذلك الجمع الغفير ولما اقتربوا من حي بني قيس سمعت
ابطال الزير دق طبولهم وصهيل خيولهم فهاجوا وماجوا فأمرهم الزيـر ان
يتأهبوا للقتال ويلاقوهم في ساحة المجال فتبادروا في الحال وتقدمت الفرسان
وركب الزير على مهره ابو حجلان وسبقهـم الى الميدان وكمن في بعض
الروابي والتلال مع جماعة من الرجال ولما اقترب جساس من رجـال بني
قيس قال لهم قد خالفتم اوامري وغركم الطمع وهجم عليهم بالرجال واحاط
بهم من اليمين والشمال فالتقوهم بقلوب كالجـبال واشتد بينهم القتـال
وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال ولكز الزير الحصان وتقدم الى ساحة
الميدان فشق الصفوف والكتائب ومزق بحملته المواكب وهو يهدر ويصيح
من قلب قريح ابشروا يا بني بكر بالذل والويل فقد اتاكم المهلهل فـارس
الخيل وسترون ما يحل بكم من الويل على ما عاملتمونا به من سوء الفعال
فقد اقسمت برب الانام الذي لا يغفل ولا ينام اني لا اترك منكم لا شيخ
ولا غلام ثم انه صال وجال وضرب بالسيف الفصال وتبعته الفرسان والابطال
من اليمين والشمال فلما سمع جساس صوت المهلهل انقطع قلبه من الخوف

والوجل ولكنه ثبت في الميدان خوفا من الهلاك واخذ يحث الابطال والفرسان على القتال والثبات على لقاء الاعادي قبل الممات فثبتوا ثبات الجبابرة وقاتلوا قتال الاسود الكاسرة لكنهم لم يقدروا ان يثبتوا اكثر من ثلاث ساعات حتى انصبت عليهم البلايا والنكبات وبلوا ببلايا لا تطاق من سيف المهلهل فارس الآفاق فولوا الادبار وركنوا الى الهزيمة والفرار بعد ان قتل منهم عشرة آلاف فارس كرار وتبعهم الامير جساس وهو في قلق ووسواس وغنمت بنو قيس منهم غنائم عظيمة ومكاسب جسيمة ورجعت الى الديار بالعز والانتصار والبطش والاقتدار في مقدمتهم الامير المهلهل الجبار وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان ولما وصل الى المضارب بقواد المواكب لاقته بنات اخيه وجماعة من اقاربه واهاليه فشكروه على تلك الفعال وقالوا مثلك تكون الابطال والفرسان فجلس في الخيام وجلست حوله السادات العظام وجبابرة الصدام فتحادثوا في الكلام وشكروا رب الانام على بلوغ القصد والمرام وبعد ان اكلوا الطعام وشربوا المدام التفت بعض القواد الى المهلهل فارس الطراد وقالوا له بالله عليك ان تنشدنا شيئا من اشعارك لان قلوبنا مشتاقة للوقوف على آثارك وما جرى لك في اسفارك فانشد الزير يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل ... فكل مقدر لا بد يأتي
نزلت يا اخوتي وابناء عمي ... بجنح الليل لا يدرو صفاتي
فقالوا ضيفنا شرطوا علينا ... فلا توقدوا النار في الفلاة
ولا نفزع ولو فزعوا علينا ... ولا نركب خيول الصافتاة
تكافحت اليمامة مع حمامة ... وقالت عماه هيهات يأتي
فقلت لها لبيك جئتك ... انا مرادي السباع الكاسرات
فجيت لعندها في قلب صامت ... وجدت عيونها مقرحات
فقلت يا يمامة ليش تبكي ... جرحت بالبكا قلبي وكلاتي

نعمك يا يمامة ليس مثله اذا ثارت حروب في الفلاة
انا همي كراديس الفوارس اذا ما وهجت نار العداة
وجيت انا على جساس رامح هرب مني وصاح أتوا العداة
وقال الزير أجانا يا بلانا وطالب ثاره بالمرهفات
فقولوا لابن مرة ان يغدي أتاه الزير ذباح العداة

فشكروه اخواته وتقدم سالم المهيا الى الزير وقبله بين عينيه وانشد :

على ما قال سالم المهيا مهلهل جيت هذا اليوم يومك
وزال النحس والتوفيق اقبل واضحى القطر يزهو في قدومك
ولما جيت يا زين الفوارس ازلت همومنا زالت همومك
فقم اركب عليهم يا مهلهل نهار وليل ما احد يلومك
وخذ الثأر من جساس حالا وافرج همنا واخلي همومك

قال الراوي فلما فرغ سالم المهيا من شعره طابت قلوب الجميع وعادوا لما كانوا عليه من الفرح والمسرة اما بنو مرة فابتلوا بالذل والويل من حرب الزير فارس الخيل ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركب المهلهل في مئة الف بطل وطلب حرب القوم فالتقاهم جساس في ذلك اليوم وكان بمعيته مائتا الف مقاتل ما بين فارس وراجل فانتشب بين الفريقين القتال وعظمت بينهم الاهوال وقاتل المهلهل حتى استقتل فنكس الابطال والفحول عن ظهور الخيول وقتل جماعة من الاعاظم الذين اشتهروا بالفضل والمكارم وشاع ذكرهم بين الاعارب والاعاجم فمنهم الامير شهاب المكنى بالعقاب وغيرهم من السادات والانجاب واستمر القتال على هذا الحال طول ذلك النهار فانكسرت بنو مرة اشد انكسار ورجع المهلهل بالعز والانتصار ولما كان الصباح ركب المهلهل والفرسان فالتقاه جساس بالرجال والابطال وتقاتلوا اشد قتال ولما تقابلت الصفوف وتبادرت الميات والالوف برز شاويش اخو

جساس بين الصفين ولعب برمحه بين الفريقين وطلب قتال المهلهل فانطبق
عليه وحمل كأنه قطعة فصلت من جبل او قلة من القلل فتطاعنا بالرمح
وتضاربا بالبيض الصفاح وثبت شاويش امام الزير ثبات الابطال المغاوير
لانه كان من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة واستمر الاثنان نحو
ساعة من الزمان وهم في ضرب وطعن وهزل وجد وكان الامير شاويش قد
حتم على نفسه امام السادات اما ان يهلك في ذلك النهار او يظفر بخصمه
ويعيش في عز واقبال ثم صاح على المهلهل وطعنه بالرمح قاصدا قبض روحه
فالتقاها المهلهل بالدوقة فراحت خائبة بعد ان كانت صائبة ثم تقدم المهلهل
وهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على
الارض قتيلا وفي دمه جديلا ثم هجم على الرايات وطعن في صدور الفرسان
فقتل الرجال ومدد الابطال في ساحة المجال وفتك فيهم فتك الاسود الكاسرة
وفعل فعالا تعجز عنها صناديد الجبابرة وفعلت قومه مثل افعاله فقاتلوا
القتال المنكر واذاقوا الاعداء الموت الاحمر فلما رأى جساس ما حل بقومه
استعظم المصاب وخرج عن دائرة الصواب وزاد اكتئابا على اكتئاب على
فقد اخيه ليث الغاب لانه يحبه محبة عظيمة ويوده مودة جسيمة فبكى
وانتحب وولى يطالب الهرب وتبعته رجاله وابطاله ورجع الزير بباقي
الفرسان الى المنازل والاوطان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه
من الدماء فالتقته اليمامة بالاعزاز والكرامة فنزلوا في الخيام مع السادات
الكرام فاكلوا الطعام وشربوا المدام وكان في كل يوم يركب حسب عادته
لحرب القوم فبلغ منهم غاية المنى وابلاهم بالذل والعنا فلما طال المطال
وعظمت على بني مرة الاهوال جمع جساس من يعتمد عليهم من الابطال
وقال لهم ما قولكم في هذا الامر العسير فقد حل بنا الهلاك والتدمير وفقدنا
كل سيد خطير وان طال المطال لم نجد احدا من الرجال فقال سلطان الرأي
عندي ان نأخذ اختنا الجليلة وبعض نساء القبيلة ونذهب الى الزير ونقع

عليه ونطلب منه الكف عن الحرب ونعطيه دية اخيه مهما طلب ونقينه ملكا على بلاد الشام ندفع له الجزية في كل عام فقال جساس ومن يذهب ليقص عليه هذا الكلام فقال انا وانت يا اخي فتبسم جساس وقال اسمعت باحد من الناس يرى الموت بين يديه فيزحف اليه على قدميه فقال سلطان انا اذهب اليه بنفسي لان بيني وبينه مودة قديمة ثم نهض في الحال وتأهب للمسير والترحال واخذ معه اخته الجليلة وبعض نساء القبيلة وقصد حلة المهلهل حتى وصل اليه وقال له بالله عليك ايها السيد ان تصفح عنا فقد اهلكت رجالنا ولم تبق على احد منا وقد اتيتك الآن مع اختك الجليلة واكابر نساء القبيلة تقع على ساحة اعتابك ونطلب من جنابك كف الحرب ونبلغك غاية الارب من الفضة والذهب ونقيمك ملكا على هذه الديار ونكون طوعا لك على مدى الاعصار لانك سيفنا الثقيل ورمحنا الطويل ثم انشد يقول :

قال سلطان بن مرة في بيوت ... يا مهلهل استمع مني القصيد
ليت عمرك يا مهلهل الف عام ... يا حماة البيض في اليوم الشديد
فاعف عنا يا سياج المحصنات ... ليت عمرك كل يوم في مزيد
نحن منك وانت منا يا همام ... كلنا اولاد عمك يا رشيد
فاعف عنا ثم دعنا في حماك ... تحت ظلك عيشنا يبقى رغيد

فلما فرغ سلطان من نظامه اجابه المهلهل .

اسمع يا ابن عمي ما اريد ... افهم فحوى كلامي في قصيد
ليس لي ذنب في هذي الامور ... وانا في حقكم لست عنيد
غصب عني يا سياج المحصنات ... ليت عمرك يا ابن عمي في مزيد
اليمامة كل يوم تقول لي ... خذ بثأري ايها البطل العنيد
فان عفت عنكم انا اعفو ... كل قولي صادق والله شهيد
وان ابت لا اخالف قولها ... انني عن امرها لست احيد

فلما انتهى الزير من شعره ونظامه قال لسلطان ومن حضر معه انـا لا اكف عن الحرب ولا ارفع عنكم السيف الى يوم القيامة او ان تمنعني اليمامة فاذهب اليها وخاطبها بما خاطبتني به امام هؤلاء الاعيان فعسى ان تجيب طلبك فقصد سلطان اليمامة مع اخته الجليلة ومن حضر معه من نساء القبيلة فدخلوا جميعا اليها وسلموا عليها وقبلت الجليلة بناتها وقالت لهن اما كفى يا بنات الاكارم والوفا فقد قتلت رجالنا وهلكت فرساننا وابطالنا وساءت احوالنا وصارت عبرة لمن اعتبر ومثلا بين البشر فاجابتها اليمامة انا لا اصالح حتى لا يبقى فيكم احد وان كان عمي قد عجز عن قتالكم فانا انوب عنـه والتقي بأبطالكم ثم انها ختمت كلامها بهذا الشعر والنظام :

قالت يمامـة من ضمير صادق	يا جليلة اقصري عني عساكـم
انت وخوالي وكل عشائـري	لا تزيدوا لفظكم ولا لغاكـم
قتلتم الماجـد كليب والـدي	غـدرا وما له ذنـب معاكـم
جساس طعنه من قفاه بحربـة	ودعاه على الغبرا قتيل حداكم
انا واخوتـي بقينـا بذلـه	نمسي ونصبح ولا ننسى بلاكم
انا لا اصالح حتى يعيش ابونا	ونراه راكـب يريـد لقاكـم

فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وفهمت الجليلة فحوى كلامها رجعت مع اخيها وباقي النساء الى الحـي وبدون افـادة واخبروا الامير جساس بواقعة الحال فاعتراه الخوف والانذهال وايقن بالهلاك والوبـال فقال اخوه سلطان وكان ذو مكر واحتيال اني سأهلك الزير ايها الامـير ونقوده اليك عند الصباح كالبعير فقال وما هو الفعل فاجاب انـي اقصد الميدان بجماعة من الاعوان واحفر هناك ثلاث حفاير ونغطيهم حتى يخفوا عن عيون العساكر فاذا كان الصباح والتقى العسكر بالعسكر تبرز انـت والزير وتكون عارف بهم فتقوده اليهم وتتم الحيلة فيسقط ويهلك في هذا الشرك فتتخلص من شره ونبلغ ما تتمناه فاستصوب جساس هـذا الرأي

واستحسنه وخرج في ذلك الليل مع اخيه سلطان وجماعة مـن العبيـد والاعوان الى ذلك المكان فحفروا ثـلاث حفاير عميقة وغطـوها بالقش ووضعوا عليها التراب حتى اختفت عن العيون ثم رجعوا الى اماكنهم وهم مسرورين وباتوا تلك الليلة على مقالي وهم ينتظرون طلوع النهار هذا مـا كان من هؤلاء اما الزير البطل النحرير فانه ركب في الصباح بفرسان الكفاح وقصد ساحة الميدان بقلب اقوى من الصوان فالتقاه جساس بالعسكر ثـم انفرد بنفسه نحو تلك الحفاير واخذ يلاعب الجواد على عيون العساكـر والقواد فرآه بعض الفرسان وهو يجول في ذلك المكان على ظهر الحصان فاعلم المهلهل بذلك الشأن وقال له ان خصمك ظاهر للعيان وهو في تلـك الناحية من الميدان فلما رآه المهلهل قصده على عجل ليقتله ويبلغ الامل فلما اقترب منه ابتعد عنه جساس فتبعه المهلهل على الاثر فسقط في احدى الحفر فارتد عليه جساس وانطبقت عليه باقي الناس بقصد ان يطعنوه ويهلكـوه ويعدموه فلله در الحصان ابو حجلان فانه كان من عجائب الزمان وغرائب الاوان اخف من الغزلان واسبق من البرق عند اللمعان فانه عندما وقـع ضرب بحافره الارض فارتفع حتى صار بين الفرسان بالميدان فرجعت الخيل مدبرة عنه فاستعظم الزير تلك الامور المنكرة وغاب عن الوجود حتى صار حاضرا بصفة مفقود ورأى جساس ينخي ابطاله ويصيح على رجاله فتقدم نحوه بالجواد ليشفي منه غليل الفؤاد فاتفق بالامر المقدر وقوعه في الحفرة الثانية فوثب به الجواد وانتصب اسرع من لمح البصر حتى صار على وجه الارض فانقلبت عليه العساكر بعضها على بعض فزاد بالزير الكدر وطار من عينيه الشرر وقصد الامير جساس دون باقي الناس ليقتله ويعدمه الحواس فكبى به الجواد في الحفرة الثالثة وكانت عليه اقبح حادثة اذ كان جـواده قد اعياه التعب وضعف قواه وانحل منه العصب حتى لم يعد يمكنه ان يفعل كما كان يفعل وكذلك الامير مهلهل فقد انهد حيله وطاش واعتراه الخوف

والارتعاش وايقن بالهلاك والممات وآيس عن نفسه من الحياة فكانت حيلة عظيمة وداهية جسيمة فلما بلغ جساس الامل ونجح بذلك العمل أيقن ببلوغ الارب وصاح من شدة الطرب على باقي رجاله من يعتمد عليهم من أبطاله يا ويلكم ادركوه واطمروه واقتلوه فان تخلص هذه المرة من الحفرة لا تأملون بنجاح او نصرة فلما سمعت الرجال منه هذا المقال فقصدوا ذلك المكان وكانت ايضا بنو تغلب قبيلة الزير فارس العجم والعرب اقبلت فرسانها ورجالها وانتشت بين القوم قتال لم يسمع بمثله قبل ذلك اليوم وكان القتال بجانب تلك الحفر ولما عظمت الاهوال وتكردست جثث القتلى على الارض مثل التلال من ضرب السيوف وطعن النصال هجم جساس امام الناس وقال للفرسان والابطال والشجعان ادركوني في هذا النهار واسعفوني في التراب والاحجار واردموا هذه الحفرة في الحال وانا ارد عنكم هجمات الرجال فتقدموا على عجل وبادروا باجراء هذا العمل غير انهم لم يبلغوا الامل لان اخوة الزير الفرسان المشاهير هجموا عليهم من اليمين واليسار وضربوا فيهم بالسيف البتار فابلوهم بالذل والدمار وكان الامير مرة بجانب تلك الحفرة فرآه عدي اخو الزير فتقدم اليه وقبض عليه والقاه في تلك الحفرة بالعجل وقال خذ عمك يا مهلهل ولما صار بالقاع ضربه بالسيف فقتله ثم اخرجوا الزير بالقوة والاقتدار فعند ذلك انشرحت من بني تغلب الصدور وزالت عنهم الغموم والكروب وايقنوا بالتوفيق والنجاح والفلاح وقصدوا الحرب والكفاح والتقوا اعداءهم بأسنة الرماح ومال الزير على القوم ونادى اليوم ولا كل يوم وفي الحال اشتعلت نيران القتال وقامت الحرب على قدم وساق وارتجت جانب الآفاق من ضرب السيوف الرفاق وطعن الرماح الدقاق وجمدت من القوم الاحداق وفعل الزير في ذلك اليوم فعالا لا تطاق وما زالوا في اشد القتال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت بنو مرة بالويل والحسرة والمهلهل بالنجاح والنصر فنزل

عن ظهر الجواد وخلع آلة الحرب والجلاد وجاءت السادات واكلت الزاد ولما جلس في الصيوان صاح على عبده ابو شهوان باحضار المدام الى الديوان فاحضره بالعجل فتناول منه المهلهل ومن حضر في ذلك المحفل فعند ذلك تذكر ما جرى له في ذلك اليوم المهول فانشد :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل فدمع العين هطال عمانا
لقد قتلوا اولادا لعمي وقالوا ما رواه الا جبانا
ولا يدرون بأسي واقتداري فقطعتهم لم أخش الزمانا
أتتنا في كليب اولاد مره أتونا داخلين على نسانا
وقالوا كف عنا يا مهلهل فقد حكمت سيفك في أذانا
فاطلب ما تريد اليوم منا واتركنا فقد صرنا حزانا
فقلت لهم روحوا لليمامة رضاها اليوم احسن من رضانا
قتلنا في كليب الوف قوم فما فيهم ردي ولا جبانا
قتلنا من بني مرة اماره ملابسها ثياب الطيلسانا
فراحوا الكل قد وقعوا عليها قالوا عمك أرسلنا عيانا
فقالت اذهبوا اولاد مرة فهذا القول ضحك على لحانا
فانا لا نصالح في كليب الا ان نراه على الحصانا
وقد حفروا لي جملة حفاير وغطوها وقالوا قد كفانا
فركبوا خيولهم وأتوا حداها وقالوا قد أتانا قد أتانا
وقف جساس ما بين الحفاير هجمت عليه أطعنه السنانا
فولى هاربا من هولي وحربي ومرة قد قتلناه عيانا
فكوني يا يمامة في انشراح وحفظ دايم طول الزمانا
فسوف أبيد جساسا بسيفي وكل سفيه يبغي أذانا

فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره جميع اقوامه ولما كان الصباح رجعوا الى ما كانوا عليه من الحرب والكفاح وما زالوا في قتال وصدام

عدة ايام ولما طال الامر اتفقوا على توقيف الحرب واخذ هدنة شهرين لراحة الفريقين فاتفق في بعض الايام بينما كان الزير خارج الخيام ومعه بعض الخدام واذا برجل يقود مهر ادهم كامل الصفات فاستحسنه الزير غاية الاستحسان وقال لقائده ما هو اصل هذا الحصان فقال يا حلو الشمائل انه من الخيول الاصايل وقد اتيت به من ابعد الحلل لاهديه للامير مهلهل فتعجب الزير من هذا الاتفاق الغريب وقال لقد نلت مرادك من قريب فانا المهلهل الذي انت قاصده فأخذ منه الجواد وأمر له بألف دينار وبلغه مقاصده فدعا له بطول العمر والبقاء وعلو الشأن والارتقاء وسار من يومه الى قومه فاعتنى الزير بذلك الحصان وفضله على جميع الخيول والجياد واتفق في ذلك النهار انه التقى برجل اختيار وهو راكب على دابة سوداء مثل الظلام وراءها كر ابن سبعة ايام وهو يرطع خلفها فلما رآه المهلهل اعجبه فقال للشيخ اتبيع هذا الكر فقال نعم فقال بكم قال الشيخ ليس على الكريم شرط فاعطاه الزيرماية دينار واخذه منه وسلمه للسايس فرباه مدة اربع سنوات ثم دخل الزير ذات يوم الى الاصطبل فرأى الكر وهو متعافى فأمر السايس باسراجه وان يرمي عليه عدة ولجام فاخرجه له واسرجه ولجمه فركب عليه الزير وساقه الى اليمين فراح شمالا واجتهد ان يمشيه فما كان يمشي معه فغضب منه ولكزه برجله في الركاب فتضايق المشؤوم من فعاله وضرب الارض بنعاله ثم ضرط ضرطة عظيمة من شدة الوجع كانها صوت مدفع فغضب الزير وضربه بالسيف اورثه العدم ودخل الى صيوانه واجتمع بنوابه وأعيانه وقال لقد جربت دنيء الاصل واكرمته فضاع فعلي معه وما قدمت هذا المثل ايها السادة الاخيار الا لتعلموا ان الحمار يقتني الحمار ثم انه ركب ذلك الحصان فوجده من عجائب الزمان فزاد انشراحه فيه وامر السايس ان يسوسه ويداريه ثم انشد يقول :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل	بيوم الشعر ما تغلى ببالي
ابا غادي رضيت الخيل تركب	تعالي واسمعي مني مقالي
جميع الخيل للحمر خوادم	شبيه الست تخدمها الموالي
واما الشقر ان طاروا فصدق	بنات الريح تسبق في المجالي
واما الخضرا مركوب الامارا	وسيبوهم لدهمات الليالي
واما الدهم زيدوهم عليقا	فتركبها الملوك وكل والي

قال الراوي فلما فرغ الزير من كلامه شكره قومه على حسن اهتمامه ثم استعد الفريقان للقتال وجرت بينهم عدة وقائع واهوال انتصر بها المهلهل وكسب اموالا كثيرة وقتل سادات شهيرة حتى ضعفت بنو بكر وذلت وبعد كثرتها قلت واضمحلت فبينما هم في حال الذل والانكسار واذا بغبار قد علا وثار قاصدا بلادهم وتلك الديار فشخصت اليه الابصار ساعة من النهار الى ان ارتفع وتمزق وبان من تحته الف فارس وكلهم بالسلاح والدرق لوابس وفي اولهم فارس بالحديد غاطس كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وعلى رأسه البيارق والرايات والسناجق فلما رآه جساس استبشر وايقن بالفرج بعد الشقاء والكدر ولما اقترب للعيان وتأملته الفرسان واذا به اسد الآجام الامير شيبون ابن الامير همام وكان المذكور قد خرج في جماعة من فرسان الصدام للغزو على بلاد الاروام وذلك من عهد وقوع الزير في البحر كما سبق الكلام فلما عرفوه وتحققوه خرجوا اليه واستقبلوه وفرحوا بقدومه الى الديار وكان ذلك اليوم عندهم اعظم نهار فذبحوا الذبائح واطعموا الغادي والرائح وكان افرح الخلق ابو همام وامه ضباع حيث لم يكن لهما غيره سوى الذي قتله الزير على بير السباع فلما نزل في صيوانه وبابطاله وفرسانه خلع عدته وغير ملابسه فدقت له النوبات وقامت الافراح والمسرات وعمل جساس وليمة عظيمة دعي اليها جميع الاكابر وامراء القبائل والعشائر وكان شيبون قد وجد السادات والاعيان في هموم واحزان فسأل عن ذلك الشأن فقال له جساس لا تسأل يا ابن اخي هما

اصابنا ودهانا من خالك الزير المهان فانه لم يكتف بقتل اخيك شيبان حتى جعلنا مثلا بين العربان على طول الزمان فافنى رجالنا واهلك ابطالنا وحرمنا هجوع الليل وهدمنا القوى والحيل وهو لا يقبل منا دية ولا مال ولا فدية وقد اعلمناك بالقضية واوقفناك على باطن الطوية فلما سمع شيبون هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام واحمرت عيناه وشتم خاله ووعدهم بالمساعدة والمعاضدة وان يكون معهم على قتال خاله يدا واحدة ثم نظم هذا القصيد وارسله لخاله على سبيل الملام والتهديد .

قال شيبون بن همام الامير ... حامي الزينات طعان العدا
مرعب الفرسان في يوم اللقا ... ساقيا للعدى كاسات الردا
ضرب سيفي يقطع الدرع المتين ... ثم يقدح للصخور الجسدا
كل من يبغي قتالي يرتدي ... ويرتمي فوق الصعيد مسددا
لم يبق لي مقارن في المجال ... حين يلقوني يولوا شردا
وانت يا خالي مهلهل يا همام ... شد عزمك للقتال الى غدا
لا تقل يا خالي ما علمتني ... يا قليل العقل لا تتمردا
ابرز الي في الصباح ولاقني ... ثم ابشر يا مهلهل بالردى

ثم ختم شيبون الكتاب وارسله الى خاله مع احد ابطاله فذهب واعطاه للزير فلما فتحه وقرأه وعرف فحوى معناه غاب عن دنياه وشق عليه وتأسف وصفق كفا على كف وقال انه معذور في هذه الامور لانه جاهل مغرور فاقتضى ان ينتصح قبل ان يقتل واجابه على ابياته يقول :

قال ابو ليلى المهلهل انني ... مفرج الكربات في يوم الزحام
يا فتى شيبون يا ابن اختي ضباعا ... تهددني في كتابك يا غلام
ثم تطلبني الى سوق المجال ... وانت قصير عن ضرب الحسام
احتفظ من ان تجهل يا امير ... الجهل يسقيك كاسات الحمام

اطرد الشيطان ابليس اللعين	وانتصح من قول خالك يا همام
لا تخالفني واسمع ما اقول	يقتلك جهلك وما تبلغ مرام
ارتجع عما انت فيه لا تزيد	ان كنت تبغي حربي والصدام
شد عزمك غدا تتلاقى سوى	من طلوع الفجر الى وقت الظلام

فلما انتهى الزير من شعر أرسل الكتاب الى ابن اخيه شيبون فلما فتحه وعرف ما احتوى عليه من المضمون مزقه ولم يكترث ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت طبول الحرب والكفاح وركب شيبون وجساس وكذلك الزير الفارس الدعاس والتقوا بابطالهم ورجالهم وكان شيبون قد برز الى ساحة الميدان وتبعته الابطال والفرسان والتقى بفرسان تغلب وفعل بهم العجب فما صدم فارسا الا عطبه وعن ظهر جواده قلبه ثم صاح وحمل بقلب اقوى من جبل وطلب مبارزة خاله المهلهل وكان الزير شاهد افعال ابن اخته وما فعل بابطاله ورفقته حمل عليه وقد احمرت آماق عينيه وقال له اذهب يا وجه العرب قبل ان تهلك وتعطب فقال الى اين اذهب يا خالي وانت بغيتي وآمالي فوالله لاقتلنك في هذا اليوم واطفي من بين القوم نارك لانك طغيت وتجبرت وافتريت فاغتاظ الزير من هذا الكلام والتهديد والتقاه بقلب شديد وجرى بينهم وقائع واهوال تشيب رؤوس الاطفال ولما طال المطال قال له الزيز امام الفرسان ارجع يا ابن اختي بأمان قبل ان يحل بك الهوان وتلحق باخيك شيبان فارجع الى اهلك وامك وأرسل لي أبطال قومك مع جساس عمك فلم يجبه شيبون بكلام بل كان يقاتله كسبع الآجام وكان الزير كلما حكم عليه الضرب في الحرب يتمنع عن اذاه شفقة عليه واكراما لخاطر والديه وما زال يقاتله ويداريه وينصحه بالرجوع عما هو فيه الى ان اقبل الظلام فعند ذلك توقف القتال ورجعت الفرسان عن ساحة الميدان ثم التقوا في اليوم الثاني وكان اول من برز الى

ساحة الميدان الامير شيبون فصاح وطلب مبارزة المهلهل فالتقاه الزير ونهاه عن قتاله فلم ينتصح بما قاله بل تقدم اليه وحمل عليه واشار يتهدده بقوله :

قال شيبون ابن همام الامير فارس الفرسان في يوم النكير
استمع يا زير قولي وافتهم لا بد من قتلك يا وغد حقير
ما بقا لك مخلص مني ولا من حسامي اليوم لو انك تطير
ثم آخذ ثأر اعمامي الجميع كم بطل صنديد صيرته حقير
ليس لك قلب على اختك يحن واولاد عمك ذاقوا منك النكير
كم قتلت منهم خلق كثير كم يتمت من طفل صغير
سوف ترى حربي يا مهلهل في لقا الابطال ما لي نظير
قد اخبروني يوم جئت بأنك يا قليل العقل تركب حمير
ما يقتني الحمار الا الحمار ما انا مثلك ولا عقلي صغير
هات سيفك ورمحك والثياب هات ابو حجلان كالطير يطير
حتى اقيلك من حسامي والقنا وتطلب الجيرة ومثلي من يجير
ان كنت لا تسمع فهذا حربنا ويكون النصر من ربي القدير

فلما سمع الزير هذا الكلام كان عليه اشد من ضرب الحسام اجابه بقوله :

صبر ابو ليلى المهلهل ثم قال انت يا شيبون ما عاد لك مجير
هرجت يا شيبون في قولك كثير الجحش لا يحمل كما يحمل بعير
لو سقيت الجحش من سكر وسمن ولو خلطت له الصنوبر بالشعير
لا عاش اصله ما ينفع منه الجميل اكيد هو مجنون من يقتني الحمير
وانت يا شيبون لو لم تكن حمار ما رجعت الى حربي اليوم تغير
فاني قد عفوت عنك البارحة لاجل امك وابوك نعم النصير
وانت تعلم انني سبع الرجال قتلت منكم اثني عشر الف امير

هذا غير التوابـع والغريـب ... تاه في هذا العـدد ناس كثير
كم نصيحة نصحتك لم تنتصح ... جاهل سوف تقع في وسط بير
لم يبق لي ذنب ان اباك مني ضرب ... بهدم الابدان ما عاد لك مجير
دونك الميـدان يا شيبون قـم ... شد عزمك لا يكن باعك قصير

فلم يلتفت شيبون الى كلامه ولا اكترث بالتوبيخ والملام بل حمل عليه حملة اسد الغاب واخذ معه في الطعن والضراب فالتقاه المهلهل بالعجل بقلب اقوى من الجبل واشتد بينهم القتال وعظمت الاهوال حتى تعبت من تحتهما الخيل وارتخى منهما العزم والحيل ومالا على بعضهما كل الميل هذا والزير يطاوله ويحاوله واستمرا يتقاتلان ثلاث ساعات من الزمان حتى استعـاذت من قتالهما مردة الجان واستعظمتـه الشجعـان وشخصت اليهما عيـون الفرسان وكان شيبون يود ان يقتل خاله ويعدمه الحياة ويفتخر بقتله على اهله واقرباه الى ان اغتنم الفرصة فهز الرمح وطعنه بين ثدييه فخلى المهلهل عنها فراحت خائبة بعد ان كانت صائبة فزاد الزير غضبا وتوقد قلبه والتهب وصمم ان يسقيه كاس العطب وجذب سيف حكسون وقال اليوم اريك يا مجنون كيف الضرب يكون لاني نصحتك فما انتصحت ولقد خسرت وما ربحت ثم تقدم اليه وهجم عليه وضربه على مفرق رأسه فشقه الى تكـة لباسه فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رآه المهلهل وهو قتيـل يتململ ندم على ما فعل فتحسر وهطلت من عينيه الدموع فلما قتل شيبون احمرت من بني مرة العيون وزادت عليهـم الحسرات وايقنـوا بالهـلاك والشتات ولكنهم اخفوا الكمد واظهروا الصبر والجلد وقاتلوا قتال الاسود وطلبوا الرايات والبنود والتقاهم الزير بالعساكر وضرب فيهم بـالسيوف البواتر واحاطهم احاطة الخواتم بالخناصر وقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنائم جسيمة فلما رأى جساس ضعف حاله وقتل فرسانه واجناده فـولى يطلب الهرب خوفا من العطب وتبعته فرسان العرب وقد أبصروا في ذلك

اليوم العجب من قتال بني تغلب فرجع عنهم الزير وهو حزنان على فقد ابن اخته شيبون فنزل في الصيوان مع الامراء والاعيان ولما جلس في الصيوان انشد هذه الابيات وهو من الحزن على آخر رمق :

الزير انشد شعرا من ضمايره	العز بالسيف ليس العز بالمـال
دع المقادير تجري في اعنتهـا	ولا تبيتن الا خالـي البـال
ما بين غمضة عين وانتباهتهـا	يغير اللـه من حال الى حـال
عم الذي انت مغمـور بنعمته	حال الذي انت من اضراره خالي
فكن مع الناس كالميزان معتدلا	ولا تقولن ذا عمي وذا خالـي
لا يقطع الرأس الا من يركبـه	ولا ترد المنايـا كثـرة المـال

فلما فرغ الزير مـن كلامه انطرح على فراشه من حزنه على ابن اخته ولما بلغ ابو همام وامه ضباع قتل شيبون احترق قلبهما عليه لانه كان ابنهما الوحيد بعد اخيه شيبان وكانت الفرسان قد اتت بجثته اليهما فبكيا بكـاء شديدا ومزقا الثياب وبعد ذلك دفنوه في التراب وفي اليوم الثاني ركـب الامير همام لقتال الزير وتبعه جساس وباقي الابطال والفرسان وبلغ المهلهل الخبر فركب في ابطاله وفرسانه ولما التقى الفريقان برز الامير همـام الى معركة الصدام وطلب مبارزة الزير وكان غير صفاته ووضع لثاما على وجهه حتى لا يعرفه احد فبرز اليه المهلهل وهو لا يعلم بانه الامير همام فاقتتـلا ساعة من الزمان وكان همام قد ضرب الزير بالحسام قاصدا ان يسقيه كاس الحمام فخلى الزير عنها فراحت خائبة ثم هجم عليه وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فسقط عن الجواد كانه طود من الاطواد فالتفت وقال للزير آه يا مهلهل لقد قتلت ابن اخيك نهار امس واليوم تقتل صهرك همام فلما سمع الزير هذا الكلام تنغص عيشه وزاد همه وكدره وقال له يا همام قال نعم قال اما عاهدتني انك لا تقاتلني ابدا واننا نكون اصحاب على طول

المدى فلماذا خاطرت بنفسك وطلبت قتالي وانت تعلم بانك لست من رجالي فقال لقد جرى القلم بما حكم فانقضت حياتي ودنت وفاتي وهـذا الامر مقدر بأمر رب البشر وما دام الامر كذلك يا فارس فكف اذاك ودواهيك واجعلني فدى اخيك فقال والله يعلم كم عز علي فقدك ولا يطيب لي عيش من بعدك لكنني لن اكف الحرب والصدام حتى لا يبقى من بني بكر شيخ ولا غلام ثم انه بعد هذا الكلام هجم على المواكب ففرقها وطعن في ابطالها فمزقها فتأخرت عنه الفرسان ورجعت الى الاوطان وهي في حالـة الـذل والهوان ولما بلغ ضباع قتل بعلها غابت عن الدنيا وقد عظم مصابها وسارت الى بني تغلب ودخلت على اخيها الزير وقلبها يلتهب وقالت له بكلام الغضب هكذا تفعل يا اخبث العرب تقتل اولادي وبعلي وتحرمني اهلي وتتركنـي حزينة طول الدهر اقاسي الذل والقهر هكذا تكون الاخوان الذين يدعون الفضل والاحسان فوحق الاله القادر الفاحص القلوب والضمائر • ان موتي الذ عندي من الحياة وافضل فانك نسيت الجميل والمعروف وقابلتني بالغدر والمتلوف بعد ان خلصتك من الحريق وكشفت عنك ذلك الضيق فلما سمع الزير منها ذلك الخطاب اظهر الحزن والاكتئاب وتلقاها بالاكرام والترحاب ثم اعتذر لها بالغلط واخذ يطيب خاطرها ويعزيها عما فرط وامرهـا ان تسكن عنده بخدمها وحواشيها فامتثلت كلامه واقامت في بيت اخيها ولمـا عظم الامر على جساس وبني بكـر وكثر فيها القتـل والسبي ارسلـوا يستنجدون اهل اليمامة فامدوهم برجل منهم يقال له الفند بن سهل وكان من جبابرة الزمان وفرسان الاوان لا يبالي بالاهوال ولا يخاف مـن كثرة الرجال وكان يلقي نفسه على المخاطر ويصيد الاسود الكواسر فسار الـى مساعدة القوم من ذلك اليوم وقد انتخب من الشجعان سبعين فارسا مثـل العقبان يقاربوه بالشجاعة والفروسية والهمة العلية وكانت اهله قد كتبـت اليهم تقول قد امددناكم بعشرة آلاف فارس من الفحول وبهم تنالون مـن

اعداءكم المأمول فلما قدموا الى تلك الاطلال ورآهم جساس وباقي الابطال فاعتراهم الانذهال لانهم لم يروا اكثر من سبعين تحت راية الفند الاسد العربند فقالوا اين جماعتكم فقال الفند انا بسبعة آلاف فارس واصحابي بثلاثة آلاف مداعس فتبسموا من هذا الكلام والتقوهم بالاكرام والاحترام وذبحوا لهم النوق والاغنام ونصبوا لهم المضارب والخيام ثم استعدوا الحرب وسمع بهم المهلهل فزحف من يومه بفرسان قومه فالتقاه بنو بكر في مكان يدعى عقبة الريحان فلما اقتربت العساكر قال الحارث بن عباد لجساس قائد القواد هل تطيعني ايها الامير فيما اقول واشير قال قل ما بدا لك فاني لا اخالف مقالك قال اعلم ان القوم مستخفين بقتالنا لضعفنا وقلة رجالنا فقاتلهم بالنساء والرجال فتبلغ القصد والآمال فقال جساس وقد اعتراه الانذهال ما معنى هذا المقال وكيف تقاتل النساء مع الرجال قال انك تحلق رؤوس الفرسان وتجمع البنات والنسوان اللواتي اتصفن بالشجاعة وقوة الجنان فتحملهن الماء بالقرب وتعطي كل واحدة مطرقة من خشب وتصفهن خلف الرجال وقت الحرب والقتال فان هذا مما يزيد الابطال نشاطا في ساحة المجال فاذا جرح منكم احد يسقينه الماء فاستصوب هذا الرأي واستحسنه وفي عاجل الحال جمع النساء والرجال وعرض عليهم هذا الحال فاجابوا امره بالامتثال ولم يبق يوم ذاك من بكر احدا الا حلق واستعد الا رجلا من الفرسان اسمه ربيعة بن مروان وكان قصيرا دميما وفارسا خطيرا فقال يا قوم انني دميم قصير واذا حلقت راسي اصير معيرة عند الصغير والكبير فادعوا لي ولامتي يا سادات العرب وانا ابلغكم الارب واقتل لكم فوارس من تغلب فاجابوه الى ما طلب .

قال الراوي ولما التقت العساكر وتضاربت السيوف والخناجر وانقلبت تغلب على بكر كليوث الآجام والهبوهم بضرب السيوف على الهام فارتدت

بنو بكر طالبة الانهزام فاشهر جساس وفي يده الحسام وصاح فيهم بصوت كالرعد في الغمام وقال ويلكم ارجعوا وقاتلوا بقوة وعزيمة فان الموت افضل من الهزيمة فاجتمعت بنو بكر بعد الانفلال الى الحرب والقتال وضموا كتيبة واحدة وطلبوا المكافحة والمجادلة وصاح الفند وابن سهل والقى نفسه بساحة القتال وهو ينخي ويصيح على الرجال ففرق المواكب واظهر بقتاله العجائب فلما رآه المهلهل برز اليه وطلب قتاله فالتقاه الفند بن سهل بقلب كالحديد وهجم عليه هجوم الصناديد وما زال في قتال شديد ما عليه من مزيد الى وقت الزوال فتفرقا عن الحرب والقتال وافترقت العساكر عن بعضها البعض ونزلت في جوانب الارض وكان ربيعة لم يحلق رأسه من بني بكر فقد قاتل قتالا شديدا حتى اثخن بالجراح من ضرب السيوف وطعن الرماح فوقع طريحا بين القتلى على وجه الفلا فمرت عليه نساء بني بكر فوجدته ذا لحية طويلة فضربته بالمطارق واوردته المهالك فضربت به الامثال وتحدثت به السنة الرجال ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركبت الفوارس ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وتقدموا الى ساحة الميدان للضرب والطعان وكان المهلهل في اول الجحفل كأنه قلة من القلل او قطعة فصلت من ذيل جبل فصاح وحمل على جيوش الاعداء كليث الآجام وضرب فيهم بالحسام وتبعه امرؤ القيس بن ابان واشتد بين الفريقين القتال وكثر القيل والقال وتقطعت الاوصال وجرى الدم وسال وكان يوما شديد الاهوال لم يسمع بمثله في الاجيال كثر فيه القتال والجراح وتمددت فيه الفرسان على وجه البطاح وارتجت الارض من صهيل الخيل وقعقعة السلاح وهول الكفاح وكان جساس قد حمل على مواكب المهلهل وقاتل حتى استقتل وفعلت فرسانه مثلما فعل وبذل جساس في ذلك اليوم غاية الجهد وهجم بقومه على الرايات والبنود هجوم كواسر الاسود واشتد

على المهلهل القتال واحاطت به الاعداء من اليمين والشمال وهو يقاتل ويمانع وينخي رجاله على الثبات ويدافع حتى جرح في ثلاثة مواضع فزاد عليه الحال وازدحمت حوله الرجال وتأخرت عن ساحة المجال خوفا من الهلاك والوبال وانكسرت بنو تغلب في ذلك النهار اشد انكسار وتفرقت في البراري والقفار واستظهرت بنو بكر غاية الاستظهار وقتلت من بنو تغلب جماعة من الامراء والاعيان والصناديد الفرسان ومن جملتهم ليث الميدان وزينة الشجعان امرؤ القيس بن ابان وكان من الاعيان وصيته محمود مشكور وهو غير الشاعر المشهور فبكي الزير عليه وكان يحبه ويميل اليه ورجع بنو بكر الى الديار بغاية الفرح والاستبشار على ذلك الانتصار .

اما المهلهل فقد زاد حنقه على بني بكر وبات تلك الليلة على مقالي الجمر وفي الصباح جمع الفرسان والابطال وتجهز للحرب والقتال فالتقته بنو بكر بقلوب كالجبال وجرت بينهم وقائع واهوال لم يسمع بمثلها في سالف الاجيال واستمر الحال على المنوال مدة عشرة ايام وكان المهلهل قد انتصر في اكثر الوقائع وقتل جماعة من فرسان المعامع ولما كثر القتل بين الفريقين اتفقوا على توقيف الحرب مدة شهرين فافترقت الفوارس عن بعضها ونزلت كل فرقة بأرضها قال الراوي ولما قتل كليب كما تقدم الكلام كانت الجليلة حاملة فلما طردها الزير الى بيت ابيها وسكنت عند جساس اخيها فولدت غلاما وسمته الهجرس ولقبوه بالجرو فكان مع اخواله بني مرة واولادهم وكان خالد يحسن اليه ويشفق عليه وكان الغلام قد حب خاله جساس دون باقي الناس فلا يدعوه الا اباه ونشأ الغلام ذا عقل وادب وهو محبوب من جميع العرب لفصاحته وبراعته وقوته وشجاعته فكان يركب ظهور الخيل ويتعلم عليها الفروسية في النهار والليل فبرع واشتهر وعلى فرسان القبيلة افتخر ولما بلغ عمره خمسة عشر عاما زاد شهرة وارتفع مقاما فرآه جساس في بعض الايام وهو كانه ليث الآجام والشرر طائر من عينيه ولا يقدر احد عليه فانذهل واندهش وخاف منه وارتعش وكان كثيرا ما

يتأمل في امره ويخاف من سطوته وشره لانه قتل اباه بالامس وتركه يتيما مدى الدهر واتفق ذات يوم ان الجرو ركب في جماعة من الشبان واخذوا يتعاطون الجريد في الميدان وكان من جملة الغلمان عجيب بن الامير جساس وكان شديد البأس فطعن عجيب الجرو طعنة فمال عنها فراحت خائبة ثم انه تقدم نحو عجيب وطعنه جريده اصابته فالقته عن ظهر الجواد الى الارض فنهض غاضبا وشتم الجرو واهانه بالكلام وقال اهكذا تفعل يا ابن اللئام بأبناء السادات الكرام واشار يهدده بهذا الشعر :

يقول عجيب من قلب موجع ... الا يا رفقتي حالي عجيب
ضربني الجرو منه جريدة ... فأرماني وصيرني كئيب
ولم يعلم بأني خير ماجد ... ولد جساس قرم مستهيب
ولولا عمتي لقطعت رأسه ... واطرحه على الغبرا قليب
فهذا ولد كليب الاعادي ... ولا ضد الكلاب الا القضيب
دعوه يروح عنا لا يماطل ... ويذهب مسرعا قبل المغيب

فلما فرغ عجيب من نظامه وفهم الجرو فحوى كلامه اجابه على شعره قائلا :

يقول الجرو اسمع يا ابن خالي ... كلامك ليس يسمعه أديب
تقول اليوم تقتلني بسيفك ... وتتركني على الغبرا قليب
اذا أبصرتني يوما فريدا ... فتقتلني بسيفك يا عجيب
فانزل عن جوادك يا ابن خالي ... وافعل ما تريده عن قريب
وافعل ما تريد اليوم فينا ... فاني لا اخافك يا عجيب

فلما فرغ الجرو من كلامه واذا بسلطان اخو جساس اقبل عليهما في ذلك الوقت فوجد الدم يسيل من ابن اخيه فلما فهم المسألة اغتاظ غيظا شديدا وشتم الجرو وقال لولا كرامة امك لقطعت رأسك واخمدت انفاسك فقال

يا اخي انا بين يديك فافعل ما تريد ثم هطلت عيناه بالدموع وتنهد من فؤاد موجوع وسار الى امه واعلمها بما جرى وطلب منها الرحيل من تلك الاوطان فتكدرت امه واجابته الى طلبه ثم صبرا الى الليل فتركا المضارب والخيام وسارت تحت جنح الظلام في جماعة العبيد والخدام وجدا في قطع البراري والآكام مسافة عشرة ايام واتفق في اليوم الحادي عشر انهما التقيا بشيخ في ذلك البر الاقفر وهو يقطع البر الفسيح على فرس تسبق الريح وبمعيته عشرة ابطال من صناديد الرجال وكان قد خرج لصيد الوحوش والغزلان وهو راجع الى الاوطان فتقدم الجرو وسلم عليه فرد عليه سلامه وقال له ايها الفتى الماجد من اين اتيت والى اين قاصد فقال الجرو طردوني اهلي وربيت يتيم وانا طالب انسان كريم حتى التجيء اليه واقيم عنده فقال الشيخ اذا كان الامر كما تقول فشرفني الى اطلالي فانا افديك بروحي ومالي واشار يقول :

يقول الامير منجد من قصيد	الا يا قاصدا نيل المآرب
شرف منزلي وامر عبيدك	يردون الاباعر والنجائب
بكم قد حلت البركة علينا	وزال الشر عنا والمتاعب
فمثلي ما تلاقوا اين سرتم	وعندي تبلغوا كل المطالب
انا منجد من نسل الاكارم	ابي وائل وما فينا معاتب
الوف الوف تخدمني وتخضع	لامري في المشارق والمغارب
وانت بقيت بعد اليوم ابني	ولست انا في قولي بكاذب

وكان هذا الشيخ اسمه منجد ابن الامير وائل وهو خال كليب والزير وقد كنا ذكرنا عنه في اول بانه من بعد قتل ربيعة ابو كليب استخدم مع اخوته الثلاثة عند التبع في بلاد الشام ولما قتل التبع ولى وهرب لانه كان يبغضه دون اهله وعشيرته فلما فرغ من شعره ونظامه وفهم الجرو فحوى كلامه فرح واستبشر ورجع الى عند امه على الاثر واعلمها بما جرى وكان

ثم انهم ساروا معهم الى الاوطان ونصبوا المضارب والخيام فاكرمهم منجد غاية الاكرام وانزلهم في اعز مقام وكان لمنجد عشرة اولاد ذكور كأنهم البدور فائتلفوا الجرو واحبوه وكانوا لا يفارقوه وعرفت امه الجليلة الامير منجد حق المعرفة ولكنها كتمت الامر عن زيد وعمر خوفا من العواقب وحلول النوائب فاجتمعت بابنها الجرو وقالت له اذا سألك احد عن اسمك فقل اسمي الهجرس ولا تقل الجرو فقال ان الاسمين بمعنى واحد فما هو مرادك بذلك فقال ان الهجرس كلب الصيد فانه اصلح من الجرو ابن الكلب وانت امير وابوك كان من الفرسان المشاهير ومن ذلك اليوم سمي الهجرس وغلب عليه هذا اللقب بين العرب وكانت امه في قلق عظيم فاجتمعت ذات يوم بشيخ عبيده وكان اسمه صبيح واشارت اليه بهذا النظام :

تقول الجليلة بدمع سجام	ايا صبيح اسمع لي الكلام
فهذا الشيخ الذي تراه	مكيد الاعادي بضرب الحسام
سمي منجد صميدع عنيد	ولد وائل وافي الذمام
فهو امير ابن امير وحوله	عساكر كثيرة كغيض الغمام
فهذا خال كليب الامير	مع سالم الزير قرم همام
فهو خالهم قدر عرفته سريع	بطل همام في يوم الزحام
وهو خال زوجي ولكن عدو	كيف العمل الآن صرنا نضام
واصل العداوة كليب الامير	قتل اخوته في دمشق الشام
قتل التبع وأخذ ثأر أبوه	أهلك اخوة منجد ونال المرام
ونحن الآن نزلنا عليه	عرفته وقد اعتراني سقام
اني اخاف على ابني حقيق	يهبنه ويدعى دمه سجام
عدوك اياك تركن اليه	ولو انه سقاك المدام

فلما فرغت الجليلة من شعرها ونظامها وفهم صبيح كلامها قال لها اين نتوجه الان وقد صار لنا مدة من الزمان ومن الصواب ان نكتم امرنا عن

كل انسان ليفرجها علينا الرحمن واستمروا مدة طويلة وهم في ارغد عيش واحسن حال وفي بعض الايام اغار على الامير منجد بعض ملوك العربان في ثمانين الف عنان فالتقاه منجد في عسكر جرار وظل معه في صدام وخصام شهور وايام حتى انكسر الامير منجد عدة مرات وآل امره الى الدمار فلما شاهد الجرو ما حل بمنجد من الاهوال اخذته الحمية فبرز الى ساحة المجال فبارز الابطال وقاتل الشجعان واظهر الغرائب والعجائب ففرق بحملته الصفوف ومزق الكتائب وكسر ذلك العسكر وفعل فعالا تبقى وتذكر ما دامت الشمس والقمر وعند رجوعه من معركة القتال بالنصر والاقبال شكره منجد على تلك الفعال وقال له مثلك تكون الرجال لقد حميت الحريم وطردت الغريم وخلدت لك ذكرا جميلا على طول السنين وعند وصولهما الى سراية الاحكام وجلوسهما في الديوان قال له منجد بحضور السادات والاعيان مثلك تكون الفرسان فأعلمني عن حسبك ونسبك وعن قومك فاجابه الجرو بهذا القصيد :

ايا فخر الاماجد في الرجال	فاسمع يا ملك فحوى مقالي
انا اسمي اليتيم ابا مسمى	ولا اعرف ابي ولا خوالي
واني قد سألت امي مرارا	فتسكت ولا ترد لي سؤالي
تقول ابوك شاليش بن مرة	قتله الزير في يوم النزال
فاطلب من اله العرش ربي	لاخذ الثأر منه بالقتال

فلما فرغ الهجرس من كلامه زاد منجد في احترامه ونهض على الاقدام واعتنقه امام السادات الكرام وقال له انت من بني مرة اصحاب الشجاعة والقدرة فعربك من عربي وتبعك من تبعي وما ضاع نظري فيك فاطلب من الله ان يحفظك ويبقيك وينصرك على جميع حسادك واعاديك من ذلك الوقت زاد في اكرامه ورفق على جميع اقوامه واقامه ملكا على تلك الديار وصار له مزيد الوقار والاعتبار عند الكبار والصغار وكان لمنجد بنت بديعة

الجمـال متصفة بالادب والكمـال وكانت على رأي صائب لا يوجـد مثلها في الاعاجم والاعارب اسمها بدر باسم فزوجه اباها وتمتع الجـرو بحسنها واقام في ارغد عيش واحسن حال وهو يحكم على تلك الاطلال وقد احبه جميع الرجال اما جساس فانه بعد رحيل اخته من الديار زادت بـه الاكدار وكان كثيرا ما يتذكرها في الليل والنهار فاتفق في بعض الايام بينما هو جالس في الخيام دخل عليه شاعر فسلم عليه واخذ يمدحه بهذا القصيد:

قال جـابر في بيـوت صـادق ... انـت يا جساس رب المكرمـات
سمعـت بصيتك انا يا ذا الامير ... في الكرم والجود يا فخر الذوات
انـت ملـك البـلاد جميعهـا ... حاكما بالارض من كل الجهـات
قاتـل الضـد في يـوم الوغـى ... مكرم للضيف سنـة المحـلات
انـت يا جساس ملـك البـلاد ... مع اخوتك وشقايقك السيـدات
لولاكم ما كنت جئت لارضكـم ... ما كنت فارقت العيال مع البنات
وتركت اختي يا ملك واولادهـا ... وزوج اختي يا ملك ذا العام مات
اولاد اختي يا ملك سبعة ذكـور ... عنـد اولادي وأهلـي تبـات
حور هذا الدهر في الدنيا عجيب ... كـم له في كـل يـوم تقلبـات

فلما فرغ جابر من نظامه وفهم جساس فحوى كلامه امر له بالف دينار واعتبره غاية الاعتبار والتفت الى اخيه سلطان وقـال له امـام السادات والاعيان اسمعت كلامهذا الشاعر الذي يدور بينالقبائلوالعشائر ويمدح السادات والاكابر كيف ذكر اخته في شعره ولم ينسها طول دهره ونحـن سلاطين الزمان وملوك العصر والاوان تترك اختنا تغضب منا وتبعد عنا ولا نعلم اين ذهبت ولا اي قبيلة طلبت فماذا تقول عنا دول المماليك اذا سمعت ذلك قالوا يجب ان نقتفي اخبارها ونعيدها الينا معززة ثم بكى امام جلسائه وبكوا اخوته لبكائه وندم سلطان على ما فعل واستعظم ذلك العمل ثـم التفت جساس الى ذلك الشاعر وقال له انت تطوف حلل العرب وتمـدح

الملوك واصحاب الرتب فاريد ان تستقصي اخبار الجرو وامه الجليلة وتعلمني الى اي حلة قصدوا وبأي قبيلة اتصلوا فاذا اتيتني بالخبر بلغتك القصد والوطر فاجاب الشاعر امره وامتثل ثم سار على عجل يطوف القبائل والحلل ويستقصي عن حقيقة امرهما الصغار والكبار حتى سمع بخبرها ووقف على حقيقة امرهما فقصدهما الى ذلك المكان واجتمع بهما في الصيوان وحدثهما بما سمع في حقهما من جساس وسلطان ثم اشار يمدح الجرو بهذا القصيد:

يقـول جبر من قلب حزيـن	فدمعي سال من وسط الآماق
ادور على القبـائل والعشائر	لاحظي بالمكاسب والنيـاق
اصغـي يا امير الى كلامـي	فأنت أرجل فرسان السبـاق
فصيتك شاع في كل القبـائل	فمن يمن الى أرض العـراق
ومالك في البرايـا من شبيـه	ونجمك فوق رأس المجد راق
سألت الله ان يحفظ جنابـك	على طول المدى والدهر بـاق
ورحنا من حمـاه لعند خالك	ملك جساس سلطان الآفـاق
فأهدانـا وقد أنعـم علينـا	وقلبه من بعـادك باحتـراق
وسألنـي لاكشف اين انتـم	ليجمع شملكم بعد الفـراق

وكانت الجليلة تسمع هذا الشعر وهي خلف الحجاب والستر فما هان عليها ان تسمع بذكر اخوتها لانهم كانوا سببا لغربتها فامرت كبير العبيد ان يوقف الشاعر عن اتمام القصيدة وان يكتم خبرها عن الجميع ثم امرت له بألف دينار واعطاه الجرو مثل ذلك ففرح الشاعر واستبشر ورجع على الاثر واعلم جساس بذلك الخبر فارسل في الحال اخوه سلطان في جماعة من الابطال ليأتوه باخته الجليلة وابنها الجرو من تلك الاطلال فلما اقترب سلطان من تلك الاطلال ارسل بعض الفرسان ليعلم منجد بقدومه فخرج في جماعة من فرسانه فالتقاه احسن ملتقى لانهم كانوا اقارب واصدقاء ونزله في سراية الاحكام وذبح له النوق والاغنام واكرمه غاية الاكرام وفي ثاني

الايام اجتمع سلطان باخته الجليلة وولدها الجرو واعتذر لهما عما فرط منه وطلب اليهما الرجوع الى الديار وشدد عليهما في ذلك غاية التشديد فاجابه الى ما طلب واعلم الجرو الامير منجد بانه يريد الرجوع الى اهله وعشيرته مع امه وزوجته ومن يلوذ من جماعته لان نفسه اشتاقت الى الوطن فقال منجد والله يا امير يعز علينا فراقك ولا زالت ارواحنا في كل وقت تشتاقك ولكننا لا نقدر ان نمنعك عن اهلك واصحابك وبني عمك واحبابك ثم اعطاهماية ناقة محملة من نفائس الاقمشة والذخائر ومائة جواد وغير ذلك من المعان والجواهر وماية عبد وماية جارية واركب ابنته في هودج كبير وسار لوداعهم مسافة نصف يوم ثم رجع الى الديار وسار الهجرس مع امه وزوجته يقطعون القفار حتى وصلوا الى منازل بني مرة فالتقاهم جساس بالفرح والمسرة وامر بذبح الذبائح واطعام الغادي والرائح واشار يقول :

لما قال الفتى جساس صادق	ايا مرحبا بك يا ابن اختي
ففيكم قد حلت البركة علينا	وضاء الحي في قربك الينا
وامك يا فتى عيني وروحي	وعمرك يا جليلة ما فرحت
فابنك قد عدا كالسبع كاسر	فان نحرو للاعداء كاسر
بيوم الحرب والاهوال جاسر	اله العرش أرجعه لبختي
فلا تعتب على سلطان خالك	ولا قوله ليخطر قط ببالك
فلا ابني ونحن مثالك	أناسا حكمك في ملك خالك
أنا أبكي على المرحوم بيّك	قتله الزير في ربعك وحيك
فقم اركب يا ابن اختي	واشخت للمهلهل اي شختي
سألت الله ان نأخذ بثارك	وتقتله بسيفك او سنانك
مرادي منك ان تكشف لعارك	وتحرقه يا جريري بنارك

فلما فرغ جساس من شعره ونظامه تبسم الجرو من كلامه وقال له كن

مطمئن الخاطر يا خالي هذا ما كان من الجرو وجساس واما الزير الفارس الدعاس فانه بينما كان راقد ذات ليلة اذ رأى في منامه ولذيذ احلامه اخاه الامير كليب وهو يعاتبه بهذه الابيات على اخذ الثأر وكشف العار :

تنام الليــل كلـــه يا مهلهــل ... وثاري ما قـــدرت على وفـــاه
وعظمي ذاب حتى صار كحلا ... وجساس بن مـــرة بالحيـــاه

فأجابه الزير بقوله :

امير كليـــب ما قصرت يومـــا ... أخذ الثار من قـــوم البغـــاة
فقم اسأل بناتـــك يا حبيبـــي ... على طعنـــي وضربي بالعـــداة

وبنات كليب شاهدن اباهن في نفس الوقت فاستيقظن وايقظن عمهن قائلات :

يقولون اليتامـــى يا مهلهـــل ... أتانا كليب يستنجـــد أخـــاه
كليب قـــام من وسط المقـــابر ... وصار كليب في وسط الحيـــاة

فاستطرد فرأى البنات حواليه فأخبرنه بالامر فقال وانا ايضا رأيت أباكن في المنـــام وأكد بما سمعه ورآه فبكين بكاء شديدا فقـــال الزير المنام يدل على أمر عجيب سوف يقـــع عن قريب فطلب رمّالا وقص عليه ذلـــك المنـــام فضرب الرمـــل ولـــد البنـــات مـــن الامهـــات حتـــى عرف حقيقة الخبر فقال له لك البشرى يا فائق الصدام فان جساسا سوف يقتل بعد ايام من فارس يظهر من لحمك ودمك واشار قائلا :

يقول بشير اسمـــع يا مهلهـــل ... ايا سالـــم فابشر زال همـــك
اتاك النصر من رب البرايـــا ... اله العـــرش بالخيرات عمـــك
وقد ظهرت رسوم الرمل عندي ... سيظهر شخص من لحمك ودمك

فيقتل في الوغى جساس حالا وانت تزوجه ويزول همك
وتهلك بعده اولاد مرة وتسقيهم جميعا كاس سمك

فلما سمع المهلهل هذا الشعر فرح واستبشر وقال ان تم هذا الكلام ابشر مني ببلوغ المرام ثم احسن اليه ووعده بكل جميل ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركب المهلهل الى الحرب والكفاح وتبعته الابطال والفرسان وركب ايضا الامير جساس بالرجال والفرسان واقتتلوا طول ذلك النهار وقتل المهلهل منهم عددا كبيرا وما زالوا في قتال الى ان دقت طبول الانفصال فافترقت الطوائف عن بعضها ونزلت كل فرقة بارضها واما الهجرس فانه لم يركب مع جساس في ذلك اليوم فاجتمع جساس باخته الجليلة في المساء وقال لها ان ابنك لم يقاتل معنا ولا اعلم السبب فاسأليه واعلميني بما يجيب فسألته عن عدم خروجه الى الحرب فاجابها ، قال الجرو اعلمي يا اماه انه لا يلقاني سوى حصان خالي جساس الاخرج فان وهبني اياه فانا اعطيه عوضه راس المهلهل فان قبل بهذا الطلب بلغته غاية الارب فرجعت الجليلة على الاثر واعلمت اخاها جساس بهذا الخبر فوهبه الحصان وقال له ان انت قتلت لنا هذا الشيطان تكون علينا ملك ونحن لك غلمان واعوان ففرح الجرو بهذا الجواد وضمن لجساس قتل الزير امام الفرسان والقواد ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب الجرو الحصان المذكور وتبعه كل فارس مشهور وركب الزير وطلب مبارزة الفرسان وقال ابن جساس الذليل المهان فليبرز الى الميدان وقبل ان يتم كلامه برز الجرو اليه واشار يقول :

يقول هجرس يا مهلهل ان عزرائيل أقبل
ابن تغدوا اليوم مني سوف تلقاني وتقتل
لا تحسبني بظنك اني كمن قد جاك اول

فلما فرغ الجرو من شعره حمل عليه وكان المهلهل قد مال قلبه اليه

وتحركت جميع اعضائه باذن الله نحوه اما الهجرس فقصد قتله واعدامه ليوفي لجساس ضمانه وكان الزير يبطل مضاربه بحسن اختباره وما كان قلبه يطاوعه على قتله ودماره وما زالا على هذه الحالة وهما في عراك وقتال الى ان دقت طبول الانفصال وعاد العسكران من ساحة الميدان ورجع المهلهل الى الابيات واجتمع ببنات كليب واعلمهن بحديث الغلام وما جرى بينهما في معركة الصدام وكيف انه اشبه الناس باخيه كليب في الصورة والحرب ثم قال لليمامة اعلميني هل كانت أمك الجليلة حاملة لما ذهبت الى بيت ابيها فقالت نعم يا عمي لها نحو شهرين ولكن ما هو معنى هذا السؤال فأجابها قائل :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل	مريع الخيل ان قصدت الينا
يمامة اسمعي مني كلامي	ايا ست الملاح المحسنينا
برزت اليوم للميدان حتى	اقاتل آل مرة اجمعينا
فبارزني فتى منهم غريب	لم عزم كما الصخر المتينا
كمثل اباكم وجها وحربا	فذكرني ليالي الماضيينا
انا قاتلته والله يلطف	وهو يطعن طعان القاتلينا
فحملاته وطعناته قوية	تقد الصخر والزرد المتينا

فلما انتهى الزير من شعره اجابته اليمامة بقولها :

الا يا عم اسمع ما اقولك	لتفهم سالم الخبر اليقينا
فأمي حاملة من يوم راحت	وحق الله رب العالمينا
ولا ادري وحقك ايش جابت	ابنت ام غلام يا فعلينا
ثلاث اشارات لي في كليب	اشارات بعقلي راسخينا
ركب يوما بقرب آل مرة	وقال ايا يمامة فانظرينا
من التفاح اعطاني ثلاثة	وقال بذي الثلاثة اضربينا
فانك سوف تحتاجي اليهم	اذا ظهرت لنا حقا بنونا

ضربته بواحدة يا عـم راحت … بضرب ركابـه مثل الطحينا
وثاني واحدة راحـت برمحه … وثالثهـا خطفهـا باليمينـا
غـدا انـزل واضربـه ثلاثة … كفعل ابي ايا عمي الحنونـا
يكون اخي اذا سوى نظـيره … وان خالف يكون غريب عنـا
عسى اللـه يدركنـا بلطفـه … وينصرنـا الـه العـالمينـا

فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وعمها يسمع فحوى كلامها قال لها متى فعل ابوك ذلك قالت قبل موته بشهرين عندما كنت على بير السباع وقد صممت الآن ان ارافقك الى الميدان واضربه بالتفاح في ساحة الكفـاح فان فعل كما فعل ابي يكون لا شك اخي وبه ابلغ اربي وفي ثانـي الايـام ركب الزير للحرب والصدام وركبت معه اليمامة وقد اخذت معها ثـلاث تفاحات وكان الجرو ايضا قد ركب بالابطال فصال وجال وطلـب الزيـر للحرب والصدام فبرزت اليه اليمامة بالعجل وقالت انا اقاتلك اليـوم دون المهلهل فاستعظم الجرو ذلك ولم يعلم السبب ثم ان اليمامة اخذت التفاحة ولوحتها بيدها وضربته بها فاخذها برجله مع الركاب فطحنها طحنا ثـم انها الخلق امنع الباطل واكشف الحق فأخذهـا بيده ووضعها في جيبه فلما الخلق امنع الباطل واكشف الحق فاخذها بيده ووضعهـا في جيبه فلمـا شاهدت تلك الحال ايقنت انه اخـوها لا محال فنزلت عـن ظهر الجواد وتقدمت اليه والقت نفسها عليه وقالت اهلا وسهلا يا اخي يا ابن امي وابي قلت والله ابن الامير كليب دون شك ولا ريب وقد ربيت في دار العدا والحمد لله الذي عرفناك بعد طول المدى فقال لها انا ابن شاليش ايتهـا السيدة الحرة وامي الجليلة بنات الامير مرة فقالت انت ابن الامير كليب ثم انشدت قائلة :

قالت يمامة قولا من ضمايرها … دمع العيون على الخدين هتان
اسمعاخي قصتي وافهم معانيها … يا قاهر الخصم فيوسط ميدان

ابوك خانه جساس ايا سندي بطعنة يا عظيم القدر والشان
شاليش خالك كل الناس تعرفه أهل الاعارب من قاص ومن دان
وعمك الزين فخر الناس كلهم وفارس الخيل من عجم وعربان
فاسأل لامك ثم السر فاكتمه وارجع الينا فانت اليوم بأمان

فلما فرغت اليمامة من شعرها تأكدت عنده هذه القضية لان قلبه كان لا يميل الى جساس او الى احد من بني مرة وقد مال قلبه الى اليمامة فقال لها مرا لقد صدقت فاذهبي الآن وفي الصباح اتبعكم الى الاوطان ثم توقف عن القتال ورجع الى عند امه واخبرها بما جرى وطلب ان تعلمه من هو ابوه من الفرسان وحلف لها بالاله الديان انها ان كتمت عنه حقيقة الخبر قتلها وجعلها عبرة لمن اعتبر فلما علمت بان الخبر وصل اليه وما خفي عليه اعلمته بالقصة من اولها الى آخرها واوقفته على ظاهرها وباطنها واشارت تقول :

الجليلة قالت ابيات نار قلبي بالحشا زادت لظا
استمع يا ولدي فيما اقول يا ضيا عيني ويا كل المنا
انت روحي افتهم مني الكلام قول صادق ليس فيه من خنا
ابوك كليب صور المحصنات قاهر الابطال في يوم الوغى
واخوته خمسون اعمامك جميع كلهم فرسان طغاته قنا
اربعة من الست يا ابني حقيقي كل واحد سبع ربي بالفلا
منهم ابوك المسمى كليب والفتى الزير المهلهل يا منى
والفتى عدي مع دريعان هذه الاربعة اتوا منها سوى
ثم ست واربعين خلافهم من الجواري والسراري والاما
كلهم يا امير اعمامك لهم كل واحد الف يطعن في الوغى
وابوك كليب ساد على الجميع بالفروسية مع جود وسخا
جاء جساس خالك غدر فيه وتركني بعده مثل الاما

ومرّدني عمك الزير بعده ... فرحت الى اهلي دون الملا
قد كنت حامل فيك بعد أبيك ... فولدتك في تلك الحمى
رحت سميتك على اسم الكلاب ... صرت كأنك سبع ربي بالفلا
وانا والله من خوفي عليك ... قلت اخي شاليش انه لك ابا
وانا اعلمتك افعل ما تريد ... ما بقيت اخاف يا فخر الملا

فلما فرغت الجليلة من هذا الشعر بكى الجرو بكاء شديدا ولام امه على كتمان الامر ثم انه صبر الى الليل فركب وسار بالعجل الى عمه المهلهل وصحبته العبد ابو شهوان الذي ارسله اليه الزير فارس الفرسان وفي اثناء الطريق اراه العبد قصر ابيه وقبره المصلح بالذهب ، وعند وصوله الى عند عمه دخل عليه وقبل يديه وبين عينيه واجتمعت جميع شقايقه ومن يلوذ به من اهله واقاربه فوقعوا عليه وترحبوا به وكان الزير افرح الخلق به ولما استقر به الجلوس وطابت من القوم النفوس قال الجرو والحمد لله رب العالمين رب الكائنات الذي جمع شملنا بعد الشتات فوالله العظيم رب موسى وابراهيم لا بد لي من قتل جساس واجعله مثلا بين الناس لانه فجعني بأبي الذي كان تاجي وفخري وتركني يتيما طول دهري فقال له المهلهل لا بد من قتله على رؤوس الاشهاد وانت تكون الحاكم بعد ابيك على هذه البلاد ثم انشد قائلا :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل ... صفا عيشي ووقتي ما تعكر
أتاني السعد من رب البرايا ... وزال النحس لما السعد بكر
فقبل ظهوره كنا حزانا ... نقضي الليل في قلق ونسهر
على فقد الفتى الماجد كليبا ... غدر به جساس بالرمح تكبر
وفي دمه كتب بالبلاطة ... وصايا عشر أبيات واكثر
يوصيني بقوله لا تصالح ... فسالم انت ان صالحت تخسر
واطرد للجليلة من حمانا ... عدوه كعبها ما كان اخضر

طردناها وهي بالجرو حامل — ومن يقدر على رد المقدر
انا فيهم فتكت بحد سيفي — ونلت القصد منهم بالمشهر
واني ما بكيت على كليب — اخذت بثاره بالسيف مجهر
فأبكي حيث ما خلف دكورا — بنات انكل ما له طفل يذكر
ولما خالقي انعم علينا — وجانا الجرو كالسبع الغضنفر
وبعد يا بني اسمع كلامي — وزال النحس عنا ثم أدبر
صفا عيشي وقد نلت المقاصد — انا عمك وانت الليث قسور
فقم اجلس على كرسي ابوك — وفي احوال اخوتك تبصر

فلما فرغ الزير من هذا الشعر والنظام قال الجرو اطال بقاك ونصرك على جميع حسادك واعداك وبلغك قصدك ومناك انني والله يا عم في قلق وغم فلا تزول احزاني حتى آخذ بثأر ابي واقطع رأس جساس واجعله مثلا بين الناس فشكره جميع اهله واعمامه وبعد ذلك سأله الزير ما هو الرأي عندك يا ابن اخي فاجابه الجرو الرأي عندي اني اغير عليكم نهار غد وآخذ نوقكم وجمالكم واخبره بأني اتيت اليوم باموالهم ومواشيهم وغدا اجيء اليك برأس الزير ثم ابرز لاحاربك وتكون انت واضع قربة من الدم تحت جانبك الايمن فاطعنك بالرمح فخذه تحت ابطك والقي نفسك على الارض فتنشق القربة ويهرق الدم وانا اصيح على جساس واقول له قد قتلت عدوك يا خالي تقدم اليه واقطع رأسه فقد ذهب الكدر وبلغنا اليوم الوطر وعندما يأتي اليك فتقوم اليه بالعجل وتعدمه الحياة وهو لا يعلم بقدومي عليكم وبهذه الوسيلة تتم الحيلة وتتخلص من هذه الورطة الوبيلة فاستصوب الزير رأيه ثم ودعهم وسار وحده الى ديار بني مرة وعند الصباح ركب الجرو في جماعة من الفرسان وساق مواشي بني قيس من الرعيان باتفاق الامير المهلهل ليث الميدان ففرح الامير جساس وسادات بني مرة وشكروا الجرو على هذه الغنيمة والنصرة ورأى جساس في تلك الليلة حلما غريبا ابصر انه ربى ذئبا كان يوده ويحبه فلما انتهى وترعرع تصاحب

مع سبع كاسر فالفه الى ان كان في بعض الايام اغار السبع على مواشي بني مرة وهجم على نسائهم واولادهم وجعل يفترس كبارهم وصغارهم وكان الذئب يساعده عليهم فاغتاظ جساس من افعال الاسد فسل السيف وهجم عليه يريد قتله واعدامه فوثب عليه الذئب من ورائه ونهشه فالقاه صريعا على الارض ففاق جساس مرعوبا من هذا الحلم ونهض في الحال وسار الى الديوان وجمع اخوته وباقي السادات والاعيان واعلمهم بذلك المنام فقالوا له هذه اضغاث احلام وما زالوا يهونون عليه حتى راق وزال عنه القلق والكدر ولما اصبح الصباح ركب الزير يطلب الحرب والكفاح وركب الامير جساس وهو قلق وبرأسه وسواس وكان الجرو قد وعد بهلاك القوم وقتل المهلهل وفي ذلك اليوم التقى الفريقان وبرز الجرو الى ساحة الميدان فبرز اليه الزير فالتقاه الجرو وطعنه بالرمح طعنة كاذبة فسحبها الزير من تحت ابطه فراحت خائبة والقى نفسه على الارض من ظهر الحصان خديعة على عيون الفرسان ليظهر لهم انه قد مات وحلت به الآفات فعند ذلك صاح الجرو الله اكبر على من طغى وتجبر فقد نلنا المراد بقتل الزير الذي اهلك العباد ثم انه صاح على جساس انزل يا خالي واقطع راس عدوك فقد قتلته وكفيتك شره فلما رأى جساس الزير يتخبط بدمه فتقدم ونزل عن القميرة وهو يظن انه قد بلغ غاية مراده ولما اقترب منه نهض الزير على قدميه وقبضه من لحيته وهجم الجرو ايضا عليه ووضع الرمح بين كتفيه فعند ذلك علم جساس بانها حيلة قد تمت عليه وتاكد عنده صحة المنام فأخذ يخاطب الجرو بهذا الشعر والنظام :

قال جساس الذي شاهد وفاه ... يا سياج البيض في طعن القنا
اني بك يا ابن اختي مستجير ... فأجرني يا ابن اختي من الفنا

فاجابه الجرو بهذه الابيات :

ايا خالي اقصر عن كلامك ... دنى أجلك وقد وافى حمامك

تقول اجونـي يا ابن اختـي	الا يا جـرو اعطينـا زمامك
قتلت كليـب عدوانـا وظلما	أتظـن بأنني اسمـع كلامك
وبعد كليب اصبحت حاكـم	تسامـى في الملا ايضا غلامك
طغيت وجرت في حكمك علينا	فاذني لم تعد تسمـع كلامك
تريد اليـوم منا ان نجيرك	فهـذا ما تشوفـه في منامك

فلما فرغ الجرو من كلامه توسل جساس اليه ان يعفو عنه وقال باللـه فاتركني لوجه الواحد القيوم فقال الجرو لا بد من قتلك كما قتلت ابـي حتى اكون قد بلغت اربي فقال لهما الزير اراكما قد اطلتما الكلام والعتاب فعند ذلك طعنه الجرو بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فتقدم الزيـر فقطع رأسه ثم وضع الزير فمه على عنق جساس وشرب دمه وكـان الجرو ينهش في لحمه حتى بلـغ مراده وشفي فؤاده وسلموا رأس جساس الى بعض العبيد ليعطوه الى اخوته وهجم مع قومه في باقي الابطال على بني مرة في الحال وأذاقوهم الوبال وبلغوا منهم الآمال ولما علم بنو مرة بقتـل جساس ايقنوا بالموت لانه كان القائد الاكبر وعليه الاعتماد في الحـرب والطراد فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقتل المهلهل منهم في ذلك النهار خلقا كثيرا منهم الامراء والقواد والسادات والامجاد واما الذين سلمـوا منهم فانهم طلبوا الامان من الزير والجرو فاجاروهم وعفوا عنهم بشرط ان يكونوا مثل العبيد لا ينقلون سلاحا ولا يحضرون حربا ولا كفاحـا ولا يوقدون نارا لا ليلا ولا نهارا ولا يعرف لهمقبر ميت ولا دار الا مشتتينفي البراري والقفار يقضون حياتهم بضرب الطبل ونفخ المزمار وان غـابت نساءهم بالنهار لا يسألها بعلها اين كانت بل يسألها عما جابت وليس لهـم صفة غير الرقص والخلاعة فقبلوا بهذه الشروط بكل رضا وقناعة وبعـد هذه الشروط تسلطن الجرو على كل القبائل نظير ابيه وطاعته وفرحت بنات كليب وزال عنهم الغم والترح وخلعن عنهن سود الثياب وكان ذلك النهار

عندهم اعظم من الاعيان وكان الجرو قد تزوج بثلاث بنات وولد له ولدان فسمى الواحد تغلب والثاني مالك ولما بلغا سن الرجولة زوجهما بابنتين شقيقتين وهما بنات الامير هلال حاكم حماة وزوج اخته اليمامة للامير مفلح ابن الامير المذكور وهكذا اتصل الحسب والنسب وخمدت نيران الحرب بين قبائل العرب وكان افرح الناس الامير مهلهل وكان الجرو قد عرض عليه الزواج فامتنع وكان منعكفا على الجلوس في الخيام واكل الطعام وشرب المدام واقام له الجرو عشرين عبدا برسم الخدمة وكان يرقد وينام وهو لابس آلة الحرب والصدام لانه كان قد اعتاد عليها مدة الحروب التي امتدت نحو اربعين عاما وكسور كما هو التاريخ المذكور هذا ما كان من امر المهلهل في تلك الايام وسوف يقع له حديث وكلام واما الجرو فانه كان قد زوج اربعة من شقايقه الى جماعة من الامراء وصنع لهن ولائم وافراح مدة طويلة واما ولداه مالك وتغلب فانهما بقيا مدة خمسة عشر سنة ولم ينجبا اولاد من بنات الامير هلال المذكور وبعد نهاية المدة طلبت نساؤهما زيارة اهلهما في حماة فطلب ازواجهما من ابيهما الجرو ان يأذن لهما بذلك فأمر لهما فسافروا مع نسائهم الى تلك الاطراف ولما علم الامير بقدوم اصهاره بنسائهم خرج لملتقاهم مع ولده الامير مفلح وخرجت معهما اليمامة زوجة الامير مفلح وخرج ايضا اكابر المدينة فالتقوهم بالترحاب والاكرام وانزلوهم في احسن مكان واقاموا في تلك الاوطان مدة من الزمان وهم في سرور وانشراح ولما صمم الامير مالك وتغلب على الرجوع الى الاطلال مات الامير مفلح مع ابيه الامير هلال فاقاما يحكمان في تلك الديار وانقادت لامرهما اهل تلك البلاد وكانا محبوبين من جميع العباد وكانت اليمامة بعد وفاة بعلها ذهبت الى عند اهلها فاتفق ذات يوم ان الامير مالك قال لاخيه تغلب اعلم يا اخي انه قد مضى علينا مدة من الزمان ولم نرزق بولد ذكر يبقى لنا ذكرا فدعنا تتزوج الان على نساءنا فلعل الله يرزقنا بأولاد والا انقطع نسلنا من بين العباد فاجابه تغلب من الصواب ان نصلي

لله في هذه الليلة ونتضرع اليه ان يرزقنا اولادا من نسائنا لانه على كل شيء قدير فامتثل اخوه رأيه وصليا تلك الليلة بحرارة قلب وانشد تغلب قائلا :

يقول الفتى تغلب على ما جرى له ... بدمع جرى فوق الخدو نهـور
اقول وفي قلبي من البين لوعـة ... وبي حسرات طي الفؤاد تثـور
لفراق أبينا الجرو والزير عنـا ... عليهم قلبي والحشا مكسـور
يا رب يا رحمن يا سامع الدعـا ... عليك اتكلنا يا جابر المكسور
سألناك ربي بالخليـل وابنـه ... بحـق الذي اليه العبيـد تزور
فيا رب الرحمن اجبر قلوبنـا ... بجاه عيسى وموسى الفاضل المشهور
بجاه داود يحيى ومـع الخضر ... وبالعرش والكرسي وبحر النور
ترزقنـا ولدين يحيـوا ذكرنـا ... يا مـن ترزق للوحش وطيـور

وكان الامير تغلب ينشد هذه الابيات واخوه مالك يقول آمين يا رب العالمين فاستجاب الله دعاهما ولم يخيب شكواهما فما مضت مدة يسيرة حتى حبلت نساؤهما ولما تمت ايامهما ولدتا في يوم واحد فوضعت زوجة مالك انثى وزوجة تغلب ذكرا فقامت في الحي الافراح وكان ابوهما فـي الصيد والقنص فأرسلوا لهما بعض العبيد يبشرهما بذلك واسمه سرور فلما اقبل سألاه علامك يا سرور ابشيرام نذير واشار اليهما بهذه الابيات :

مقالات الداعي المسمى سرور ... يا سادتي أتيتكم قاصد بشير
يا امير مالك أتاك بنت كالقمر ... ووجها كالشمس والبدر المنير
وانت يا تغلـب اتاك غـلام ... يفـرح القلب المتيـم يا امير
أتيت اليكـم حالا بلا بطـا ... فـوق حمرا كأنها طـير يطير
أريد منكم يا كرام بشارتـي ... اجبروا باللـه قلبـي الكسير

فلما سمعا كلام العبد فرحا فرحا شديدا واعتقا العبد واعطوه الـف دينار ولما حضرا الى الحي امر بذبح الذبائح واولما الولائم واقاما الفرح

والسرور مدة شهرين كاملين وارسلا حالا يعلما اباهما وعمهما الزير ويبشراهما بذلك وسميا الغلام اوس والبنت مي وتعاهد الاخان على زواج البنت بالغلام اذا كبرا ولما بلغ الجرو والمهلهل ذلك الخبر فرحا جدا وشكرا الله على هذه النعمة العظيمة وركب الجرو في جمع غفير من قومه وابطاله وساروا لمشاهدة اولاده لانه كان في غاية الاشتياق لهما ولما اقترب من تلك الديار وبلغ ولديه خبر قدومه خرجا لملتقاه في موكب عظيم وعندما التقوا ببعضهما سلما عليه ووقعا على يديه يقبلانها فقبلهما بين عينيهما ودعا لهما وسألاه عن عمهما فاجابهما انه بخير وعافية وانه ما زال في خيامه ملازم طعامه مع مدامه ثم سار الى المدينة وكان ذلك اليوم اعظم من يوم الزينة ونزل الجرو في القصر الكبير ووقف بخدمته الكبير والصغير والمأمور والامير واقام في تلك الديار مدة شهرين كاملين وفي آخر هذه المدة مرض ابنه تغلب مدة عشرة ايام ومات فحزن عليه الجرو حزنا عظيما وعملوا عليه مناحة عظيمة ودفنوه بكل احترام ولما عزم الجرو على الرجوع استدعى ولده مالك واوصاه بالرعية وان يعدل في حكمه وان يزوج بنته مي بابن اخيه الاوس ثم سار يقطع القفار الى ان وصل الى اطلاله واجتمع بأهله وعياله : اما الامير مالك فانه اعتنى بتربية ابنته وابن اخيه كما اوصاه جناب ابيه حتى كبرا وبلغا درجة الكمال وكان الاوس يركب ظهور الخيل ويتعلم الفروسية مع الفرسان واستمر على ذلك مدة من الزمان حتى صار من صناديد الرجال وشاع ذكره في كل مكان وكانت ابنة عمه مي من اجمل النساء وكان الاوس يحبها محبة عظيمة فكانا كروح في جسدين وشاع ذكرها في قبائل العربان وتواردت على ابيها الخطاب وسمع بها الصنديد ابن الاكوع وهو ابن عم الملك تبع حسان فعشقها على السماع وكان من الملوك العظام فأرسل وزيره ليخطبها من ابيها فلما وصل الوزير وعلم مالك بالخبر فقال والله نعم الصهر وبه انال الفخر على طول الدهر غير انه لا خفاك اطال الله عمرك وبقاك بان ابنتي مخطوبة لابن عمها الاوس ونحن الآن مباشرين بامر العرس فلا يمكنني

انقض الكتاب وهو الذي يمنعني عن الايجاب فقال له الوزير اكتب لي الجواب فكتب له هذه الابيات :

يقول الفتى مالك على ما جرى له — بدمع جرى فوق الخدود صدود
ايا غاديا مني على متن ضامر — تسابق لضرب المرهف المردود
تهدى هداك الله خذ لي رسالتي — أعطيه مكتوبي تنال سعود
اذا جيت للصنديد فقل له — بأني على طول الزمان ودود
وهي ترى مخطوبة لابن عمها — ومعها تربى والانام شهود
فحاشى لمثلي ان يخون أقاربه — وافسح زماني ثم اكون عنود
ترى الاوس روحي يا امير ومهجتي — وهو عندنا أعز من المولود
فلو كنت أعطيها لغير ابن عمها — لكنت اليوم اولى بالمقصود

فأخذ الوزير هذا الجواب ورجع لعند الصنديد واعطاه اياه فلما وقف على حقيقة الخبر خرج عن دائرة الصواب فغير زيه وتنكر وركب جواده وسار الى تلك الديار وحده وعند وصوله الى مضارب الامير لم يكن في الحي الا النساء والبنات فسأل بعض النساء عن غياب الرجال فقالت منهم من سار الى القبائل ليعزموا الناس للعرس والفرح ومنهم من ذهب مع الامير مالك للصيد والقنص ففرح بهذا الاتفاق وتقدم لنحو الصيوان واركز رمحه ووقف على الباب وقال هيا يا اصحاب البيت فقد اتاكم ضيف من ابعد مكان وكانت مي داخل الخبا فما ردت جوابا وما ابدت خطابا ولما ابطأت عليه بالجواب عرف ان الصيوان خاليا من الرجال فأنشد يقول :

قال الفتى الغريب الذي شكا — ولي قلب بين الجوانح ذاب
أتيت قاصد مالكا في حاجة — ولي ساعة واقف انا في الباب

يا أهل هذا البيت اين اميركم — واين مضى من الديار وغاب
يا ربة البيت الذي داخل الحما — ما لكم لا تردوا علينا جواب
الا فاخبروني يا بنات بحالكم — قلبي غدا لاجلكم مرتاب
اذا كان أهل الحي غابوا جميعهم — اما فيكم كريسة ذات حجاب
فتقري ضيفا قد أتى من غربة — وتسير أهاليها مع الغياب
أكيد ما كل النساء تسير الفتى — ولا كل من يحوي الردية صاب

فلما سمعت مي شعره ونظامه وعرفت قصده ومرامه اخذتها الغيرة والمروءة لتستر عرض أهلها من القيل والقال وأشارت قائلة :

تقول فتاة الحي مي التي شكت — الا فاسمع للقول يا نجاب
يا مرحبا بالضيف لما زارنا — لك الخير والاكرام والترحاب
انزل مكانك حتى احضر الغدا — وتأكل من زادنا والشراب
انا بنت مالك راح للصيد والدي — مع ابن عمي الاوس والاحباب
انزل حتى يرجعوا رجالنا — ويأتوا لنحو الحي بعد غياب
فكم جاء الينا يا امير مثالكم — خلائق كثيرة ما لهن حساب
نحن نحب الضيف اذا جاء محلنا — انزل واجلس جانب الاطناب

فلما فرغت مي من شعرها ونظامها هام الصنديد في حبها ورفع ستار الخيمة بسنان رمحه فوجد صبية بديعة الجمال فزاد به الوجد والبلبال فصاحت من خلف الستار وقالت علامك تنظر بنات الملوك يا غدار ثم ردت منديلها على وجهها وقالت له لا شك انت قليل الحياء فان كنت ضيفا كما تقول فانزل كي آتيك بالغدا والا فما هذه الوقاحة ثم قالت لجاريتها اطلعي افرشي له حتى يجلس ويتغذى لبينما يأتي ابي من البرية فقالت له الجارية

انزل في الصيوان فقال لها عيب علي ان انزل عند الحريم وانا سيد عظيم وانا ما اتيت الى هذه الا لاخذ مي الى الاطلال واتزوج بها بالحلال وقد نلت مرادي وحصلت مسرة فؤادي ثم انه دخل الى ذلك المكان وهو مسرور فرحان وسحب مي من خدرها واردفها خلفه وسار يقطع القفار ويوصل سير الليل بالنهار حتى وصل الديار ولما سمعت اكابر قومه بقدومه ظافرا غانما اجتمعوا اليه وهنوه بالسلامة وسألوه عن سفرته وما جرى له في غربته فقال اني عند وصولي الى الاطلال هجمت على الفرسان والابطال ومددت اكثرهم على الصحصحان وفعلت فعالا تذكر على مدى الايام وقتلت مالك وابن اخيه الاوس واتيت الى هنا بالعروس وقد بلغت غاية المنى فلما سمعت مي هذا الكلام كان عليها اشد من ضرب الحسام فنهضت على الاقدام وقالت له امام السادات والاعيان لقد نطقت بالزور والبهتان فوحق الاله الديان لو كان ابي وابن عمي حاضران لما كنت رجعت سالما الى اوطانك واجتمعت باهلك وخلانك ولكنك خطفتني بالاحتيال وهربت في الحال قبل ان تدركك الرجال ويحل بك الوبال ثم انها بعد هذا الكلام بكت بدموع سجام ولما سمع الحاضرون فحوى كلامها خافوا من العواقب وعلموا ان الصنديد في حديثه كاذب واما الصنديد فانه اغتاظ من هذا الكلام فنهض ولطمها على وجهها وقال لها هكذا تتكلمين يا بنت اللئام امام السادات الكرام ثم سل سيفه من غمده واراد ان يعدمها الحياة فعند ذلك وثب الوزير وباقي الامراء وردوه عن ذلك العمل وقالوا له انت امير تجعل عقلك كعقل النساء فماذا تقول عند الملوك اذا سمعت بذلك وما زالوا يتوسلون بالكلام حتى لان وكان له سجان قلبه اقوى من الصوان فاستدعاه اليه فحضر وكان اسمه عمران بن الازور فقال له خذ هذه الملعونة الى بيتك وسلمها الى زوجتك لتقيدها بالحديد وتعذبها العذاب الشديد وتلبسها ثياب الشعر

وتضربها خمس مرات في النهار وتطعمها خبز الشعير فاخذها الـى زوجته واخبرها بأمر الصنديد فقالت ان هذه الصبية لا تستحق الضرب والانتقام ولا تستأهل غير الاعزاز والاكرام وهي كأنها بدر التمام وكيف العمل ونحن عبيد الملك الصنديد فعند ذلك نزعت عنها ثيابها الحريرية والبستها ثوبـا من شعر الخنزير وارادت ان تضربها بالسوط على قدميها فوقعت على رجليها وجعلت تبكي وتثني عليها ثم انشدت تقول :

باللـه ان ترني الى احوالـي	فالدهر فوق صحبتي وعيالـي
يا وحدتي يا ذلتي يا غربتـي	قد صرت بعد العز بالاغـلال
قد كنت في جاه ورفعة منصب	واللـه ربـي عالم الاحـوال
فترفقي هذا النهـار بحالتـي	فلعـل ربي يستجيب لحالـي
ويعيدني بعد العناء لموطنـي	وأرى جميع الاهل والعيالـي
اني كريـة من اكابـر معشر	فاقو االورى بالجاه والافضال
ولهم وقائع في البلاد جميعهـا	بين الملـوك وزمـرة الابطال

فلما فرغت من شعرها ونظامها رق قلبها عليها وقالت لها قري عينا وطيبي قلبا فاني سأعمل معك معروفا لوجه الله ثم جاءت بجلد جاموس وفصلتـه ثوباً وألبستها اياه تحت الثياب وقالت متى ضربتـك لا تشعرين بالضرب وقصدي ان يسمع الملك صوت الضرب وانت تصيحين وتستغيثين وانا اقدم لك طلبك من المأكل والمشروب وفي الليل تخلعين ثوب الجلد وترقدين براحة ليأتي الله بالفرج فشكرتها على معروفها ودعت لها بطول العمر ووعدتهـا بالجميل والخير الجزيل هذا ما جرى لمي اما ابوها فانه عند رجوعه مـن الصيد سمع الصياح والبكاء فسأل عن الخبر فاخبرته زوجته بواقعة الحال

فغاب عن الصواب من شدة الغيظ واما الاوس ابن عم الصبية فانـه غشي عليه لانه كان يحبها محبة عظيمة ولما افاق انشد يقول :

يقول الاوس ابن تغلب قصيدا ... الا يا مي مـن هـذا دهـاك
اتاك اللص في غيبـة أبيـك ... ولم يعلـم بمن يسعـى وراك
الا يا بنت عمـي لو تريـني ... على فقدك انا محزون وباكـي
ترى في اي ارض قد حللـت ... فما قلبي غـدا يطلب سواك
فلا بـد لـي أغـزي ديـار ... وأقتلـه وافـرح في لقـاك
وابذل كل مجهـودي لاجلك ... وروحي بعد ذلك هي فـداك
لما قال الفتى الاوس بن تغلب ... فقلبـي قد تعلـق في هـواك

فلما فرغ الاوس من هذا الشعر والنظام وقع مغشيا عليه وبقي طـول ذلك الليل في غم وقلق شديد ما عليه من مزيد فجعل عمه يلاطفه بالكـلام ويقول له طب قلبا يا ولدي فما يصلح الحزن الا للنساء فاصبر لبينما نرسل من يكشف لنا خبر ذلك الرجل وبعد ذلك نسير الى دياره فنخربها ونسبي حريمه وعياله فقال الاوس من يذهب فوالله لا يذهب غيري ولا سرت الا وحدي ولا اريد رفيقا ولا معينا الا رب العالمين ثم نهض واعتد بآلة حربه وجلاده وركب جواده وودعهم وسار وجد في قطع القفار ودموعه تجـري كما الانهار وهو لا يدري الى اين يذهب والى اي حلة يقصد من قبـائل العرب الى ان وصل الى وادي عميق ضيق الطريق كثير الاشجار والوحوش والاحجار فبينما هو يتأمل ذلك المكان واذ ظهر عليه احد الفرسان وهـو بالسلاح الكامل والفروسية ، لها علائم ودلائل فلما رأى الاول منفردا مال اليه وقال له انزل يا جبان عن الحصان واخلع ما عليك من الثيـاب وفـز بنفسك في هذه الهضاب قبل ان اسقيك كاس العطب فانا جمرة بـن مرة

فارس العرب فلما سمع الاوس هذا الكلام صار الضيا في عينه كالظلام وهجم عليه في الحال وصدمه صدمة تزعزع الرجال فالتقاه جمرة والتحما في ساحة المجال واشتد بينهما القتال وتجاولا ساعة من الزمان وهم في ضرب وطعان تقشعر منه الابدان فاختلفت بينهما طعنتان قاتلتان وكان السابق الاوس بن تغلب فجاءت في صدر جمرة خرجت تلمع من ظهره فوقع قتيلا وفي دمه جديلا فاخذ عدته وجواده وجد في المسير وهو يقطع البراري والاكام مدة خمسة ايام واتفق في اليوم الخامس انه التقى بفارس وهو يجد في قطع القفار كالسهم الطيار فتقدم اليه وسلم عليه وقال له الى اين انت سائر والى من تنتسب من القبائل والعشائر قال انني من بني عبس وعدنان اصحاب الفضل والاحسان واني سائر الى ديار بني عامر لاستدعي حامينا عنتر بن شداد فارس الخيل لانه سار مدة عشرة ايام ليحضر وليمة دعاه اليها عامر بن الطفيل وفي غيبته غزانا عمرو بن معدي كرب الزبيدي في خمسة آلاف فارس فحاربنا محاربة شديدة وجرى بيننا وبينه وقائع عديدة فأرسلني مولاي قيس بن زهير لاستدعيه للحضور قبل ان يظفر بنا عمرو المذكور فقال الاوس وقد تعجب ومن هو عنتر بن شداد فقال هو فارس الصدام الذي اشتهر ذكره في هذه الايام بطعن الرمح وضرب الحسام وقهر كماة الجبابرة وحارب الملوك الاكاسرة والقياصرة وافتخر على الفرسان في ساحة الميدان فلما سمع الاوس هذا الخبر تحير وانبهر ثم ودعه وجد في قطع البر الاقفر وما زال يقطع البراري والآكام مدة سبعة ايام حتى اشرف على جماعة من العبيد ترعى الاغنام فحياهم بالسلام وسألهم عن ابنة عمه بهذا الشعر والنظام :

يقول الفتى المضني على ما به   دمعي من فوق الخدود سائح

الا يا عبيد الخير بالله شفعوا لصب بعيد الدار ولهان نازح
فمن يجمع بين مستهام ملوع تركه البين مضنى كثير فوالح
لقد ضاع لي حرة عفيفة عن الخبا فهل من يبشرني بها فوالح
ويخبرني لاي البلاد توجهت من أجلها ناري تزيد اللفايح
لقد احرقت قلبي ولبي ومهجتي وكل عظامي أوثقتهم جرايح

قال الراوي فلما فرغ الاوس من كلامه تقدم اليه كبير الرعيان وكان اسمه مرجان وقال له اعلم يا غلام انه من برهة عشرة ايام سبى اميرنا الصنديد ابنة اسمها مي لا يوجد اجمل منها في نساء هذا الحي فاراد ان يتزوجها فامتنعت عنه ولم تمل اليه فقيدها بقيود من حديد وهو كل يوم يعذبها العذاب الشديد فعسى تكون الحرة التي ذكرتها في نظمك افرج الله همك وغمك فلما سمع الاوس هذا الكلام استبشر ببلوغ المرام ونزل عن ظهر الحصان وقبل العبد مرجان ووعده بالجميل والاحسان فبينما هو بالحديث والكلام اذ بسعد بن اخت الصنديد قد اشرف في ذلك الوقت ليتفقد المراعي فنظر الاوس فاستغربه فسأل بعض العبيد فقال له هذا ابن عم الصبية مي التي عند خالك الصنديد وقد جاء ليكشف اخبارها ويرجع بها الى ديارها فلما سمع هذا الكلام رجع الى عند خاله واعلمه بما رأى واشار اليه يقول :

قال سعد قد أتيتك منذرا يا خال فاسمع مني الاخبارا
البنت التي غربتها عن أهلها من خلفها فارس أتاك جهارا
يا خال فارس في اللقا مجرب وعيونه يا خال تقدح نارا
ان كان راقت لك ليالي الصفا فبصفوها تأتي لك الاكدارا

قد جاء الى عند العبيد يسأل　　انبؤه فجاء كالاسد الهدارا
لما سمعت أتيت نحوك عاجل　　هذا الذي تم يا خال وصارا

فلما فرغ سعد من شعره ونظامه وفهم الصنديد فحوى كلامه قال له فارس واحد قال نعم ايها السيد المحتشم فشتمه خاله وقال ارجع وخذ روحه من بين جنبيه فانه لا يليق بي ان اركب لقتال صعلوك من صعاليك العرب فخرج سعد من عند خاله وقصد الاوس فلما اجتمع به وصاح فيه وحمل عليه فالتقاه الاوس كالاسد وضربه بالحسام المهند فالقاه على الارض ممدد واخذ سلبه وثيابه ولما بلغ خاله الخبر طار من عينيه الشرور وركب ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وقصد الاوس حتى التقى به فانطبق عليه كليث الآجام واخذ معه في القتال والكفاح ولم تكن الا ساعة حتى اثخن بالجراح فولى وطلب لنفسه الهرب فتبعه الاوس مثل السرحان حتى وصل الى الصيوان فدخل الصنديد واحتمى عند الحريم وقالت له زوجته سعدا علامك داخل وانت مرعوب كل هذا لاجل الابنة التي خطفتها وما نلت المرغوب فانك تستحق اكثر من ذلك ثم وبخته بالكلام وقالت له انت تدعي الفروسية على كل احد وتهرب من امام امرد وصاح الاوس اخرج يا لئيم من بين الحريم حتى اجازيك على تلك الفعال يا غدار يا محتال فخاف الصنديد وقال لزوجته اعطيه مي واكفينا شره فخرجت زوجته اليه وقبلته وطلبت منه العفو والسماح فاعطاهم الامان فجاؤا له بابنة عمه مي بعد ان البسوها الثياب الفاخرة وذبحوا لهم الذبائح وقدموا لهم الاطعمة المتكاثرة ولما اجتمع بها زال عن قلبه الكدر ومن فرحه أخذ يسكب العبرات وهكذا فعلت مي وكان ذلك النهار عندها كيوم العيد حيث التقت بحبيبها الوحيد.

قال الراوي فباتا تلك الليلة في الحلة وعند الصباح اركبها في هودج

وسارت معه جماعة من العبيد وتوجه قاصدا دياره ولما اقترب من بلاده ارسل يبشر عمه الامير مالك بقدومه وشاع الخبر في الحي فخرجت النساء والبنات واكابر السادات ولما اجتمعوا ببعضهم البعض نزل الامير مالك فسلم على الاوس وابنته وشكر ابن اخيه على افعاله وعند وصوله الى الخيام حدثهم بحديث عنتر ما سمع عنه من الخبر فقال عمه والله سمعنا بذكره وانه من افرس فرسان عصره وبعد ذلك ذبحوا الذبائح واولموا الولائم ثم زفوا الاوس على ابنة عمه فكانت ليلة من اعظم الليالي حضرها جمهور من السادات والموالي فزادت افراح الاوس بتلك العروس وحظي بذلك الحسن والجمال وعاش معها بأرغد عيش واحسن حال وبعد ذلك وضعت له غلاما سماه مالك وله حديث طويل فاتفق بعد عشرة ايام ان عم الاوس ضعف ضعفا شديدا وبعد مدة مات فحزن الاوس عليه ودفنه بالاحترام والوقار وبكت عليه الكبار والصغار لانه كان موصوفا باللطف والايناس ومحبوبا من جميع الناس وارسل يعلم جده بذلك فحزن وتكدر فقالت اخته اليمامة ارسل يا اخي واحضر ابن ابنك الاوس مع اهله ليجتمع شملنا مع شمله فاجابها الى ذلك وفي الحال ارسل رجل من بني عمه ليحكم مكانه فجاء الاوس مع اهله وسكن عند الجرو وجده وراق لهم الزمان اما ما كان من البطل الهمام صاحب الذكر الشهير المدعو بسالم الزير فانه كان قد احناه الدهر وضعفت قواه وهو مع ذلك مواظب على اكل الطعام وشرب المدام وكان لا ينام الا وهو لابس عدة الحرب والصدام وما زال على هذا الحال حتى برز له اسنان جدد وصار عقله كعقل الولد وكانت بنات اخيه تخدمه وتداريه فاجتمع يوما بالجرو وقال يا ابن اخي قد ضاقت اخلاقي من الوحدة والانفراد فاريد ذلك ان تسلني مع بعض الاتباع للتنزه في البلاد فاجابه الى ما طلب واركبه في هودج واعطاه عبدين برسم الخدمة وجميع

ما يحتاج اليه من لوازم السفر فودعه المهلهل وما زالا يجولان به حتى اقتربا من بلاد الصعيد وكانا قد تعبا من مشقة الطريق وهما يلاقيان من التعب اشد الضيق فصمما على قتله واعدامه بالكلية ويقولان لاهله قد ادركته المنية فعرف الزير ذلك منهما فقال قد دنا حمامي وليس الا القبر امامي فاذا ادركتني منيتي اريد منكما ان تبلغا اهلي وصيتي قالا وما هي فعاهدهما على حفظها وتأديتها فحلفا له باعظم الاقسام بانهما يبلغونها بالكمال والتمام فقال اذا وصلتم الحي فأقريا أهلي مني السلام وانشداهم هذا البيت وقولا لهم اني في القبر قد اختبيت :

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا   لله دركما ودر أبيكما

وكرره عليهما حتى حفظاه ولما دخل الليل ذبحاه ودفناه تحت التراب ورجعا الى ديارهما ودخلا على سيدهما الجرو واعلماه بموت عمه الزير فبكاه بكاء شديدا هو ومن حضر ثم ان العبدين اقتربا من الجرو وانشداه البيت المذكور .

فلما سمع الجرو هذا البيت استغربه حيث لا معنى له فاستدعى اخته اليمامة وكانت من اذكى نساء العرب وعلّمها عمها ذلك البيت فلطمت على وجهها وبكت وقالت ان عمي لا يقول ابيات ناقصة بل اراد ان يقول :

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا   أضحى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما   لا يبرح العبدان حتى يقتلا

ثم انهما قبضا على العبدين والقوهما تحت العذاب والضرب الشديد

فأمرا بانهما قتلاه ودفناه فقتلهما الجرو في الحال وهكذا انتهت حياة الزير وقد اخذ ثأره في حياته وبعد مماته وبعد وفـاة الزير وضعت امرأة الاوس غلاما سموه عامرا ولما بلغ سن الرجولية تزوج بامرأة من اشراف العـرب فولدت له في نفس الليلة التي مات فيها جده الجرو غلاما فدعاه هلال وهو جد بني هلال وكان من اعقل العرب ولما كبر الامير هلال تزوج بامرأة ذات حسن وجمال فولدت له غلاما ادعاه المنذر واتفق ان هلالا زار مكة فـي بعض السنين في اربعمائة فارس كرار وكان وقتئذ ظهور النبي المختـار صلى الله عليه وسلم وعند وصوله ضرب الخيام وطاف هو ورجاله حـول الحرم وتشرف بمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم وقبّله بين عينيه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل في وادي العباس في تلك الايام يحارب بعض العشائر فعاونه الامير هلال وامده بالعساكر وقاتل معه وكانت فاطمة الزهراء رضي الله عنها راكبة في هودجها فلما رأت الحرب زجرت جملهـا لتخرج عن مشاهدة القتال فشرد بها في البراري والفلوات ولما رجعت دعت على من كان السبب في البلاء والشتات فقال لها ولدها صلى الله عليه وسلم ادعي لهم بالانتصار فانهم بنو هلال الاخيار وهم لنا من جملة الاحبـاب والانصار فدعت لهم فنفذت فيهم دعوتها على طول الدهر .

تمت قصة الزير ابو ليلى المهلهل



كتب صدرت عن المكتبة الثقافية

اجاثا كريستي

موعد في بغداد
جريمة في العراق
القضية الكبرى
ساعة الصفر
الحب الذي قتل
المتهمة البريئة
نقطة الدم
جريمة في القصر
القاتل الخفي
غادة طيبة
مقتل السيد اكرويد
جريمة في وادي النيل
الجريمة الكاملة
جريمة في مطعم اللوكسمبورغ
رصاصة في الراس
مغامرات بوارو
جزيرة المهربين
جزيرة الموت
اعلان عن جريمة
الكأس الاخيرة
مرآة الميت
جريمة في بيت الطالبات
التضحية الكبرى
جريمة ملاك
سر الجريمة
الوصية المفقودة
ذات القناع الاسود
الرسائل السوداء

قصص مترجمة

خفايا باريس		فلاديمير نابوكوف
احدب نوتردام		فيكتور هيجو
البؤساء		فيكتور هيجو
عمال البحر		فيكتور هيجو
وداعا ايها السلاح		ارنست همنغواي
لمن تقرع الاجراس		ارنست همنغواي
كوخ العم توم		هارييت بيتشر ستاو
قصة مدينتين		شارل ديكنز
الحرب والسلم		تولستوي
انا والانثى		سيمون فرويد
الزواج والجنس		ماري ستوبس
الوصية الحمراء	٢/١	كزافيه دي مونتيبين
ذهب مع الريح	٢/١	مارغريت ميتشل
الجريمة والعقاب		تيودور دوستويفسكي
اسرار المراهقة		
هكذا تكلم زرادشت		نيتشه ترجمة فلكس فارس
الخدعة		البيرتو مورافيا
فتاة من الاقاليم		البيرتو مورافيا
الخطيئة الاولى		البيرتو مورافيا
الدوقة العارية		البيرتو مورافيا
لن أقول : لا		البيرتو مورافيا
الشيطان في اللحم		
غرائز المراة		
عودة الفرسان		اسكندر ديماس
الخاطئة	٢/١	سومرست موم
ضريبة الحب		اوديت هورنون
مذكرات كريستين كيلر		كريستين كيلر
الشهوة الجنسية عند الرجل والمراة		ماري ستوبس
الحب الجنسي والامراض التناسلية		فريدريك كان
اسرار الجنس		
المعرفة الجنسية عند الرجل والمراة		الدكتور اداماس
اسرار المراهقة والبلوغ		سيجمند فرويد
سيكولوجية السلوك الجنسي		ماريو كاستللو

